

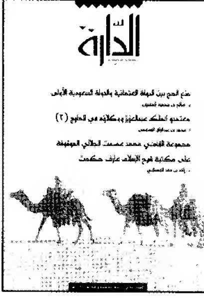
Mn yool.com

الدارة

مجلة فصلية محكمة تصدر
عن دارة الملك عبد العزيز

العدد الثاني - السنة الخامسة والثلاثون - ١٤٣٠هـ

الدارة



الإسهامات

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير

ص.ب ٢٩٤٥ . الرياض ١١٤٦١ . المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٠١١٩٩٩ . فاكس ٤٠١٣٥٩٧

بريد إلكتروني aldarahmagazine@aldarahmagazine.com

السعر

السعودية ٥ ريالات، الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم،

قطر ٧ ريالات، البحرين ٥٠٠ فلس، الكويت ٥٠٠ فلس،

سلطنة عمان ٥٠٠ بيسة، المغرب ٨ دراهم،

مصر ١٥٠ قرشاً، تونس دينار واحد

خارج الدول العربية ما يعادل دولاراً أمريكياً واحداً

الاشتراكات السنوية

٢٠ ريالاً للاشتراك من داخل المملكة العربية السعودية

للاشتراك من الخارج ٦ دولارات أمريكية

ترسل الاشتراكات بشيك مصدق باسم

دارة الملك عبد العزيز على العنوان الآتي:

ص.ب ٢٩٤٥، الرياض ١١٤٦١ . المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٠١١٩٩٩ / ٢٠١٦ . فاكس ٤٠١٣٨٩٤

بريد إلكتروني aldarahmagazine@aldarahmagazine.com

موقع الإنترنت www.aldarahmagazine.com

شركات التوزيع

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع، الرياض، هاتف: ٤٤١٨٩٧٢

مصر: مؤسسة الأهرام للتوزيع، القاهرة، هاتف: ٥٧٨٦٢٠٠

الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة، دبي، هاتف: ٢٦٦٥٣٩٤

البحرين: مؤسسة الهلال للتوزيع، المنامة، هاتف: ٢٩٤٠٠٠

الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، الكويت، هاتف: ٢٤١٧٨١٠

سلطنة عمان: المتحدة لخدمة وسائل الإعلام، مسقط، هاتف: ٧٠٠٨٩٥

قطر: دار الثقافة، الدوحة، هاتف: ٤١٣١٨٠

المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع، الدار البيضاء، هاتف: ٤٠٠٢٢٢

تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز



رقم الإيداع: ٠٠٨٢ / ١٤ بتاريخ ١٤١٤/١/٢٢هـ

ردمد ١٤٨٠ - ١٣١٩

أنشطة الدارة

دارة الملك عبدالعزيز ومركز ميراث التركماني يوقعان اتفاقية تفاهم للتعاون العلمي

وقع معالي الدكتور فهد بن عبدالله السماري الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز، ومعالي الأستاذ الدكتور عاشيروف أنّا قربان رئيس مركز ميراث للتراث والثقافة بدولة تركمانستان، اتفاقية تفاهم للتعاون العلمي بين الطرفين، وذلك يوم الأربعاء ١٤٣٠/٢/٩هـ الموافق ٢٠٠٩/١/٤م. وحضر توقيع الاتفاقية الأستاذ محمد أبا لاكوف سفير دولة تركمانستان في المملكة العربية السعودية والأستاذ عبدالعزيز الغدير سفير خادم الحرمين الشريفين في دولة تركمانستان.

الجدير بالذكر أن هذه خامس اتفاقية توقعها الدارة مع مؤسسة علمية مماثلة لنشاطها العلمي في العالم العربي والإسلامي.

دارة الملك عبدالعزيز تتولى الترميم والمحافظة على وثائق سجلات المحاكم الشرعية

كلفت وزارة العدل مركز الترميم والمحافظة على المواد التاريخية بدارة الملك عبدالعزيز بتعقيم وترميم وتجليد السجلات القديمة لدى المحاكم الشرعية وكتابات العدل في جميع مناطق المملكة العربية السعودية. ومن جهتها تستعد دارة الملك عبدالعزيز لتنفيذ هذا العمل الوطني المهم، بزيارات معاينة أولية لما تضمه المحاكم وكتابات العدل من السجلات القديمة، والعمل على إعداد برنامج زمني وفني لتحقيق العمل من تعقيم وترميم وتهيئة وتجليد.

اختتام أعمال الدورة الرابعة للمؤتمر الخليجي المغاربي

أوصى المؤتمر الخليجي المغاربي في ختام أعمال دورته الرابعة والتي انعقدت في جامعة الكويت خلال المدة ٥- ٧ ربيع الأول الموافق ٢-٤ مارس ٢٠٠٩م بوضع آلية تضمن استمرار عقد المؤتمر بصورة منتظمة كل سنتين، كما أوصى بإجراء عمليات توأمة بين الجامعات بدول الخليج العربي ونظيراتها في دول المغرب العربي بما يعزز التعاون العلمي والتربوي بين الطرفين، وبناء قاعدة معلومات شاملة ومشتركة تضم القوانين المنظمة للتعليم العالي والبحث العلمي في كل من دول المنطقتين. كما أوصى المؤتمر بإنشاء موقع إلكتروني لإنجازات المؤتمر السابقة ومتابعة نشاطاته المستقبلية، وإصدار دليل شامل لجميع الأنشطة البحثية والعلمية المتعلقة بتاريخ العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية بين الطرفين، واقترح المؤتمر عددًا من الموضوعات والأفكار لمناقشتها في دوراته اللاحقة.

وتستعد دارة الملك عبدالعزيز لتوثيق الأعمال المشاركة في كتاب خاص بالمؤتمر ونشاطه العلمي.

أبواب المجلة

عندما اعتزمت مجلة الدارة اتخاذ خطوات جديدة في سبيل الرقي بها، اعتمدت على مجموعة من الضوابط والمعايير التي من شأنها أن تحقق النجاح الذي تطمح إليه. وبناء على هذا أعادت النظر في أعداد المجلة خلال ربع قرن، فأخذت منها ما برز على نظائره، وزادت عليها ما يسمو بها، وعلى هذا جاءت أبواب المجلة في ثوبها الجديد، وهي:

◀ ١ - **البحوث العلمية.** وتعد عماد مجلة الدارة، التي حاولت منذ أمد أن تحقق فيها أعلى درجات الدقة العلمية والجدة والموضوعية، وجاءت في حلتها الجديدة منتقاة موافقة لاتجاه المجلة محققة للغرض من إنشائها.

◀ ٢ - **البحوث المترجمة.** وهذا الباب يزود قراء العربية بترجمة للبحوث التي صدرت بلغات أجنبية كان لأصحابها اهتمام بتاريخ الجزيرة العربية عامة، أو بتاريخ المملكة العربية السعودية خاصة. ويشترط لنشر هذه البحوث ذكر اسم المؤلف الأصلي كاملا، والمصدر الذي أخذ البحث عنه، وتمييز تعليقات الباحث عن تعليقات المترجم. وإرفاق الأصل المترجَم لمطابقته وتحكيمه.

◀ ٣ - **الوثائق.** باب يهدف إلي خدمة الباحثين والمهتمين، بالتعريف والدراسة لعدد من الوثائق المحفوظة في مراكز حفظ الوثائق في دارة الملك عبدالعزيز وغيرها. ويشترط لنشر هذه الوثائق إرفاق صورة واضحة من الوثائق المدروسة، مع ذكر الجهة التي تحتفظ بها، ورقم الحفظ.

◀ ٤ - **باب ملخصات الرسائل العلمية.** وترمي المجلة من هذا الباب إلى تسليط الضوء على آخر الرسائل العلمية (الماجستير والدكتوراه) التي قدمت خلال السنوات الثلاث الأخيرة في مجال التاريخ السعودي خاصة، وتاريخ شبه الجزيرة العربية عامة.

◀ ٥ - **باب البحوث الجارية.** وفي هذا الباب ترغب الدارة في تعريف المختصين بالبحوث والرسائل العلمية التي لم يتسن نشرها أو لم تتم مناقشتها حتى تاريخ إصدار عدد المجلة، ويشترط لنشر هذه البحوث أو الرسائل أن تتضمن خلاصة وافية لها إضافة إلى النتائج التي توصلت إليها، مرفقة بالخطة بالنسبة للرسائل العلمية.

◀ ٦ - **مراجعة الكتب.** تعريف بالكتب المطبوعة في مجالات الدارة المتوعة، ونقدها بأسلوب علمي.

وللنشر في هذا الباب ينبغي ألا تزيد المراجعة عن تسع صفحات، متضمنة موضوع الكتاب وحدوده الزمانية والمكانية والمرجعية، منهج الباحث في بحثه وأدواته ومصادره، إضافاته واستدراكاته على من سبقه، إيجابياته وسلبياته، إضافات المراجع واقتراحاته.

وللمراجع اختيار طريقة عرض الكتاب بما يلائم الكتاب وما يراه مناسبًا.

◀ ٧ - **ملخصات الكتب.** باب يضع للقارئ ملخصًا للكتب المؤلفة حديثًا، في مجالات الدارة، ويعرض الغرض من تأليفها، وأبرز موضوعاتها، وما تميزت به من مصادر أو مناهج بحث أو ما تحتويه من أشكال وخرائط وصور ووثائق.

ومجلة الدارة ترحب بالراغبين في نشر مراجعات علمية، أو ملخصات لكتبهم (وهو المستحسن) أو لكتب غيرهم، إذ تستقبلها على عنوانها البريدي، باب: مراجعة الكتب، أو باب: ملخصات الكتب.

◀ ٨ - **تعقيبات وتعليقات.** تنشر فيه المجلة ما يرد إليها من الباحثين والقراء من تعقيبات أو تعليقات على ما نشر فيها بغرض زيادة التواصل العلمي بين الباحث وقرائه.

شروط النشر

تعنى مجلة الدارة بنشر البحوث العلمية ذات العلاقة بتاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها وآدابها وآثارها الفكرية والعمرانية بخاصة، والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي بعامة.

وينبغي أن تتوافر في هذه البحوث الشروط الآتية:

١ - أن يتسم البحث بالأصالة والمنهجية العلمية والجدة في الموضوع والعرض.

٢ - أن يكون صحيح اللغة، سليم الأسلوب، واضح الدلالة.

٣ - ألا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلا من رسالة علمية أو كتاب مطبوع.

٤ - أن يكون البحث مطبوعًا على الحاسب الآلي، مرفقا معه القرص المنسوخ عليه.

٥ - أن يرفق مع البحث ملخص له باللغتين العربية والإنجليزية في حدود (٢٠٠) كلمة، مع الحرص على الدقة في كتابة العنوان باللغة الإنجليزية.

٦ - أن ترفق نماذج واضحة من الأشكال التوضيحية والصور والوثائق والمخطوطات.

٧ - أن توضع الحواشي في آخر البحث، على أن يكون الترقيم متواصلا.

٨ - أن تذكر المعلومات الوراقية (الببليوجرافية) للمصادر المعتمد عليها (الكتب، والمقالات، والمخطوطات) عند أول ذكر لها في الحواشي، استغناءً عن قائمة المصادر والمراجع.

٩ - أن تكتب الأسماء الأجنبية باللغة العربية، وتكتب بلغتها بين قوسين عند أول ورود لها.

١٠ - أن يرفق الباحث سيرة ذاتية له توضح نشاطه العلمي والعملي.

منهج النشر

١ - تخضع البحوث الواردة للمجلة للتحكيم العلمي. ويلزم الباحث إجراء التعديلات المنصوص عليها في تقارير المحكمين، مع تعليل ما لم يعدل.

٢ - يعطى الباحث عشرين مستلة من بحثه، وخمس نسخ من المجلة.

٣ - تمنح المجلة الباحث مكافأة مالية، وفق اللائحة المعتمدة.

٤ - لا يعاد البحث إلى صاحبه سواء نشر أم لم ينشر.

٥ - تحتفظ المجلة بحقها في الحذف والاختزال والتعديل اليسير بما يتوافق مع أغراض الصياغة والمنهج العلمي المتبع.

٦ - لا تعبر الآراء الواردة في البحوث بالضرورة عن رأي المجلة.

٧ - لا صلة لترتيب البحوث بالمجلة بالقيمة العلمية للبحث أو الباحث، إذ الترتيب موضوعي وفني، وبما يناسب أبواب المجلة.

٨ - ترسل البحوث والدراسات والآراء والتعليقات إلى رئيس التحرير.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثاني ربيع الآخر ١٤٣٠هـ، السنة الخامسة والثلاثون
الدارة

المحتويات

البحوث

منع الحج بين الدولة العثمانية والدولة السعودية الأولى
- الدعاية والحقيقة -

د. صالح بن محمود السعدون

يتناول هذا البحث إيضاح حقائق قضية شائكة تناولها عدد من المؤرخين لتاريخ الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية، وهي قضية منع الحج بين الدولتين، ويستعرض البحث المصادر ويقوم بتوضيح الحقائق التاريخية حول الموضوع.

(٩ - ١٠٨)

معتمدو الملك عبدالعزيز ووكلاؤه في الخارج (٢)

أ. محمد بن عبدالرزاق القشعمي

يستكمل في هذا العدد الحديث عن سير بعض التجار النجديين الذين عملوا معتمدين للملك عبدالعزيز - رحمه الله - ووكلاء له في الخارج، وهم عبدالرحمن القصيبي في البحرين، وعبداللطيف المنديل في العراق، وفوزان السابق في مصر.

(١٠٩ - ١٦٧)

مجموعة القاضي محمد عصمت الجلالي الموقوفة على مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت

د. راشد بن سعد القحطاني

يقدم هذا البحث دراسة إحصائية لمنسوخات القاضي محمد عصمت الجلالي التي وقفها على مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت في المدينة النبوية. ويتضمن البحث ترجمة للناسخ، وعرضًا لمحتويات وقفيته مع أرقام تصنيفاتها، واستعراضًا لأنواع الخطوط المستخدمة في هذه المنسوخات، واتجاهاتها الموضوعية، وتوزيعها الزمني.

(١٦٩ - ٢٠٠)

البحوث المترجمة

رسالة السيد روسو، قنصل فرنسا العام في حلب
إلى السيد جوانان قنصل فرنسا العام في ميمل
عن الخيول العربية
ترجمها وقدَّم لها وعلَّق عليها: أ. د. محمد خير محمود البقاعي
(٢٠١ - ٢٣١)

مراجعات الكتب

تاريخ الراية السعودية
أعلام وأوسمة وشارات وطنية
تأليف: عبدالرحمن بن سليمان الرويشد
مراجعة: د. ناصر بن محمد الجهيمي
(٢٣٣ - ٢٤١)

تعقيبات وتعليقات

(٢٤٣ - ٢٤٤)



من أرشيف الدارة

الملك عبدالعزيز يقرأ رسالة تهنئة
على ظهر الباخرة، ويظهر مع الملك
فلويد أوليجر، ويقف علي رضا
مترجم الملك في الوسط
المصدر: شركة أرامكو السعودية

منع الحج بين الدولة العثمانية والدولة السعودية الأولى

- الدعاية والحقيقة -

د. صالح بن محمود السعدون
قسم الاجتماعيات - كلية المعلمين - جامعة الحدود الشمالية

قضية منع الحجاج من الحج قضية شغلت الدولة السعودية والدولة العثمانية فترة طويلة من علاقاتهما، خاصة في عهد الدولة السعودية الأولى ١١٥٧-١٢٣٣هـ (١٧٤٤-١٨١٨م)، ولم تكن هذه القضية مجرد قضية إعلامية استخدمت للإساءة فحسب، بل لقد أسهم بعض المؤرخين في صياغتها بعيدًا عن الموضوعية ووفق أهوائهم السياسية، وتم توظيفها من قبل هؤلاء لأهداف سياسية تقربًا وتزلفًا من القوى السياسية بعيدًا عن الحقيقة التاريخية.

ولقد تم تشويه الحقيقة التاريخية حول هذه القضية حتى إن الكثير من المؤرخين المحدثين يرددون ما كتب دون أن يبحثوا عن الحقيقة في هذه القضية، بل كانت كتاباتهم ترديدًا لما كتب وكأنه من المسلمات التاريخية التي لا تحتاج إلى نقاش.

ولعل الأكثر عجبًا في المسألة أن المؤرخين، أو ربما من كتب التاريخ، قَبِلوا بارتياح شديد - يصل إلى حد الإعجاب -

بموقف الأشراف والدولة العثمانية التي منعت أتباع الدولة السعودية قرابة نصف قرن، في حين اعتبر من الكبائر التي لا تغتفر أن يضع الإمام سعود الكبير شروطًا لتطبيق شرع الله دون بدع أو مخالفات، فرغم أن الإمام سعود الكبير فصّل كثيرًا هذه النقطة من أنه يمنع الحج وفق البدع المتبعة من محمل وموسيقى وفرق موسيقية عسكرية ونحوها، إلا أن الكثير من المؤرخين يرى أن الدولة السعودية منعت أتباع ولايات الدولة العثمانية من الحج.

فرضيات الدراسة:

ولعلنا نطرح في هذا البحث أسئلة مهمة، وهي:

١ - قرار منع أتباع الدولة السعودية من الحج، هل كان له ما يبرره سياسيًا أو دينيًا أو أخلاقيًا أو حتى عرفًا؟

٢ - هل قامت الدولة السعودية فعلاً بمنع حجاج ولايات الدولة العثمانية من الحج حين ضمت بلاد الحجاز؟

٣ - هل قامت الدولة السعودية بمنع الحجاج الإيرانيين أو القادمين من الخليج وما وراء الخليج من المرور بأراضي الدولة السعودية نحو الديار المقدسة، أم أن ذلك المنع كان قرارًا سياسيًا ذا دوافع اقتصادية من قبل الأشراف؟ وما الحقيقة التاريخية في هذا الموضوع؟

٤ - هل كانت طرق الحج إلى المدينة المنورة سالكة لقوافل الحجاج المصرية والشامية قبل ضم الدولة السعودية للحجاز؟

٥ - ما مدى المغالطات العثمانية أو ما مدى الموضوعية في طلب محمد علي باشا من الدولة السعودية الأولى القبول بشروط الصلح الذي اتفق عليه طوسون باشا مع الإمام عبدالله بن سعود بشرط السماح للحجاج بالمرور عبر المناطق التابعة لدولته نحو الحجاز لإقرار ذلك الصلح مع الدرعية بعيد عودة طوسون بن محمد علي باشا من القصيم إلى مصر؟

أولاً: بداية التصادم بين الطرفين

المرحلة الأولى من الصدام: سياسة الحصار والإقصاء

كان أول اتصال بين الدرعية وبين أشراف الحجاز حسب رواية أحمد زيني دحلان في عهد الشريف مسعود بن سعيد[1] الذي حكم بين عامي ١١٤٦-١١٦٥هـ/ ١٧٣٣-١٧٥٢م، حيث ذكر أن الدرعية أرسلت إلى الحجاز نحو ثلاثين عالمًا من علمائها، وأن علماء مكة المكرمة باحثوهم وتحققوا من جهلهم، وقد أقاموا عليهم الدليل بكفرهم كما يذكر دحلان الذي لم يذكر ما هذا الدليل، وبناء عليه فقد كفَّرهم قاضي الشرع[2]، ولو افترضنا جدلاً أن رواية هذا

(١) مسعود بن سعيد: هو شريف مكة الذي حكم بمكة المكرمة للمرة الأولى في عام ١١٤٥هـ حيث هزمه ابن أخيه محمد بن عبدالله ثم عاد مسعود للحكم من جديد للمرة الثانية أيضًا في رمضان ١١٤٦هـ حتى توفي في عام ١١٦٥هـ. انظر أحمد السباعي، تاريخ مكة دراسة في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ج٢، ص٤٧٦-٤٩١.

(٢) أحمد دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة، ١٣٠٥هـ، ص٢٢٧-٢٢٨.

المؤرخ دقيقة فإن هذا أمر له دلالاته في قضية التكفير التي ربما من خلالها استُمدت شرعية منع أتباع الدرعية من الحج؛ إذ كثيرًا ما حاول خصوم الدرعية أن يلصقوا تلك التهمة - تهمة التكفير - في حين ظلت الدرعية تنافح وتكافح دون جدوى لإقناع العالم من حولها بأنها لا تكفر الآخرين.

لقد كان هذا الاتصال الأول عام ١١٦٣هـ/١٧٥٠م مجرد استطلاع لتفاصيل الحركة ومبادئها، ثم إعلان موقف من قطع العلاقات الدينية ممثلة في سجن بعض من أتباع الدولة السعودية الموجودين بموسم حج ذلك العام، ثم طردهم أو على الأقل - كما يفهم من بعض الروايات - الإيعاز لهم بالهروب، وأخيرًا تتويج هذه القرارات بقرار ثالث هو في منتهى الخطورة على مستقبل العلاقات بين الطرفين على المدى القريب والبعيد، وهو منع أهالي نجد التابعين للدرعية من الحج، حيث كان ذلك الاتصال الأول بُعيِّد قيام الدولة السعودية ببضع سنوات (ست سنوات تقريبًا).

وقد ظلت هذه القضية - قضية التكفير- تثير العديد من الناس حتى ساعة دخول الجيش السعودي مكة المكرمة[٣]، حيث يقول الجبرتي "ولغط الناس من خبر الوهابي واختلفوا

---

(٣) إبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري البغدادي، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، دار الحكمة، الطبعة الأولى، ١٣١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٢٣٨، و ص٢١٤، ص٢٣٨؛ انظر: جوهان لودفيج بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة د. عبدالله الصالح العثيمين، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، ص٦٧-٦٨.

فيه، فمنهم من يعتبره خارجيًا وكافرًا، وهم المكيون ومن تابعهم وصدَّق أقوالهم، ومنهم من يقول بخلاف ذلك لخلو غرضه"، ويورد الجبرتي أن الإمام سعود كان - فيما يبدو - قد أعطى جل اهتمامه لمسألة الدعاية المضادة لتوضيح تلك الحقيقة وهي أن آخرين هم من كفروا الدولة السعودية وأتباعها، وذلك حين أعطى شيخ الركب الحاج المغربي كتابًا وضمنه بعض الأوراق التي تتضمن صدق عقيدته، وقد جاء فيها: "... فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا.. حتى نصرنا الله عليهم...". ويعلق الجبرتي على رسالة الإمام سعود بقوله: "أقول: إن كان كذلك... فهذا ما ندين الله به نحن أيضًا وهو خلاصة لباب التوحيد وما علينا من المارقين المتعصبين" ويبدو أن الدعاية العثمانية القوية قلبت الحقيقة رأسًا على عقب وبنجاح يندُر أن يكون له مثيل(٤).

ولعل مكاتبات الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد نالت قضية التكفير منها حيزًا كبيرًا، ففي رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب للشيخ عبدالرحمن السويدي ببغداد في أوائل سنوات الدعوة قال: "وأخبرك أني - ولله الحمد - متبع ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين به مذهب أهل

(٤) عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، الجزء الثاني، ص٥٨٨-٥٩١؛ محمد أديب غالب، من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي، دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص٩٣، ٩٧-٩٨.

السنة والجماعة... فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما آمر به من التوحيد، وأنهى عنه من الشرك... وكبرت الفتنة جدًا، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله. منها: إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلاً عن أن يفتريه، ومنها: ما ذكرتم أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجبًا كيف يدخل هذا في عقل عاقل! هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟ وكذلك قولهم إنه يقول: لو أقدر أهدم قبة النبي ﷺ لهدمتها... فهذا كله من البهتان، ... وأما التكفير، فأنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعدما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله، فهذا الذي أكفره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا على ذلك. وأما القتال فلم نقاتل أحدًا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكنًا. ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعدما عرفه"(٥).

وقد ذكر سليمان شفيق - متفقًا مع رواية دحلان - أن تلك المناظرة بين علماء نجد والحجاز قد حدثت في عهد الشريف مسعود بن سعيد بن زيد، وإن كان قد أخطأ في السنة التي حدث بها ذلك الحدث حين ذكر أنه "قد أرسل عبدالعزيز بن محمد بن سعود نحو سنة ١٢١٠هـ [١٧٩٥م]

---

(٥) ابن غنام، تاريخ نجد، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، القسم الرابع، ص٣٢٠-٣٢٣.

(أي في السنوات الأخيرة من عمره) هيئة علمية من علماء الوهابية إلى مكة المكرمة كي يناقشوا علماءها، فالتمس من شريف مكة أن يمكنهم من الالتقاء والمباحثة في عشرين مسألة... فبدأ النقاش بين الطرفين وأجاب علماء مكة الوهابيين أجوبة موافقة، غير أنهم استنكفوا عن قبولها وأصروا على دعاويهم السابقة، فكتبت حجة شرعية بحضور قاضي مكة، والعلماء الوهابيون حاضرون، تبيِّن كفر الوهابيين، فاعتقل العلماء الوهابيون من قبل الشريف، ولكن العديد منهم فروا منتهزين الفرصة إلى الدرعية..."[٦]، وهو أمر يدعو للدهشة؛ حيث إن هذا المؤرخ يُقِر بأن العلماء من قبل الطرفين قد توصلوا إلى اتفاق حيال عشرين مسألة خلافية، ولكنهم مع ذلك "استنكفوا" - أي تراجعوا - ربما تحت الضغط السياسي من قبل الشريف، وعادوا إلى موقفهم السابق الذي كانوا يقولون به قبل المناظرة، ثم كتبوا "حجة شرعية تكفِّر" الوهابيين بحضور قاضي مكة وعلماء نجد المناظرين لهم، لقد كانت القضية سياسية بالدرجة الأولى، فالاتفاق الذي توصل له العلماء قد تم إلغاؤه بأمر سياسي.

وقد ذكر سليمان شفيق أن الرسائل حول ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب بنجد قد وصلت إلى إستانبول في عهد الشريف سرور، وأن أول رسالة وردت حوله كانت في عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م غير أن ديوان السلطان لم يعط أي اهتمام لهذه الرسالة الأولى، بسبب أن ولاية بغداد القريبة

(٦) د. عبدالفتاح أبو علية، دراسة حول المخطوط التركي "حجاز سياحتنامه سي"، دار المريخ، الرياض، ص٢٨-٢٩، ٤٨-٤٩.

من نجد - فضلاً عن الموصل وجدة والشام - لم يرد منها أي أخبار عن هذا الموضوع، "فلما تمادت الرسائل وتواترت الأخبار في هذا المعنى من جهة الحرمين الشريفين؛ تنبه الوزراء في الديوان لخطورة الأمر، غير أن خبرًا جاء من والي جدة مناقضًا لأقوال الشريف المشار إليه، فقرر الديوان الاستفسار عن الأمر من ولاة الولايات المجاورة لنجد، ورفعوا إلى السلطان مذكرة بما استقر عليه رأيهم،... وقد كتب السلطان على تلك المذكرة [المذكرة المرفوعة من قبل ديوان السلطان] خطًا همايونيًا جاء فيه: لقد سبق في كثير من القضايا المهمة أن قيل في أول الأمر: لا شيء يستأهل الذكر هناك، ثم نشأت آلاف المحن والمهالك، فعلى هذا ينبغي أن يتابع هذا الأمر بدقة ويكشف عن كنهه" وبناء على أمر السلطان العثماني عبدالحميد خان الأول فقد أعطى مجلس النظار أو مجلس الوزراء اهتمامه بهذا الموضوع(٧).

وهو ما يراه حسين خزعل من أن الشريف مسعود بن سعيد هو أول من أعلن عداءه للدولة السعودية، فبدأ بحرب إعلامية من خلال رجال يمشون بين الناس بالحج يحرضون على الحذر من هذه الدعوة في نجد، ثم بدأ برفع تقاريره للباب العالي منذ عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م حيث باركت السلطات العثمانية توجهاته، فقرر منع أهالي نجد من الحج، فأرسلت الدرعية ثلاثين عالمًا من علمائها ليبين للشريف صحة معتقدات الدعوة ورغبة الدولة السعودية في علاقات

---

(٧) حسين خلف الشيخ خزعل، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مطابع دار الكتب، بيروت،لبنان ص٣١٩-٣٢٠

جيدة مع الحجاز، وقد دارت مناقشات ومناظرات طويلة بين الطرفين، حتى أحجم علماء مكة عن الرد ونقض الأدلة مع إصرارهم، حيث أصدروا فتوى كفروا بها صاحب الدعوة وعَدّوه مارقًا عن الدين، وصادق على الفتوى قاضي الشرع بمكة، ونشرت بين الناس، وأصدر الشريف أمرًا باعتقال الوفد النجدي وزجهم بالسجون، مات بعضهم فيها وفر آخرون(٨).

ويرى المؤرخ التركي سليمان عِزّي في حوادث عام ١١٦٣هـ/١٧٤٩م أن شريف مكة أبلغ السلطان العثماني بظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد، وأنه سمع أن العلماء في نجد قد بدأوا يتبعونه، وباستشارة الشريف لعلماء مكة في الأسلوب الذي يمكن به مواجهة هذه الحركة أشاروا عليه بإقناعه بالعدول عن رأيه، ففي حالة رفضه العدول يجب قتاله، وأن ابن عبدالوهاب لم يرد على رسالة الشريف؛ مما حدا بالأخير أن يقبض في موسم الحج على نحو ستين رجلاً من أتباع الدرعية ونكل بهم ثم نفاهم إلى بلادهم(٩).

ولعله من الصعوبة بمكان أن ننظر بأي نوع من المصداقية لقصة تجاهل الشيخ محمد بن عبدالوهاب لرسالة الشريف؛

(٨) د. عبدالله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج١، ص١٢٢-١٢٣.

(٩) ابن غنام، المصدر السابق، القسم الثالث، ص١٧٤؛ ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ج١، ص١٧٢؛ د. عبدالفتاح أبو علية، المرجع السابق، ص٣٠-٣١.

لأن الحوادث التاريخية أثبتت اهتمام الشيخ البالغ بالمراسلات وتوضيح كل الملابسات لكل من الزعماء والولاة وحتى معارفه من المشايخ[١٠]، ومن هنا فإننا نجد أن الشريف تجاهل قصة توافق علماء الحرمين الشريفين مع علماء الدرعية، كما أنه حمل سياساته على أنها رأي ومشورة من علماء الدين بالحرم ومن ضمنها إعلان الحرب على الدرعية، كما صوَّر الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنه من الصلف والغرور بأن تجاهل الرد على رسالة الشريف، لقد أراد الشريف أن يعطي انطباعًا وصورة مختلفة كل الاختلاف عن وقائع الحوادث للقيادة السياسية بإستانبول، وذلك من أجل أن تتجه العلاقات بين الطرفين اتجاهًا يتمكن الشريف من رسمه حسب تصوراته الشخصية.

ويبدو أن الاتصالات بين الدرعية وأشراف الحجاز قد توقفت عند تلك النقطة ووفق السياسة التي تم رسمها من قبل الأشراف كما يلي:

١ - إعطاء الصورة المبدئية عن حركة الإصلاح بأنها خارجة عن الدين، بدليل الحجة التي كتبت من قبل علماء الحرم المكي الشريف، وبحضور قاضي مكة العثماني، حيث قامت هذه الحجة "بتكفير" من أطلق عليهم "الوهابيين".

٢ - تخويف الدولة العثمانية من هذه الحركة الخارجة عن الدين في رأيهم، وتأييد ذلك برأي العلماء بمكة بضرورة

---

(١٠) د. مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ المملكة "الحديث والمعاصر"، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٧.

"القتال" وإعلان الحرب عليها من قبل الشريف في حالة عدم العدول عنها، وهو ما يعني أخذ مزيد من الصلاحيات بيد الشريف، ومنها حق إعلان الحرب والقتال ضد من يراهم مارقين عن الدين.

٣ - أن هذا الأمر سيجعل الشريف قادرًا على أن يجد المبرر لطلب الدعم المالي والعسكري (السلاح والعتاد) لتقوية نفوذه ومده في المناطق الداخلية لجزيرة العرب.

٤ - كان الهدف من منع أتباع الدرعية من الحج - إلى جانب أنه إعلان إعلامي بأنهم كفار لا يحق لهم الحج لمكة المكرمة - منع أتباعها من الاحتكاك مع الحجاج المسلمين، مما يشكل نشرًا لأفكار الإصلاح التي يسعى الأشراف في طمس معالمها، كما أن أفعال أتباع الدرعية وأقوالهم في مواسم الحج ستشكل تكذيبًا حقيقيًا لفكرة التكفير التي أطلقها الأشراف على الحركة الإصلاحية بالدرعية.

ولكن فيما يبدو أن عدم إمداد إستانبول للشريف بالمال اللازم والسلاح جعل من استخدام هذا الحق "إعلان الحرب" ضد المارقين عن الدين بنجد مسألة غير ممكنة في تلك الظروف، ولذلك فقد تم منع أتباع الدرعية من الحج، باعتبارهم كفارًا، وجمدت الاتصالات السياسية والدينية معهم، ولكن لم يتم قتالهم لعدم تحقيق إستانبول لطلبات الشريف من المال والسلاح.

وقد جمدت جميع الاتصالات بين الطرفين لما يقارب من عشرين عامًا، بحيث لم نعثر في مصادرنا التاريخية التي بين أيدينا على أي أخبار عن حدوث مثل هذه الاتصالات آنذاك، عدا رواية انفرد بها خزعل عن أنه حدث اتصال واحد في عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م حين استعاد مساعد بن سعيد الحكم مرة أخرى، حيث طالبته الدرعية بالسماح لأهالي نجد بالحج، فرفض ذلك حتى وفاته[١١].

ولعل من أهم الاتصالات التي جرت في مرحلة متأخرة بين سلطات الأشراف بالحجاز التابعين للدولة العثمانية وسلطات الدرعية ذلك الاتصال الذي جرى في عهد الشريف أحمد بن سعيد عام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م والذي يراه خزعل أنه في عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، وسواء كان ذلك جراء قبول أحمد بن سعيد وساطة الشريف منصور، وهو شخصية مهمة من الأشراف، تمكنت كتيبة سعودية كانت في مهمة في عالية نجد من أسرهِ للدرعية، وحين عاد كان فيما يبدو ممتنًا للمعاملة التي لاقاها من قبل رجال دولة الدرعية، فضلاً عن أن إقامته بالدرعية أعطته فكرة صادقة وواضحة عن المذهب الذي تقوم عليه حركة الإصلاح، مما جعله يتحمس للوساطة لدى الشريف أحمد بن سعيد من أجل السماح لأهالي نجد بالحج، وقد قدم إلى الدرعية بنفسه ليقدم الإذن من الشريف لأتباع الدرعية بالحج كما يرى ابن عثيمين، أو أن ذلك كان بمبادرة من الشريف أحمد ذاته للتعويض عن أعمال أسلافه كما يرى حسين خزعل، سواء

(١١) حسين خلف الشيخ خزعل، المرجع السابق، ص٣٢١.

كان هذا السبب أو ذاك فإن من المهم أنه قد سُمح لأهالي نجد بالحج[١٢].

ويرى حسين خزعل - منفردًا برواية حيال ذلك - أن هذا الأمر لم يحصل بمثل هذه البساطة، وإنما حدثت مناقشات بين الشيخ عبدالعزيز الحصين مندوب الدرعية وبين علماء مكة ومفتي السلطان، وتفاوضوا في ثلاث مسائل، وهي ما نسب إلى أتباع الدعوة الإصلاحية من التكفير بالعموم، وهدم القباب التي على القبور وإنكار دعوة الصالحين للشفاعة، وأنه قد أحضرت كتب الحنابلة، فاعترف علماء مكة بصحة الدعوة الإصلاحية، وتحسنت العلاقات بين الطرفين، وأوقفت الدعاية المضادة للدرعية[١٣].

ولعل هذا التطور الإيجابي في مسألة سماح الأشراف - وهم ولاة الحجاز من قبل الدولة العثمانية - لأتباع الدرعية بالحج لم يستمر إلا لعام واحد فقط، ذلك أن أبناء الشريف السابق مساعد بن سعيد بقيادة أكبرهم سنًا قد قاموا بعزل عمهم، ونصبوا سرور بن مساعد شريفًا على الحجاز، فقام بإلغاء قرار عمه السابق بخصوص السماح لأتباع الدرعية بالحج في عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، وأعاد الوضع كما كانت عليه سياسة والده، واستمر هذا المنع أو الحظر على أهالي نجد من الحج حتى وفاته في عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م حيث خلفه أخوه غالب بن مساعد، عدا ما يذكره ابن غنام في

(١٢) د. عبدالله العثيمين، المرجع السابق، ج١، ص١٢٤؛ حسين خلف الشيخ خزعل، المرجع السابق، ص٣٢١.

(١٣) المرجع نفسه، ص٣٢٣-٣٢٤.

كتابه تاريخ نجد من أن الإمام عبدالعزيز تودد لشريف مكة وقدم له هدايا ثمينة من الخيل والإبل واستأذنه في أن يؤدي أتباع الدرعية فريضة الحج، فسمح لهم بالحج لعام واحد في عام ١١٩٧هـ/ ١٧١٣م، حيث تمكن ثلاثمئة رجل من أداء فريضتهم، ثم منعوا من جديد، واشترط الشريف سرور على الدرعية شروطًا جديدة من أجل السماح لأتباعها بالحج كل عام: أن يأخذ منهم ما يأخذه من حجاج الأعاجم من الضرائب والمكوس، وأن ترسل إليه الدرعية في كل عام مئة من جياد الخيل (من خيول قبيلة العجمان) فرفضت الدرعية(١٤).

المرحلة الثانية من الصدام: سياسة المواجهة والحرب

جرى اتصال أخير بين الطرفين في عهد الشريف غالب عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، وكان قد مضى على قيام الدولة السعودية ما يقارب من نصف قرن (٤٧ سنة تقريبًا)، واشتد عودها وبدأت بالتطلع إلى الأقاليم المجاورة، ولعل العامل الأساسي الذي حفز الشريف غالب على إجراء هذا الاتصال هو الأحداث والتغييرات المتسارعة التي تمت على يد القوات السعودية في شرق الجزيرة العربية والخليج العربي، إذ إن التدخل السعودي وتنصيب زيد بن عريعر واليًا على الأحساء من قبل الدرعية، وهزيمة دويحس بن عريعر وخاله عبدالمحسن بن سرداح، وفشل التدخل العراقي في شؤون الأحساء؛ قد غيَّر من موازين

(١٤) ابن غنام، المصدر السابق، القسم الثالث، ص١٥٨؛ حسين خلف الشيخ خزعل، المرجع السابق، ص٣٢٤.

القوى وأحدث واقعًا غير مسبوق، فقد أصبحت الأحساء التي كانت تتحكم في السياسات النجدية تابعة لنجد، ومن هنا فكان لابد للأشراف من اتخاذ موقف واضح ومعادٍ للدرعية، وحسب المعايير السياسية التي تؤمن بها موازين القوى كان لا بد من المبادرة وبسرعة للتصدي لهذه القوة الجديدة.

ويرى الدكتور العثيمين أنه حين أوشكت الدولة السعودية أن تسيطر على الأحساء ذاتها أدرك شريف مكة أنه إن لم يتحرك عسكريًا ضدها فإن القبائل التابعة له في الأراضي الحجازية ستنضم إليها، بسبب قناعاتها بمبادئها أو لمشاركتها بغنائم المعارك(١٥)، وهو ما يراه ألويس موسيل الذي ذكر أن سبب تحرش الشريف هذا هو أن بعض القبائل التابعة له والتي تدفع الزكاة للشريف قد تم غزوها من قبل الأمير سعود بن عبدالعزيز في عهد والده الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود(١٦)، ومن هنا فإن الشريف غالب بن مساعد قد أراد في مستهل حكمه تطوير العلاقة مع الدرعية من مجرد منع أتباعها من الحج إلى تحريك مسار العلاقات والمناورة السياسية التي تدفع العلاقات نحو الأزمة والبحث عن مبرر ديني وإعلامي لإعلان الحرب على الدرعية لاستئصالها، فلم يعد اتباع سياسة المنع أو "الحصار والإقصاء" وحدها كافية في تلك المرحلة.

---

(١٥) د. عبدالله العثيمين، المرجع السابق، ج١، ص١٢٦.

(١٦) ألويس موسيل، آل سعود، دراسة في تاريخ الدولة السعودية، ترجمه عن الألمانية د. سعيد بن فايز السعيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٦٥.

أرسل الشريف غالب إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد كتابًا عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، طلب منه إرسال عالم من علماء الدرعية لتوضيح ما يدعون إليه وما هم عليه، فأرسل إليه القاضي عبدالعزيز الحصيِّن(١٧)، وقد سبق أن أرسله لمناقشة علماء مكة في عهد عم الشريف غالب - وهو الشريف أحمد بن سعيد - عام ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م تقريبًا، وأرسل معه خطابًا كتبه الشيخ محمد بن عبدالوهاب يفوح بالود والصداقة والرغبة في إرساء تفاهم مع الأشراف.

ولكن مع كل هذه النيّات الطيبة للوصول بالحوار إلى الحد الأدنى من التفاهم - ذلك أن الدرعية كانت ترغب في حل معاناة شعبها في إقامة شعيرة الحج وممارسة الركن الخامس في الإسلام - ومع أن الشريف غالب فيما يبدو أبدى ترحيبه على الأقل ظاهريًا بالخطاب ولهجة الخطاب، وأسلوب القاضي عبدالعزيز الحصيِّن بالحوار مع الشريف؛ إلا أن الشريف في بداية الأمر - كما يرى ابن غنّام - "عرف ما برسالة الشيخ من الحق والهدى، فأذعن لذلك وأقر به ولكنه - بعد زمن - أبى وكفر، وتمسك بقديم سنته، فطلب منه عبدالعزيز الحصين أن يحضر العلماء ليقف على كلامهم ويناظرهم في أصول التوحيد، فأبوا الحضور، وقالوا للشريف غالب: هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك، ورفع يدك عما يصل إليك من خير

---

(١٧) ابن غنام، المصدر السابق، ج٣، ص١٧٣.

بلادك، فطار لبُّه حين سمع هذا الكلام، وأصر على ما كان عليه"، ورغم أن ابن غنّام يلقي باللائمة على العلماء بالحجاز لرفضهم الحوار مع موفد الدرعية؛ غير أننا نرى أن الحقيقة فيما يبدو لنا أنه قد تم رفض النقاش والحوار من حيث المبدأ مع الدرعية ليس برأي من العلماء أنفسهم؛ حيث إنه من الصعب أن نتصور أن علماء الحرم سيرفضون طلب الشريف وهو المسؤول عن دعوة الدرعية لإرسال موفدها - خاصة أنه لا توجد شواهد تاريخية على حوادث قوية تؤصل استقلالية قرارهم -، كما يصعب التصور أن يطلب الشريف غالب من الدرعية ذلك دون أن يكون علماء الحرم على علم مسبق بما يجري وأهداف هذا الحوار، ولذلك فإننا نعتقد أن القضية برمتها كانت مرتبة سلفاً؛ أي إنه "أمر أعد بليل" من قبل الشريف غالب ذاته(١٨)،

(١٨) المصدر نفسه، ج٣، ص١٧٤-١٧٥؛ د. عبدالله العثيمين، المرجع السابق، ج١، ص١٢٥؛ يروي حسين خزعل رواية تؤكد ما ذهبنا إليه من أن رأي العلماء لا يلزم الشريف غالب، فقد حدث عام ١٢١٣هـ حين وجد الشريف نفسه مجبرًا أمام الأحداث الإقليمية والدولية على الصلح مع الدرعية أن الوفد النجدي بقيادة محمد بن ناصر بن معمر أدلى بحجته أمام علماء مكة وبحضور الشريف غالب، وبعد جدال طويل خضع علماء مكة وأقروا بصحة قتال الموحدين، ولكنهم أنكروا وجود أي مظاهر للشرك بدعوة الأموات، وقد صرح أحد هؤلاء العلماء وهو يحيى بن صالح الحنفي بأنه لا يقر إلا بما قاله إمامه أبو حنيفة "لأني مقلد له فيما قال، فلا أسلم سوى لقوله حتى لو قلتم قال رسول الله أو قال الله تعالى لأن أبا حنيفة أعلم مني ومنكم بقول الله ورسوله". وانتهت المناظرة دون جدوى. ومع ذلك، وهنا بيت القصيد، وافق الشريف غالب على عقد صلح مع الدرعية. انظر حسين خلف الشيخ خزعل، المرجع السابق، ص٣٦٨-٣٦٩.

وذلك لكي يجد الشريف غالب المبرر الديني والإعلامي لإعلان الحرب على الدرعية.

وكما يبدو فإن الشريف غالب على صعيد السياسة لم يترك أي وسيلة أو مناسبة لتحريض الباب العالي بإستانبول ضد الدرعية حتى قبل عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، وذلك - كما يقول قورشون - أن بعض المحاضر التي كتبها علماء مكة والمدينة عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م، مطالبين السلطان العثماني بالتدخل السريع لحمايتهم من الدرعية، وذكروا أن الدرعية باتت تهدد عنيزة؛ مما يعني أن تلك المحاضر التي لم تؤرخ كانت في مستهل حكم الشريف غالب وقبل سقوط عنيزة بيد الدرعية في عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م، وكما يذكر بوركهارت، فقد أبلغ الشريف الحكومة العثمانية أن أتباع الدرعية، ليسوا إلا "كفارًا". ومما جعل لآراء الشريف غالب مصداقية لدى الحكومة العثمانية أن باشا بغداد كان قد أعطى آراء وتقارير مشابهة للآراء التي قدمها الشريف غالب عن الدرعية في تلك الفترة، ربما ليصل إلى وضع السياسة التي رسمها الشريف غالب تجاه الدرعية موضع التنفيذ.

ويرى بوركهارت أن سياسة الشريف المحرضة وتقاريره المضللة التي كان ينشرها "بمهارة متواصلة" للحكومة العثمانية - بتكفيره لحكومة الدرعية وأتباعها - كانت تهدف إلى "إحباط كل محاولة للتفاوض" بين الحكومة العثمانية وبينهم، وهكذا- حسب رأي بوركهارت - أصبحت الدرعية في نظر إستانبول "جماعة إسلامية متشددة"، ويبدو أن

سياسة باشوات بغداد ودمشق والقاهرة كانت تسهم في تشويه صورة الدولة السعودية تمامًا مثل الشريف و"بأحلك الألوان"[(١٩)].

وهو ما يعني أن السياسات المتشددة للولاة العثمانيين في بغداد ودمشق ومكة والقاهرة قد أدت إلى ردة فعل عكسية من قبل الدرعية، إذ لم تكن الدولة العثمانية تمتلك من الولاة المخلصين الذين يشخصون الداء ويعملون على تشخيصه لقادتهم بإستانبول بدقة؛ بل كانت المصالح الذاتية والمحلية والإقليمية لهؤلاء الولاة تحتم عليهم نقل صورة غير حقيقية عن الأوضاع، فقد كانت الدرعية حريصة كل الحرص - وحسب وصية الإمام محمد بن سعود - على عدم الاصطدام مطلقًا مع الدولة العثمانية، والتعايش معها، والامتناع عن القيام بشيء قد يلفت نظرها كما يذكر قورشون، ولو كان هناك ولاة مخلصون للدولة لما وصلت العلاقات بين الدولة السعودية والدولة العثمانية إلى التصادم مطلقًا[(٢٠)].

ويبدو أن الشريف قد رأى أنه قد حقق الجانب الإعلامي، والمبرر السياسي الذي يقنع أسياده في إستانبول من جهة، كما يقنع أتباعه من جهة أخرى بإعلان الحرب على الدرعية،

---

(١٩) بوركهارت، المصدر السابق، ص١٤، ٨١؛ راند آل بيكر، مملكة الحجاز الصراع الشريف حسين وآل سعود، ترجمة صادق الركابي الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠٤م، ص١٩؛ أ. د. زكريا قورشون، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني ١٧٤٥-١٩١٤م، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م ص٥٣.

(٢٠) المرجع نفسه، ص٤٦.

وإن كانت الدولة العثمانية قد أعطت أسلافه الأشراف منذ وقت مبكر الإذن أو الأمر بالقيام بما يرونه ضروريًا تجاه الدرعية، بل كلفتهم بالعمل على ذلك ولم يعملوا على تنفيذ تلك الأوامر كما أسلفنا.

ولعل الشريف غالب بدأ يطلب التصريح من جديد بضرورة السماح له بالتصدي للدولة السعودية، ولكن بالبحث الدقيق من قبل الحكومة العثمانية وجدت أن كل هذا التشدد من قبل الأشراف مبني على أهواء نفسية، ولذلك لم تستجب له في بداية الأمر، ولكن أمام تكرار الشكاوى رأت الحكومة العثمانية تكليف باشا جدة ثم باشا بغداد بالمهمة، وكأنها لمست من الأشراف أنهم يبالغون في تقاريرهم من أجل زيادة نفوذهم[٢١].

وعلى أي حال فقد كان الأشراف - مستغلين مسألة المبالغة في تقاريرهم وتخويف السلطات العثمانية من توسع الدولة السعودية وتهديدها للحجاز - قد زادوا من نفوذهم وسلطتهم على حساب السلطات العثمانية التي كانت تزداد انشغالاً بمشكلاتها في أوروبا كما تزداد ضعفًا، وقد بدأ الأشراف ومنذ عهد الشريف غالب بتصعيد الأمور مع الدرعية دون التشاور مع إستانبول، وسواء كان ذلك خوفًا على ضياع نفوذهم أم استغلالاً لضعف الدولة العثمانية وسعيًا من جانب آخر - على حد تعبير قورشون - "للتضييق على الباب العالي"[٢٢].

---

(٢١) المرجع نفسه، ص٥١، نقلاً عن الأرشيف العثماني، (HH 3826).

(٢٢) المرجع نفسه، ص٥٣.

ومن هنا فقد كانت سياسة الشريف غالب تجاه الدرعية تسير على وتر تصعيدي باطراد:

١ - فمنذ أن تولى الحكم بمكة عقب وفاة أخيه سرور مباشرة، بدأ يحرض الأعيان والعلماء في مكة المكرمة والمدينة المنورة على كتابة مذكرات للسلطان العثماني تشكو مضايقات وخطر الدولة السعودية على كل من حولها، وذلك في عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م.

٢ - رفض دعوة الدرعية له ومساعيها لديه "بتحسين علاقاتها معه وطلبت إليه السماح لأهل نجد بدخول مكة لأداء فريضة الحج وأخبرته بأن مكة طبقًا لأحكام الشرع بلد آمن يدخله كل مسلم دون قيد أو شرط أو استثناء، وأن منع المسلمين عن أداء فريضة الحج دون سبب شرعي أمر غير جائز ولا يقره الدين... فرفض ما عرضته عليه الدرعية وأصر على عدم السماح بدخول أهالي نجد إلى مكة، وذلك عام ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م"[٢٣].

٣ - ثم كان الإجراء الأول الذي اتخذه الشريف قبل إعلان الحرب ضد الدرعية هو إصداره أمرًا يمنع الحجاج الذين يمرون عبر منطقة نجد من القدوم إلى مكة؛ ذلك أن حجاج نجد لا يزالون ممنوعين من الحج منذ عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م؛ وقد اتخذ هذا القرار الجديد بمسوِّغ غريب، وهو أن أتباع الدرعية ليسوا على الإسلام الصحيح، ويجب حماية الحجاج من الاختلاط بهم، وقد

(٢٣) حسين خلف الشيخ خزعل، المرجع السابق، ص٣٢٥.

ترتب على هذا القرار أضرار اقتصادية كبرى على الدولة السعودية، فقد كان القرار بمنزلة إعلان حصار اقتصادي على الدرعية، وكانت تلك القوافل للحجاج القادمة من الخليج والعراق تمر بأراضي الدولة السعودية منذ عام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م وينتج عن ذلك فوائد اقتصادية جيدة للمدن والقرى التي تمر بها تلك القوافل[٢٤]، وهو ما يثبت أن الإجراءات التي اتخذها الأشراف كانت وراء كل الأزمات اللاحقة التي ستتخذ فيما بعد حيال قضية منع الحجاج، وتحمل الدولة العثمانية الجانب القانوني - في حقيقة الأمر - من المشكلة.

وقد رأى الشريف غالب أنه بعد إعلان موقف علماء الحرم قد آن أوان استخدام ذلك التصريح له - من قبل إستانبول - باستخدام القوة ضد الدرعية، ولذا فلم تمض أشهر قليلة حتى شكل حملة قوية من حيث العدد والعدة، بحيث اتجه الشريف غالب بالصراع نحو نقطة اللا عودة، ويصف ابن بشر الموقف داخل نجد بأنَّ وقّع خبر الحملة كان كبيرًا كالصاعقة على أسماع الناس هناك، وأن الكثيرين أيقنوا بنهاية الدرعية؛ لذا نقضت بعض القبائل في المناطق المتاخمة للحجاز عهودهم السابقة للدرعية، مثل مطير وشمر، بل كان الشريف غالب قد أرسل دعاة إلى المدن والمناطق المحيطة بالحجاز يدعون القادرين على حمل السلاح بالقدوم إلى مكة المكرمة، وانضم كثير من القبائل والأفراد

(٢٤) ألويس موسيل، المصدر السابق، ص٦٧.

طواعية للجيش الغازي، وقد شكل مثل هذا التدخل العسكري إلى جانب منع أهالي نجد من الحج، ثم منع الحجاج من غير أتباع الدرعية من القدوم إلى مكة عبر الأراضي النجدية نوعًا من التضعضع للجبهة الداخلية السعودية بحيث أعلنت تلك القبائل التابعة للدرعية الانضمام إلى الأشراف(٢٥).

وينفرد حسين خزعل برواية غريبة لم يوردها ابن غنام مؤرخ الدعوة كما لم يوردها ابن بشر، ومفادها أنه بعد هزيمة الشريف غالب في عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م بدلت بعض القبائل - كقبيلة البقوم - ولاءها، فحاربها ولكن قواته هزمت أمامها في عام ١٢٠٦هـ/١٧٩١م، فجنح غالب للسلم، وأرسل كتابًا إلى الدرعية يدعو فيه الإمام عبدالعزيز ومن يشاء من أهل نجد للحج، وقد استجاب الإمام لهذه الدعوة وقام بالحج هو وولده سعود وكثير من أهل نجد(٢٦). ولعله من الصعب الأخذ بهذه الرواية، حيث إن مؤرخي الحركة الإصلاحية لم يذكروها مطلقًا، وهو حدث كبير من الصعب أن يتجاهلوه، بل إن المؤرخ نفسه يعود لسرد معارك جرت بين الطرفين عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م و ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م دون أن يذكر كيف انتقلت العلاقات فجأة من الصلح والسلام إلى الحرب مرة أخرى(٢٧).

(٢٥) ابن غنام، المصدر السابق، القسم الثالث، ص١٧٥-١٧٧؛ ابن بشر، المصدر السابق، ج ١، ص١٧٣-١٧٤.

(٢٦) حسين خلف الشيخ خزعل، المرجع السابق، ص٣٢٧-٣٢٨.

(٢٧) المرجع نفسه، ص٣٦٥.

ثانياً: جهود الدولة السعودية مع الأشراف

ظلت العلاقات بين الدولة السعودية الأشراف - ولاة الحجاز من قبل الدولة العثمانية - متوترة تسيطر عليها المعارك العسكرية على مختلف الجبهات بين الطرفين، ابتداء من معركة قصر بسام والشعراء عام ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، وحتى الجمانية عام ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م وصولاً إلى معركة الخرمة الفاصلة عام ١٢١١هـ/١٨٩٦م، وأمام تغير الظروف الدولية والإقليمية والمحلية (على الحدود بين الطرفين) خاصة بعد هزيمة القوات العراقية، وغزو القوات السعودية للأراضي العراقية، وانضمام قبيلتي عتيبة والبقوم للدولة السعودية، إلى جانب الغزو الفرنسي لمصر، أضف إلى كل ما سبق الإخفاقات العسكرية المتتالية للجيش الشريفي على الجبهة أمام القوات السعودية؛ فقد اضطر الشريف غالب إلى طلب الصلح مع الدرعية فرحبت الأخيرة بالقرار.

من المؤكد أن الضغط العسكري قد أتى بنتائج طيبة للقوات السعودية، إذ إنه حقق ما لم يحققه الصبر والمراسلات والمناظرات بين العلماء خلال ما يزيد عن نصف قرن، لقد كانت السياسة التي اختطها الطرفان كالآتي: الأشراف يريدون منع أتباعهم وأتباع الدولة العثمانية من الاحتكاك بحجاج الدرعية المؤمنين بقوة بمبادئ حركة الإصلاح الديني القائمة على المنابع الأصلية للدين الكتاب والسنة، لكي لا تنتشر مبادئ تلك الحركة في أنحاء الولايات العثمانية كافة، حيث إن موسم الحج هو أفضل مكان لتبادل

الحجاج السعوديين أفكارهم مع حجاج الأمة الإسلامية، وكلما منع هؤلاء من الحج طال أمد سلامة الجانب الديني والاجتماعي والسياسي المتردي الذي ترعى إدارة الشريف غالب – ومن سبقه – إدامته واستمراره، أما الدولة السعودية فكلما تمكنت من إقناع الأشراف بتغيير موقفهم وقبول أتباع الحركة الإصلاحية وتمكينهم من الحج؛ أسهمت هذه السياسة في الابتعاد عن سفك الدماء بالبلد الحرام والتميكن من نشر عقيدة الحركة سلميًا في مختلف البقاع، والتميكن من الاتصال بحجاج من مختلف الأمصار، والتأثير الإيجابي من خلال عرض المبادئ الإصلاحية عمليًا من خلال مشاعر الحج والقدوة الحسنة.

لعل المؤرخين النجديين لم يدونوا لنا كل الجهود التي قام بها الإمام محمد بن سعود وعبدالعزيز بن محمد والشيخ محمد بن عبدالوهاب مع أشراف الحجاز خلال أكثر من نصف قرن، وقد دون القليل من تلك اللقاءات بين علماء نجديين وعلماء من الحرم المكي الشريف، وقليل من تلك الرسائل بين الطرفين، غير أن المدهش هو أن الأشراف لم يدركوا أهمية اقتناص النظرة الإيجابية من قبل الشيخ محمد بن عبدالوهاب لهم؛ بحيث كان يمكن أن يستثمروه لصالح علاقات متبادلة حسنة بين الطرفين إن لم تكن كفة الأشراف هي الراجحة في تلك العلاقات، فقد كتب الشيخ في رسالته التي أرفقها مع مندوبه إلى الشريف غالب ما نصه: "... فلما طلب منا الشريف غالب أعزه الله ونصره، امتثلنا وهو إليكم واصل... فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر

عليه"[٢٨]، والنص واضح من خلال معناه الصريح أن الدرعية تنظر للأشراف نظرة احترام، وهو ينبئ عن مضمون العلاقة التي يريدها الشيخ أن تقوم بين الدرعية وبين أشراف مكة، غير أن الشريف غالب لم يحسن استثمار الأمر كما ينبغي.

قضية منع الحج وجذورها:

شغلت هذه القضية الكثير من المؤرخين، وجعلوا منها قضية الهدف منها هو قذف جانب واحد من طرفي الصراع وهي الدولة السعودية الأولى، من دون تمحيص للقرارات التي أصدرتها الدولة السعودية آنذاك، ولعلنا نتناول هنا شؤون الحج في السنوات الأخيرة قبيل ضم الدولة السعودية للحجاز، من خلال طرح فرضية حول من قام بممارسة منع الحج أولاً، الدولة العثمانية ممثلة في سلطة الحجاز من الأشراف؟ أم القبائل المسيطرة على طريق الحج؟ أم الدولة السعودية الأولى؟ وفي الوقت الذي كان الشريف غالب يمنع أتباع الدرعية من الحج؛ هل قام بأي جهد لممارسة واجباته التي تمليها عليه شرافة مكة لتأمين سبل الحج لحجاج الشام وتركيا ومصر والمغرب بحسب الصلاحيات نفسها والولاية الشرعية التي استمد من خلالها منع أتباع الدولة السعودية من الحج؟!.

كانت القبائل العربية البدوية المستوطنة على طريق الحج ما بين العقبة وحتى المدينة المنورة قد أوجدت لها مع الزمن حقاً ليس لها شرعًا، فهي تفرض على سلطات الحج المصرية

---

(٢٨) ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص١٧١-١٧٢.

والشامية والعراقية رسومًا أطلق عليها اسم (عوائد) أو (عادات)، وهي نوع من الرسوم والضرائب تأخذها تحت اسم هو في حقيقة الأمر اسم مهين في ذاته، "الصرر" و"العلائف"(٢٩)، والأخيرة هي رسوم غير شرعية فرضت بحق القوة والغزو، لا بحق شرعي كالصرر التي تمنح من الدولة العثمانية للبادية، وكأن هذه القبائل البدوية قد قررت أن تأخذ حقها من حكومة الدولة العثمانية بسبب إهمالها لسبل التنمية الحضرية أو القروية أو حتى لشؤون البادية؛ وذلك عن طريق الضغط عليها في جانب حيوي من جوانب الحياة الدينية للمجتمع؛ وهو تأمين طريق الحج الذي كانت قوافل الحجيج تمر به من خلال مناطق تلك القبائل، فعلى الحكومة العثمانية إذاً أن تدفع ضريبة لتلك القبائل تعادل ما يمكن تسميته "كلفة حفظ الأمن" للحجاج، المساوي لكلفة التنمية أو البديل عنها.

وحيث إن الدولة لابد أن تؤمن مرور هذه القوافل، وتؤمن طرق الحج؛ فقد اتخذت تلك القبائل التي تحتل مواقع إستراتيجية تمكنها من تهديد تلك الطرق والقوافل وسيلة للضغط على الدولة لتقديم مبالغ مالية تعويضًا لها عن إهمالها لشؤونهم وتنمية مناطقهم المهددة بالجفاف والمجاعة، وحقهم عليها برعاية شؤونهم - في ظل فساد إداري للحكومة

(٢٩) العلائف: علف - علفاً وعلف وأعلف الدابة: أطعمها، والعلف هو ما تطعم الدواب، والعليفة جمع علائف الدابة تعلفها ولا ترسلها للرعي، فؤاد البستاني، منجد الطلاب، الطبعة الثالثة والعشرون، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦م، ص٤٩٤.

العثمانية التي كان يطلق عليها رجل أوروبا المريض - مقابل عدم تعرضهم لتلك القوافل بتهديدها وتعريضها للخطر، ونتيجة لعدم رغبة الدولة في تنمية تلك المناطق وعدم رغبتها بتأمين تلك الطرق من خلال قلاع أو قواعد عسكرية تفرض الأمن في تلك المناطق ولو من خلال توظيف أبناء تلك القبائل للقيام بهذه المهام، بالإضافة إلى عدم قدرتها على إصلاح إدارتها من الفساد المستشري بها؛ فقد آثرت - وذلك أقل التكاليف - أن تدفع هذه العوائد أو الرسوم من "الصرر والعلائف" لزعماء تلك القبائل.

وكان الفساد مستشريًا بولايات الدولة العثمانية إلى حد كبير، إلى درجة أن يتقاسم المسؤولون عن الحج في ولاية مصر العثمانية مخصصات الحج والمصروفات المقررة على عوائد القبائل ومصروفات قوافل الحجاج وغيرها فيما بينهم على حد ما أورده الجبرتي؛ مما يعرض تلك القوافل للفناء، ويخل بالتزامات الدولة تجاه تلك القبائل التي رأت أن عوائدها حق مكتسب لها مع مرور الزمن؛ ولذا فإنها ستقوم ببعض مظاهر التمرد في أي وقت قد لا تحصل على مخصصاتها التي أصبحت من وجهة نظر تلك القبائل شرعية مع الوقت، فكما أنها أبطلت أو قاومت إغراءات عادة الغزو فيجب أن يدفع لها في مقابل ذلك، ولذا فقد تحولت ثورات القبائل واحتجاجاتهم على سرقة عوائدها أو تأجيلها أو تقليصها إلى ثورات مدمرة، وتجعل من الإسلام دينًا غير موجود في واقع الحياة الاجتماعية في الحجاز في تلك الفترة، سواء من جانب القبائل أو من جانب الحكومة

العثمانية وحكومات ولاياتها في الشرق العربي، وخاصة ولاية مصر والحجاز التي تقع عليها مسؤولية تنمية تلك المناطق وتأمينها.

ومن الغريب أن بعض المؤرخين كالدكتور زكريا قورشون يتهم الدولة السعودية بأنها كانت سببًا من أسباب مشكلات طريق الحج، حيث يقول: "ومن ناحية فإن طريق الحج لم يعد آمنًا بسبب الغارات التي كان الوهابيون يشنونها دون هوادة هنا وهناك، وكانت أعداد الحجاج المتوجهين إلى مكة المكرمة في تناقص مطرد، وهذا الوضع بالطبع كان يضر بالحياة الاقتصادية في البلدات المقدسة، إذ كان يزيد نشاطها كثيرًا مع وفود الحجيج، وذلك كان يؤدي إلى تقلص موارد شريف مكة المكرمة، ومن ثم أعلن أمير مكة الجديد الشريف سرور بن مساعد في عام ١٧٧٠م/ ١١٨٤هـ أنه قد يسمح للوهابيين بالحج إلى مكة المكرمة إذا قبلوا تأدية ضريبة تشبه تمامًا الضريبة التي يؤديها الشيعة، ولم يقبل الوهابيون هذا المقترح، وإنما فضلوا سبيل الحل بالسيف، وشرعوا في شن غاراتهم على أطراف الحجاز"[٣٠]. وإلى مثل هذه التعميمات يذهب المؤرخون من أكاديميين وغيرهم دون بحث عن الحقيقة التاريخية، فمن المعروف أن الحرب أو الغارات العسكرية لم تبدأ أصلاً بين الدرعية والأشراف إلا في عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م في عهد الشريف غالب، في حين منع الأشراف أتباع الدرعية من الحج منذ عام ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م، ولم يسمح لهم

(٣٠) أ. د. زكريا قورشون، المرجع السابق، ص٤٩.

بالحج إلا عامًا واحدًا فقط هو عام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م بوساطة من الشريف منصور - الذي قبض عليه عن طريق كتيبة عسكرية في عالية نجد - لدى الشريف أحمد بن سعيد، فسمح لهم بالحج ذلك العام، بيد أن الشريف أحمد قد قام عليه أبناء أخيه مساعد بانقلاب فعزلوه وعينوا مكانه أكبرهم سرور الذي أراد إلغاء قرار عمِّه والعودة إلى سياسة والده في منع أتباع الدرعية من الحج، وقد لجأ إلى البحث عن أسباب تجعل رفض الدرعية هو المتسبب في منع أتباعها حسب فهمه، فقام بفرض ضريبة عليهم كالضريبة التي يأخذها من الشيعة.

قبل بداية النشاط السعودي العسكري على حدود الحجاز بأكثر من عشر سنوات، وتحديدًا في ١٢ صفر ١١٩٤هـ/ ١٧ فبراير ١٧٨٠م، عاد حجاج مصر إلى القاهرة من موسم حج عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م بعد كارثة أودت بهم بسبب ثورة القبائل العربية واحتجاجاتها على حكومة ولاية مصر كما ذكر الجبرتي، حيث ذكر أنه قد "دخل الحجاج إلى مصر وأمير الحج مراد بك، ووقف لهم العربان في الصفراء [وهي بين بدر والمدينة المنورة] والجديدة وحصروا الحجاج بين الجبال وحاربوهم نحو عشر ساعات ومات كثير من الناس والغزو والأجناد، ونهبت بضائع وأحمال كثيرة، وكذلك الجمال والدواب، والعرب بأعلى الجبال والحج أسفل... كل ذلك والحج سائر"(٣١).

---

(٣١) عبدالرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج١، ص٥٤٨.

أي أن القافلة المصرية منعت من الحج في ذلك العام ١١٩٣هـ (١٧٧٩م) وقبل أكثر من سبعة وعشرين عامًا من ضم الدرعية للحجاز، ولم تصل إلى الأماكن المقدسة، وتستمر ثورات القبائل الذين لم تردعهم قوة ليرجعوا إلى الحق ويفرقوا بين حقوقهم وحقوق عباد الله من ضيوف بيت الرحمن عليهم؛ فقد استحلوا المال الحرام والدم الحرام للمسلمين، ورغم مكاتبات الشريف سرور الذي شكل ما يشبه المؤتمر للتجار والأمراء والعلماء وكاتبوا السلطات المصرية عن أسباب "منع غلال الحرمين وغلال المتجر والشكوى من زيادة المكوس عن الحد"، إلا أن الحكومة المصرية تغافلت - كما يقرر الجبرتي - آنذاك عن قراءة تلك الشكاوى الواردة من الحجاز[٣٢]، وتركت الأمور على ما هي عليه من فساد إداري ومالي أصبح الحجاج والتجار يدفعون ثمنه غاليًا من أرواحهم وأموالهم أمام عدو قبلي جاهل لا يرحم، وفساد حكومي غير قابل للإصلاح، وقد كان الأولى لتلك القبائل تطوير احتجاجاتهم ضد الفساد بشكل لا يعتدى فيه على حرمات المسلمين وبطريقة تضمن حقوقهم.

وأمام بطء الإدارة العثمانية في تغيير الخطأ وإصلاح الفساد المتسبب بهذا الشغب القبلي؛ فقد قامت بعض قبائل المنطقة بثورة دموية كبرى، غير أنها لم توجه نقمتها لسلطات الحجاز أو السلطات المصرية أو العثمانية أو قادة قوافل الحجاج المتسببين بسرقة عوائدهم؛ وإنما ضد قوافل

(٣٢) المصدر نفسه، ج١، ص٥٨٤؛ محمد أديب غالب، المرجع السابق، ص٥٨.

الحجاج الذين جاؤوا لأداء فريضتهم الدينية؛ بما يمثل دمهم ومالهم وشعيرتهم من حرمة، ففي ١٦ صفر ١١٩٩هـ (٢٨ ديسمبر ١٧٨٤م)، وكذلك في موسم حج عام ١١٩٨هـ (١٧٨٣م) كما يروي الجبرتي: "حصل للحجاج في هذه السنة مشقة عظيمة من الغلاء وقيام العربان بسبب عوائدهم القديمة والجديدة، فلم يزوروا المدينة المنورة - على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام - لمنع السبل وهلك عالم كثير من الناس والبهائم من الجوع، وانقطع منهم جانب عظيم،... ولم يبق منهم إلا أمير الحج وأتباعه"، ثم لاحقت بعض القبائل حجاج المغرب العربي حتى مدينة العقبة "وحصروهم ونهبوهم وقتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم إلا نحو عشرة أنفار". وفي عام ١٢٠١هـ (١٧٨٦م) لم تقم الدولة العثمانية أو السلطات بولاية مصر بأي إجراءات عملية لحل مشكلة الحجاج مع القبائل، فقد "دخل الحجاج مصر على حين غفلة وهم في أسوأ حال من العري والجوع، ونهبت أحمال أمير الحج وأحمال التجار وجمالهم وأثقالهم وأمتعتهم، وأسر العرب جميع النساء بالأحمال، وكان أمرًا شنيعًا جدًا، ثم إن الحجاج استغاثوا بأحمد باشا الجزار أمير الحج الشامي، فتكلم مع العرب في أمر النساء، فأحضروهن عرايا ليس عليهن إلا القمصان، وأجلسوهن جميعًا في مكان، وخرجت الناس أفواجًا من وجد امرأته أو أخته أو أمه أو ابنته وعرفها اشتراها ممن هي في أسره"(٣٣)، أي أن والي عكا وأمير الحج الشامي أحمد باشا الجزار لم يحرر نساء قافلة الحج؛ وإنما

---

(٣٣) عبدالرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج١، ص٥٩٢.

فقط قد اتفق مع هذه القبائل التي أسرت نساء مسلمات، على حق منسوبي قافلة الحج على فدية نسائهم.

ويبدو أن هذه الثورة غير المبررة كانت أيضًا بسبب أعمال غير مبررة من قبل أمير الحج المصري الذي قرر أن يعطي زعماء القبائل عوائدهم سنتين وقسط الباقي على السنوات المقبلة وحجز لديه رهائن من قبلهم، ولكنه قام بكيهم بالنار على وجوههم، فأغضب القبائل بتصرفاته، فبدلاً من قتل المجرم الجاني وهو أمير الحج المصري عاث العرب بثورتهم فسادًا ضد الحجاج الآمنين[٣٤].

وقد صادر العرب في تلك الثورة المحمل المصري، فاضطر أمير الحج المصري الذي قام بكي رهائن البدو بتزييف محمل مزور قديم ليدخل به القاهرة، ولعل الأمور والشؤون العربية والإسلامية قد تدنى أمر الاهتمام بها كما ينبغي، فنجد أن الشريف سرور بن مساعد يجرد جيشًا عظيمًا بلغ حوالي

(٣٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٥، محمد أديب غالب، المرجع السابق، ص٦٧، و ص٧٠؛ في الوقت ذاته كانت بلاد نجد والأحساء وكل البلاد التابعة للدولة السعودية في أمن وأمان واطمئنان، ويورد صاحب كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب قصة عن الأمن في عهد عبدالعزيز بن محمد حيث بايعه رجل من أهل القصيم وكان قد اعترض امرأة وأخذ منها كل مالها مقابل عدم الاعتداء عليها، وبعد أربعة عشر سنة، تمكن من معرفته وأخذ ما سلبه من المرأة ورده إليها وإلى زوجها. انظر: مؤلف مجهول، كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ص٥٣؛ ويورد بوركهارت قصة عن سعود الكبير حين هاجم بلاد الشام عام ١٢٢٥هـ/١٨١٠م "وقد أسرت امرأة مسيحية وحملت سبيًا لكن سعود أمر بإطلاق سراحها بعد ذلك بأيام" انظر بوركهارت، المصدر السابق، ص١٠٣.

خمسة عشر ألف مقاتل ليس الهدف منه حماية الحجاج أو الانتقام مما حصل لهم، وإنما الهدف منه حصرًا هو تحرير المحمل المصري من الأسر.

ولعله كان الأجدى أن يتم بذل الجهد لحماية قوافل الحج في بلاد الحجاز أو حفظ أمن طريق الحج ما دام أنه يمتلك قوة كبيرة كهذه القوة، أو أن تبذل مصاريف الحملة على التنمية التي قد تساعد تلك القبائل على الهدوء، بل يذكر الجبرتي أن أحد كبار الأشراف قد دفع فدية لقبيلة حرب التي أسرت المحمل قدرها أربعمئة ريال فرنسي من أجل تحرير ذلك المحمل، ثم ذهب ذلك الشريف - الذي يبدو أنه قائد جيش الشريف سرور - بعد أن قتل من القبائل نحو ثلاثة آلاف رجل وصفهم الجبرتي بقوله: "وأفنى منهم خلائق لا تحصى"، ذهب إلى مصر لإيصال المحمل إلى هناك، حيث استقبل من باب النصر بالقاهرة "فلما حضر خرج لملاقاته الأشابير وأرباب الطوائف (والمحمل دارية)... وأمامه الأشابير والطبول والزمور وذلك الشريف راكب أمامه"[٣٥].

دور الدولة العثمانية في الصراع بين الطرفين:

بعد أن حدثت المعارك الأولى على أطراف الحدود بين الأشراف والدرعية كتب أمير الحج والشام أحمد باشا الجزار- في عام ١٢٠٨هـ (١٧٩٣م) - إن السعوديين يضمرون في أنفسهم الهجوم على مكة، وإن الأمر أخطر بكثير مما

---

(٣٥) عبدالرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج١، ص٥٤٨؛ و ج٢، ص١٢؛ محمد أديب غالب، المرجع السابق، ص٥٨، ص٦٧.

يعتقد الشريف غالب، مما استدعى أن ينعقد مجلس مشورة عثماني للتباحث في خطورة الموقف، وانقسم المجلس إلى ثلاثة أقسام: قسم مطلع على الأمور رفض تصديق مثل هذا الأمر، بحجة أن محمد بن عبدالوهاب رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يمكن تصديق أنه سيفعل مثل ذلك، وقسم يرى أن "الوهابيين هم كأصحاب الفيل يجب قتالهم ما داموا يفكرون بهذا الأمر، أما القسم الثالث فرأى ضرورة إحالة المسألة لباشا بغداد لأخذ رأيه بمثل هذا الرأي بحكم مجاورته للدرعية من الشمال فأرسلت الحكومة العثمانية إلى والي بغداد تسأله عن رأي أحمد الجزار حول اعتداءات الدرعية على الحجاز، وأرسل باشا بغداد هيئة قابلت الإمام عبدالعزيز بالدرعية وسلمته خطابًا يحذره وينهاه عن الاعتداء على أطراف الحجاز، وقد كتب الإمام عبدالعزيز خطابا لسليمان باشا والي بغداد ومعه عريضة أو ربما مذكرة يطلب تسليمها للباب العالي، شرح فيها الأوضاع وأنكر الاعتداء على أطراف الحجاز، وطلب التحقق من ذلك بدقة، كما قدم تعهدًا كتابيًا حول عدم الاعتداء على أطراف الحجاز بشكل قاطع، ولكنه فيما يبدو ربط بين ذلك وبين عدم منع أتباعه من الذهاب إلى الحج. وقد كشفت الهيئة عن مدى امتداد نفوذ الإمام عبدالعزيز والوفود القادمة إليه من اليمن وجهات جزيرة العرب لمبايعته مؤكدة أن قوته في قمتها، وقد وصلت المعلومات مفصلة إلى الصدر الأعظم الذي أعطى تلك المعلومات مفصلة للسلطان العثماني، وبيَّن الصدر الأعظم أنه - بعد أن أصبحت الصورة واضحة - سيكون من

المفيد إبلاغ الشريف غالب بعدم منع الوهابيين من أداء فريضة الحج خاصة بعد أن بينت نتائج تلك التحقيقات أن المسألة قد بلغت حدًا لا يمكن السكوت عليه"(٣٦).

وهو ما يؤكد أن كامل المسؤولية في منع حجاج الدرعية خلال نصف قرن يقع على عاتق الأشراف، وأن الدولة العثمانية كانت من الضعف أن استجابت لطلب الشريف رغم أنها لم يكن من رأيها بالأساس أن يُمنع أتباع الدرعية من الحج، بل إنها أيضًا حتى حين قرر الصدر الأعظم وبعد أن أقنع السلطان العثماني بأن هذه "المسألة قد بلغت حدًا لا يمكن السكوت عليه" وأنه من المهم أن يسمح الشريف لأهالي نجد بالحج؛ فإنه لم يستطع إجبار الشريف غالب على ذلك، وقد ظلت الأوضاع على ما هي عليه حتى تغيرت الظروف المحلية والإقليمية والدولية في عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م حين هُزم الشريف بمعركة الخرمة وضمت الدرعية قبيلتي البقوم وعتيبة على تخوم الحجاز، وهزم الجيش العراقي أمام الجيش السعودي، وتم لنابليون احتلال مصر؛ فاضطر الشريف غالب مرغمًا إلى طلب الصلح مع الدرعية، حيث بدأ أتباع الدولة السعودية الأولى بمزاولة الركن الخامس للإسلام وأداء فريضة الحج وفق شروط الصلح. بل إن قورشون يلمح إلى أن الشريف غالب قام بأكثر من خمسين حملة ضد الدولة السعودية دون أن يطلع الدولة العثمانية على تفاصيل تلك الحملات، ولكنه حين "لم يحقق نجاحًا في

(٣٦) أ. د. زكريا قورشون، المرجع السابق، ص٥٦.

تلك السياسة العسكرية كتب للباب العالي، وأخبره أن شوكة الوهابيين قويت"[٣٧].

ولعل من أغرب الروايات التي ذكرت عن تلك الفترة من الصراع (أي بين عامي ١٢٠٧-١٢١٣هـ/ ١٧٩٢-١٧٩٨م) هي ما أوردها المؤلف المجهول صاحب كتاب لمع الشهاب، حيث ذكر أن الإمام سعود بن عبدالعزيز كان يأتي إلى مكة للحج ويعود من عرفة لعدم تمكين الشريف غالب له من دخول مكة المكرمة حاجًا ولعدم قدرة سعود الكبير على القتال في بلد الله الحرام[٣٨].

المرحلة الثالثة من الصراع: طلب الأشراف للصلح الدرعية تأخذ حقها في الحج لمكة:

وقد أرسل الشريف غالب رسالة للإمام عبدالعزيز طالبًا الصلح وترسيم الحدود بين الطرفين والقبائل التابعة لكل منهما، فوافق الإمام على ذلك، وبعد مراسلات حول طبيعة الصلح اجتمع مندوبو الطرفين وتم الاتفاق على الحدود الفاصلة بينهما وأقرت تلك الشروط من قبلهما.

وبهذا فقد حققت الدرعية من حربها ضد الأشراف أكثر مما كانت تطمح إليه، وبدأت الدرعية في كل عام ترسل حجاجها إلى مكة المكرمة[٣٩]، مما نتج عنه فهمٌ عميقٌ لمبادئ الحركة

(٣٧) المرجع نفسه، ص٥٣-٥٤.

(٣٨) مؤلف مجهول، (لمع الشهاب) المصدر السابق، ص٩٩.

(٣٩) أحمد السباعي، المرجع السابق، ج٢، ص٥٥٤؛ حسين خلف الشيخ خزعل، المرجع السابق، ص٣٧٢

الإصلاحية لدى بقية أمصار الجزيرة العربية وأصبح تفهمهم لتلك المبادئ أكثر من ذي قبل؛ وخاصة في عسير والمخلاف السليماني (جيزان وصبيا وأبو عريش) واليمن، ولعلنا نقرر أنه مع السماح لأتباع الدرعية بالحج، فقد سمح بالحج أيضًا عبر الأراضي السعودية من الخليج وعُمان بعد أن كان مُوقفًا وممنوعًا خلال الفترة الماضية، رغم أن شروط الصلح لم تنص على هذا الأمر حسب المصادر التاريخية التي بين أيدينا.

ولأن الدولة السعودية قد أصبحت تسيطر على الطرق البرية المؤدية إلى الحجاز كافة عدا طريق البحر؛ وجد الشريف نفسه مرغمًا على أن يأذن لقوافل الحجاج القادمة عبر الأراضي السعودية لدخول مكة من جديد، بل إنه سمح حتى للقوافل التجارية بالعبور نظرًا لتحكم الدولة السعودية برخاء مكة نفسها(٤٠).

ورغم أن الدرعية تبادلت الهدايا بين الإمام سعود بن عبدالعزيز وبين الشريف غالب، إلا أنها كانت على الأرض تكسب في كل موسم من مواسم حج ١٢١٤هـ و١٢١٥هـ/ ١٧٩٩-١٨٠٠م دعاية جديدة لصالحها ولصالح فهم بقية الأقاليم لنقاء مذهبهم مما وصموا به، خاصة المناطق المتاخمة للحجاز جنوبًا حتى اليمن، وكما تمتع رعايا الدرعية بممارسة شعائر الحج فقد مارست الدرعية أسلوب الدعاية لنفسها من خلال هذا الموسم للبرهنة على صحة معتقداتها، وتبيان مدى الظلم الذي لحق بها خلال نصف القرن الماضي،

(٤٠) ألويس موسيل، المصدر السابق، ص٧٦- ٧٧.

وذلك من خلال صرامة الانضباط التي تمتع بها حجاجها، إلى جانب تبادل الهدايا والاجتماعات التي كان يقوم بها الإمام سعود بن عبدالعزيز مع الشريف غالب ذاته أو رؤساء الوفود الأخرى لأمصار العالم الإسلامي(٤١).

ومع أن السنوات التي استمر الصلح فيها بين الطرفين كانت قليلة، إلا أنه قد زاد إعجاب الناس بمبادئ الحركة الإصلاحية وبدأت قبائل جنوب الحجاز وعسير تطلب تبعيتها للدرعية، وهو ما أثار غالبًا الذي كتب للإمام في عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م - وبعد زوال خطر نابليون - يشكو له كثرة العصيان من قبائل الحجاز - وهي مسألة متوقعة لكنها ليست ثابتة - ويتهم الدرعية بالمسؤولية عن تلك الثورات للقبائل. ولعل الشريف بداية بدأ بالتنكيل بتلك القبائل بشكل غير مسبوق، فقد وصل به الأمر حين غزا بعض قبائل جنوب الحجاز إلى التنكيل بهم ومصادرة كل أملاكهم وكما يقول أحمد السباعي: "وقد ظفر جيشه بأغنامهم وأبقارهم وأموالهم فأخذها وسبى بعض العسكر أولادهم فباعوهم بمكة بيع الرقيق لاعتقادهم الخروج عن الدين"(٤٢). كل ذلك أدى إلى تأزم العلاقات بين الطرفين من جديد لتعود حالة الحرب فيما بينهما، خاصة بعد عودة الوفد الشريفي من الدرعية.

وهنا علينا أن ندرس هذا الحدث جيدًا، فقد تمكن زيني دحلان من تركيز الانتباه إلى ما أراد هو التنويه به من أن

---

(٤١) ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٥-٢٥٦؛ انظر أيضًا حسين خلف الشيخ خزعل، المرجع السابق، ص٣٦٩-٣٧٠.

(٤٢) أحمد السباعي، المرجع السابق، ج٢، ص٥٥٤.

عثمان المضايفي اتفق مع الإمام سعود الكبير وقدم له السمع والطاعة، واستعد للعمل معه لضم مكة، حيث أمَّره على الطائف، وحين عاد الوفد إلى مكة عاد وفد الشريف، غير أن عثمان المضايفي تخلف بالعبيلاء وحده للعمل ضد الشريف[٤٣]، وهي مسألة تحتاج إلى بحث دقيق قبل تقريرها. ولعل القضية التي نريد مناقشتها هي قدرة دحلان على تحويل الانتباه إلى أن القضية هي قضية انقلاب عثمان المضايفي على الشريف بتواطئه مع الدرعية، في حين أن الأمر الجديد بالمناقشة هو قضية الشريف غالب المعروف بحبه للمناورات السياسية معتمدًا على ما يظن أنه مهارة قد جبل عليها، فقد تصنَّع من قبل طلب إرسال عالم من الدرعية في عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م من أجل إظهار الخلاف الديني إلى الواجهة والعلن لخدمة أهدافه الإعلامية والعسكرية والسياسية في حينها حيث تم طرد مندوب الدرعية ثم إعلان الحرب. وقد أراد الشريف غالب من خلال إرساله للوفد الشريفي بقيادة المضايفي المناورة السياسية أيضًا، واتخاذ ذلك سببًا لنقض الصلح وإعلان الحرب من جديد، بعد أن تغيرت الظروف الدولية عام ١٢١٧هـ (١٨٠٢م)، غير أن المفاجأة أن رئيس الوفد - الذي هو وزير الشريف غالب وصهره والعارف ببواطن الأمور وربما المعجب بالدرعية والرافض لمناورات الشريف غالب ومغامراته السياسية والعسكرية - رفض المضي قدمًا بالمشروع وأعلن خلافه معه، ثم رحيله إلى العبيلاء والاتصال بالدرعية والانضمام إليها

(٤٣) المرجع نفسه، ج٢، ص٥٥٨-٥٥٩.

ضد الشريف، وهو ما لم يكن في حسابات الشريف مطلقًا، ورغم أننا هنا لا نملك نصوصًا تاريخية تثبت هذا التحليل، إلا أن غياب النصوص المحايدة التي تؤيد رأي دحلان، ووجود نصوص مناقضة له؛ تجعل القضية قائمة.

لذا فرغم كل الفشل لمناورته السياسية إلا أنه مضى قدمًا في خطأين: الأول أنه أعلن الحرب على قبائل الحجاز التابعة له والمؤيدة للدرعية بحرب شرسة على تلك القبائل؛ مما تسبب في فقدانه لقاعدته وانضمامها إلى منافسه الجديد المضايفي الذي انضم إلى الدرعية، أما الثاني فإنه قد أعلن منع أتباع الدرعية من الحج بنقضه للصلح، ومن دون استشارة إستانبول الغائبة عن مسرح الأحداث آنئذ، وقد أدى نقضه للصلح، ومنعه أتباع الدرعية من الحج إلى إعلان الدرعية الحرب عليه من جديد، مما سينهي الوضع القائم لصالح وضع جديد تمامًا بالحجاز محليًا وإقليميًا ودوليًا.

ثالثًا: المرحلة الرابعة من الصراع: العودة إلى الصدام المسلح

انقطاع الحج عن مكة المكرمة من قبل الطرفين:

لاشك أن موسم الحج في عام ١٢١٧هـ (١٨٠٢م) كان آخر موسم يأمن فيه الناس الحرب إبان الحج من بين السنوات الثلاث اللاحقة، فقد انتهى موسم الحج والجيوش السعودية تحبس لجام جنودها حول مكة لكي لا تقع أي إساءة للحجاج، وما إن انتهى موسم ذلك العام وخرج أمراء الحج العثماني منسحبين من مكة حتى لحق بهم الشريف غالب نحو جدة هاربًا من مواجهة الجيوش السعودية، بحيث دخل سعود

الكبير مكة المكرمة وقد تم له ضمها مع الطائف، فيما بقيت المدينة المنورة وجدة تحت نفوذ الدولة العثمانية.

حين انشغلت الدرعية عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م بمقتل إمامها الكبير الإمام عبدالعزيز، تمكن الشريف غالب بمساعدة أخيه عبدالمعين التابع للدرعية من استرجاع مكة في حين ظلت الطائف مستعصية عليه، ولكن في عامي ١٢١٩هـ و١٢٢٠هـ/ ١٨٠٤-١٨٠٥م انقطع الحج تمامًا حيث كانت الجيوش قد تماست خطوط قتالها على منطقة الحرم، حيث اضطر الشريف غالب أن يستسلم ليصبح تابعًا للدرعية مرغمًا في عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، وهو ما يعني أن الحج قد توقف نتيجة للحرب منذ عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، وليس بأمر أو بقرار من الإمام سعود الكبير.

يبدو أن تلك الحروب بين الطرفين - الدولة السعودية والشريف غالب - قد ظلت تفاصيلها بعيدة عن اطلاع الدولة العثمانية، ويلمح قورشون إلى أن الشريف غالب كان ربما قام بحملاته التي تربو عن خمسين وقعة ضد القوات السعودية بعيدًا عن اطلاع الدولة العثمانية على تفاصيل الأمور، "ولكنه لما لم يحقق نجاحًا في ذلك كتب إلى الباب العالي، وأخبره أن شوكة الوهابيين قويت، وأنهم يمنعون دخول المؤونة والماشية إلى مكة المكرمة، وأنهم يعانون الضيق من ذلك، وبناء عليه يطلب إحالة الموضوع إلى سليمان باشا والي بغداد والتنكيل بالوهابيين على يديه..."(٤٤).

---

(٤٤) أ. د. زكريا قورشون، المرجع السابق، ص٥٣-٥٤ نقلاً عن الأرشيف العثماني،

HH 3855 C, D, F, J, K, 3556.

ولعل المدهش في الأمر أن هذا الانقطاع في المؤونة لم يكن سببه الحرب أيضًا، كما لم يكن في مكة وحدها، ورغم أن القبائل الحجازية الموالية للدرعية كانت قد فرضت حصارًا اقتصاديًا على مدن الحجاز وخاصة مكة المكرمة في عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٤م، وانقطعت قوافل تجارة الغذاء، ربما ليس للإضرار بمكة بقدر ما هو لاحتكار تلك الأغذية لسكان المناطق التي تقطنها؛ فحدثت مجاعة في مكة وبلغت الأسعار مستوى قياسيًّا للقمح والأرز والسمن والزيت والشحم والسكر والزبيب واللحم، وقد فُقِدت الأغذية من الأسواق بشكل نهائي، حتى إن السباعي يروي أن الناس قد أكلوا البذور والنوى، بل حتى الهررة والكلاب والجلود. ولعل المجاعة في هذا العام لم تكن فقط بتأثير من القبائل الموالية للدولة السعودية فحسب، بل كانت عامة، فقد شملت حتى منطقة نجد واليمن وغيرها أيضًا، وإنما كانت الحجاز أشد ضررًا من غيرها بسبب النشاط العسكري للجيوش المتحاربة هناك، إلى جانب الحصار الاقتصادي المفروض على تلك المدن من قبائل الحجاز المعادية للشريف(٤٥).

قضية منع السعوديين لرعايا إيران الشيعة من الحج:

لا شك أن المنع للشيعة من الحج قد جاء من الأشراف بحجة أنهم لن يسمح لهم بالحج إلا بعد دفع ضريبة للأشراف، وهي ضريبة ليس لها أي حجة شرعية سوى الرغبة في تحصيل الضرائب. وقد حاول الأشراف أن

(٤٥) أحمد السباعي، المرجع السابق، ج٢، ص٥٦٧.

يعاملوا السعوديين المعاملة نفسها، فقد كفروهم أولاً سعيًا وراء الاستفادة من هذه الفتوى لفرض ضريبة عليهم مشابهة للضريبة التي فرضوها على الشيعة، يقول قورشون: "فكما كان الوهابيون ممنوعين على أيدي أشراف مكة المكرمة من الذهاب إلى الحج بدعوى أنهم كفرة، كذلك كان الوهابيون أيضًا يمنعون الشيعة القادمين من إيران وكذلك الشيعة المقيمين في أنحاء بغداد من العبور عبر أراضيهم والذهاب إلى الحج"(٤٦).

وقد ذكر لوريمر أن الحجاج الإيرانيين أكثروا من الشكوى - فيما يبدو أنها موجهة إلى الباب العالي - من مضايقات السعوديين، حيث عدَّ هذه الشكاوى إلى جانب تآمر شريف مكة من الأسباب التي دفعت السلطة العثمانية إلى الإسراع بالعمل(٤٧).

ورغم ما يشوب هذا الكتاب - فيما يخص مصداقيته - من انتقادات وجيهة، فقد أورد مؤلف مجهول في كتابه لمع الشهاب بعض الروايات التي يمكن الأخذ ببعضها، فقد أورد رواية ذكر فيها أنه جرت عادة الإمام عبدالعزيز أن "جميع حاج العقيلي والعجم المارين بهم يضيفونه ثلاثة أيام بلياليها، ولا بد أن يحكموا على الحجاج بالغداء والعشاء، ويرون ذلك واجبًا... وكانوا يأمرون كل أمير من أمراء الحاج ألاّ يسير بركبه من أي ناحية أتى، إلا ويمر بالدرعية ذهابًا وإيابًا"، ثم

---

(٤٦) أ. د. زكريا قورشون، المرجع السابق، ص٥٨-٥٩.

(٤٧) ج.ج. لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، ج٣، ص١٥٨١.

يروي أن قافلة للحجاج جاءت من الكويت، وفيها خلق كثير من العجم، ولم يمروا بالدرعية، فأجبرهم على العودة من الزلفي إلى الدرعية، ويعلق المؤلف بأن ذلك لتعريف الناس بمذهبهم وترغيبهم فيه بما يرونه من كرمهم، ثم يضيف أن الدرعية "منعوا الأعراب عن أخذ الأخوَّة [الخاوة] من الحاج"، وكانت القبائل في ذلك الطريق تفرض ضريبة تبلغ من أربعة إلى ستة من الذهب على كل حاج، "ولما استقر الحكم لآل سعود، منعوا جميع العرب التي تحت سلطتهم... من التعرض للحاج"، وأجروا لهم من بيت المال عطايا بديلة لما يأخذونه من الحجاج. "فعلى هذا كان الحاج المعاهد لهم يمر جميع جزيرة العرب، ولم يعترضه أحد"(٤٨).

ولعل تلك الشكاوى لحجاج العجم قد تزامن مع شكاوى كتبها الشريف غالب عام ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م يستغيث من خلالها بالسلطان العثماني من أن "ابن سعود يهدد طريق الحج"، فأرسل السلطان إلى والي بغداد يأمره بالسير "لتأديب العصاة"، فسيَّر ثويني بن عبدالله، حيث كانت نتيجة تلك الحملة هزيمة كبرى للعراق(٤٩).

وفي الحقيقة أن مؤرخينا لم يعطونا تفصيلات عن هذه القضية، ولكن نجد في ثنايا بعض كتب التاريخ كلامًا مناقضًا لما ورد في كتاب قورشون، فقد شهدت العلاقات العراقية مع

(٤٨) مؤلف مجهول، (لمع الشهاب) المرجع السابق، ص٥١-٥٢.

(٤٩) د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، المكتبة الحيدرية، الطبعة الثانية، ١٣٧٨-١٣٧٩هـ، الجزء الأول، ج١، ص١٨٤.

الدرعية توترًا خطيرًا في عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م؛ بسبب ما قامت به قبيلة الخزاعل قرب النجف من مهاجمة قافلة تجارية وأمنية سعودية قادمة من بغداد؛ حيث كانت تحتوي إلى جانب التجار السعوديين وتجارتهم؛ على فرقة عسكرية صغيرة تحمي حجاجًا إيرانيين، أو كما قال لوريمر "قافلة للحجاج الإيرانيين يحرسها الوهابيون... بين الحلة والنجف"، كان على تلك الفرقة أن توصلهم إلى حدود المدينة المنورة بسلام بعيدًا عن اعتداءات بعض القبائل، وذلك ربما وفق اتفاقية بين الدولة السعودية والمملكة الفارسية لم تبينها المصادر التاريخية، وقد قام الخزاعل بمهاجمة القافلة وقتل كافة رجالها الثلاثمئة الموالين والتابعين للدرعية، ومصادرة أموالها، ربما لأنهم استفزوا من وجود جنود سعوديين في مناطقهم(٥٠).

ويشير موسيل إلى أن هذه الحادثة كانت وفق ترتيب جديد آنذاك، ولعله من إفرازات نتائج الصلح الذي وقعه علي الكخيا مع سعود الكبير إثر هروبه وانسحابه السريع أمام الجيش السعودي عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، إذ يقول موسيل: "في عام ١٢١٥هـ/١٨٠١م كانت قافلة الحج الإيرانية التي يتولى محاربو عبدالعزيز بن محمد تأمين الحماية لها ولأول مرة قد تعرضت وهي في طريق عودتها لهجوم وسلب من

---

(٥٠) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م الرياض، الطبعة الثانية، ج١٠، ص٤٧٤؛ لوريمر، المرجع السابق، ج٣، ص١٥٨٣؛ ألويس موسيل، المصدر السابق، ص٧٧.

قبل أتباع حاكم بغداد"[٥١]، وهو ما يعني أن السعوديين لم يعارضوا أو يمنعوا الحجاج الإيرانيين من المرور إلى أراضيهم إلا إذا كان وفق ترتيبات أمنية معينة، كما يعني أن مثل هذا الاتفاق بين الدولة السعودية والمملكة الفارسية قد أغضب الشيعة العرب الخزاعل مما جعلهم يهاجمون القافلة ويقتلون التجار والحامية السعودية المصاحبة لهم، وهو ما يعني أن المنع والمضايقات للحجاج الإيرانيين كان من غير الحكومة السعودية التي كانت تريد حماية هؤلاء الحجاج من العراق نفسها حتى حدود الحجاز، ربما لكي لا يعتدي عليهم من أتباع الحجاز أو العراق ويتهم به السعوديون.

وفيما عدا هذه الحادثة لم تشر المصادر التاريخية إلى وجود مثل هذا المنع للشيعة من الحج عبر الأراضي السعودية، إلا إذا كان ذلك القرار أصبح ساريًا فترة من الزمن بُعيد قرار الشريف غالب منع الحجاج من الحج عبر الأراضي السعودية في عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م إثر قرار الشريف إعلان الحرب ضد الدرعية في نهاية ذلك العام حسب رواية ألويس موسيل[٥٢]، ثم عادوا للحج من جديد حتى عام ١٢١٧هـ/١٨٠٢م حين امتنعوا من الحج مرة أخرى، ربما بسبب ظروف الجبهة العسكرية في الحجاز، حيث يؤكد

(٥١) المصدر نفسه، ص٧٧؛ انظر أيضًا: ألويس موسيل؛ مجلة العرب، عدد ج١ و ٢، س١١رجب وشعبان ١٣٩٦هـ، يوليو/ أغسطس ١٩٧٦م، ترجمة كتاب ألويس موزيل، ص٢١٨.

(٥٢) ألويس موسيل، آل سعود، دراسة في تاريخ الدولة السعودية (مصدر سابق)، ص٦٧، ص٧٦.

بوركهارت أن قوافل الحج من بلاد فارس قد توقفت بقوله: "وقد رُدَّ الحجاج الفارسيون أيضًا منذ سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م، كما رُدّت قافلة حجاج اليمن، ولهذا فإنه لم يصل إلى مكة من قوافل الحج المنتظمة بعد سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، إلا عدد قليل جدًا، وقد أوقف المحمل في جدة..."(٥٣). وهو يتفق في هذا التزامن مع صاحب مخطوط (حجازسياحتنامه سي) الذي يجعل المنع من قبل الدولة السعودية بدلاً من الشريف غالب فيقول: "في العام التالي ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م بدت العلاقات بين الطرفين الدرعية وإيران متوترة بالشكل الذي جعل الدرعية تقرر منع القوافل الإيرانية للحجاج أن تمر عبر أراضيها". ويرى سليمان شفيق أن هذه الخطوة من قبل الدرعية كانت قد جلبت ردًا انتقاميًا من إيران: "وقد أثار هذا المنع رد فعل عميق بإيران، ولكنها لم تستطع أن تسوق الجيش على نجد بسبب عجزها وصعوبة الطرق المؤدية إليها"(٥٤)، وفي الحقيقة أن المؤلف يخلط بين ما حدث في عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م حين قام الجيش السعودي بغزو كربلاء، وما حدث في عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م حين أعلن الشريف غالب الحرب ضد الدرعية ومنع كل من يأتي من خلال الأراضي السعودية من الوصول إلى مكة، حسب رواية موسيل أعلاه. أي أن هذه القوافل توقفت قبل ضم الحجاز للدرعية، ولا يمكن نفي أو تأكيد ما إذا كان توقف القوافل ولا سيما الفارسية بسبب منع الشريف غالب لأي حاج يأتي من

---

(٥٣) بوركهارت، المصدر نفسه، ص٦٧-٦٨.

(٥٤) د. عبدالفتاح أبو علية، المرجع السابق، ص٤٧.

خلال أراضي الدولة السعودية بدخول مكة، أم أنها بسبب توتر العلاقات السعودية الفارسية بسبب الهجوم السعودي على كربلاء في العام السابق ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، أم بسبب انعدام أمن قوافل الحجاج بسبب ثورات القبائل المحيطة بالمدينة المنورة ثم بتبعيتها للدرعية في ظل انشغالها بحادث استشهاد عاهلها الإمام عبدالعزيز بن محمد عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٢م.

قضية منع السعوديين لرعايا الدولة العثمانية من الحج:

وقد ذهب بعض المؤرخين(٥٥) خطأ إلى أن سعودًا الكبير قد أمر بمنع الأتراك من الحج، ولعل هؤلاء المؤرخين تناسوا عن قصد أو غير قصد أمرين مهمين: الأول أن الدولة العثمانية قد منعت السعوديين ولمدة تزيد على ستين عامًا من عام ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م وحتى عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م، وهو ما يعني أن جيلاً كاملاً منهم قد ماتوا دون أن يؤدوا فريضة الحج، ومع ذلك فإن هؤلاء المؤرخين لم يذكروا هذه الحقيقة، ولعل الذي يعرف ذلك سيظن أن الدولة السعودية بعد أن ضمنت الحجاز أرادت معاقبة الدولة العثمانية بالعقوبة نفسها التي كانت قد عاقبت بها الدرعية وأتباعها. أما الثاني فهو أن سعودًا الكبير كان قد أصدر قرارًا بمنع المظاهر الخاطئة المصاحبة للحج وليس الحج ذاته، فالمذهب المالكي بالمغرب هو كالشافعي والحنفي في الشام والعراق، وقد

(٥٥) علي الوردي، المرجع نفسه، ج١، ص١٨٠-١٨١؛ إبراهيم صبغة الله الحيدري البغدادي، المصدر السابق، ص٢١٤، ٢٣٨.

واصل حجاج المغرب الحج دون أي صعوبات، ولكن المنع كان مقصورًا فحسب على:

١ - الحج بما يرونه بدعة وهو تقدم المحمل(٥٦) أمام قافلة الحجاج لمكة المكرمة.

٢ - عزف موسيقى الشرف المصاحبة لدخول المحمل إلى مكة، لأن الموقف في رأيهم يوجب التلبية حسب تعاليم الحج وليس عزف الموسيقى (الزمر).

٣ - قدوم عسكر الشرف المصاحبين لأمير الحج الذين لم يغنوا الحجاج شيئًا من اعتداءات القبائل، وليس لهم من أهمية سوى الاستعراض العسكري.

ولعل هناك خلطًا بين قضيتين: الأولى قطع الخطبة للسلطان العثماني على منابر الحرمين الشريفين، ومنع الحجاج من الأقاليم العثمانية من الحج، ويرى بوركهارت أنه "من الخطأ التأكيد - كما فعل الأتراك - على أن الوهابيين حرموا الحج إلى المدينة"، ويؤكد أنه قبل سيطرة السعوديين على المدينة المنورة "كان مجيء قوافل الحجاج الكبيرة قد

(٥٦) المحمل هو: نوع من الموكب على جمل جعلوها في مصر علامة وإشارة لاجتماع الحجاج، ومع الوقت تطور إلى مصاحبة هذا المحمل الذي يتقدم حجاج مصر فرقة موسيقية، ثم مع الزمن أصبح هناك محمل رومي (تركي) ومحمل يمني. يصاحب هذه المحامل الهدايا. ولعل أصل المحمل: جمل عليه هودج يحمل كسوة الكعبة غالبًا من الشام أو مصر يتقدمه فرقة موسيقية عسكرية مع قافلة الحج. انظر: السباعي، المرجع السابق، ج٢، ص٣٩٥، ٣٩٨؛ انظر أيضًا: عبدالرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج٣، ص١٣٢-١٣٣؛ محمد أديب غالب، المرجع السابق، ص١١٠-١١١.

توقف، فلم يستطع يوسف أغا، أحد ضباط عبدالله باشا، أن يصل إلى تلك البلدة سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، بل تراجع عنها حين كان على مسافة ساعات قليلة منها، على أنه ومن معه لم يضايَقوا في طريق عودتهم إلى بلادهم، ولم يجرؤ الحجاج المصريون تلك السنة على المجيء بالطريق البري لأن قبيلتي حرب وجهينة قد أصبحتا من الوهابيين، لكن المحمل أتى مع قليل من الحجاج بحرًا عن طريق جدة بصحبة أربعمئة أو خمسمئة جندي تحت قيادة شريف باشا، الذي عينه الباب العالي حاكمًا لهذه البلدة، وقد رُدَّ الحجاج الفارسيون أيضًا منذ سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م كما رُدّت قافلة حجاج اليمن، ولهذا فإنه لم يصل إلى مكة من قوافل الحج المنتظمة بعد سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، إلا عدد قليل جدًا، وقد أوقف المحمل في جدة وتوفي شريف باشا سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، في الحجاز، وهناك شك بأنه قد سُم بأمر من غالب"(٥٧)، ويظل بعض المؤرخين مستمرين في الوقوع بهذا الخلط وأن سعودًا الكبير "أخطأ خطأ عظيمًا في منع الناس عن الحج، وفي الخروج على السلطان، وأنهم غالوا كثيرًا في تكفير من خالفهم، ولو كانوا من أهل السنة والجماعة"(٥٨).

ولعل الكثير من المؤرخين يختزل تعبيرات يحاولون من خلالها تغيير الحقيقة أو ليِّ عنقها، فيقول قورشون على سبيل المثال: "وكانت عمليات التعجيز المستمرة التي يمارسها

(٥٧) بوركهارت، المصدر نفسه، ص٦٧-٦٨.

(٥٨) إبراهيم صبغة الله الحيدري البغدادي، المصدر السابق، ص٢١٤، ٢٣٨.

الوهابيون على مكة المكرمة والمدينة، وكذلك سيطرتهم على الطرق أمرًا أخل كثيرًا بأداء فريضة الحج، ولو أنهم في الظاهر يزعمون بأنهم لم يمنعوا أحدًا من أداء فريضة الحج، وأنهم كانوا فقط يعارضون البدع التي كانت تمارس بمناسبة الحج، فإن العديد من الناس كانوا يحجمون عن الذهاب إليه، ففي موسم الحج لعام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، لم يستطع أهالي مكة المكرمة أنفسهم الصعود إلى جبل عرفات الذي لا يتم الحج إلا به(*)، وقام أمير الحج الشامي إبراهيم باشا في ذلك العام بدفع عشرة قروش عن كل حاج إلى الوهابيين ضريبة للمرور حتى استطاع أن يعود... وقد كتب محافظ المدينة إلى إستانبول في أبريل ١٨٠٥م/ ١٢٢٠هـ يخبرها أن خطر الوهابيين قد بلغ حدًا لا يمكن التغلب عليه"(٥٩).

ولعل مثل هذه المغالطات والتلاعب بالألفاظ يخدع كثيرًا ممن يقرؤون التاريخ أو غير المتخصصين بالتاريخ الحديث، ولكنه قد لا ينطلي على المؤرخين الذين يمكنهم قراءة أحداث تلك الفترة بشيء من التدقيق؛ فهذه الأعوام ١٢١٩-١٢٢٠هـ/ ١٨٠٤- ١٨٠٥م معروفة أنها سنوات حرب بالحجاز بين الجيوش السعودية وجيش الشريف غالب حتى تماست خطوط الاشتباكات حول منطقة الحرم ذاتها، ولذلك

(*) لعل ما يذكره الدكتور زكريا قورشون من أن الحج لا يتم إلا بالصعود إلى جبل عرفات هو نوع من البحث عن مبررات لتثبيت التهمة على السعوديين بأنهم وراء منع الحج؛ ولعل الصعود إلى جبل عرفة ليس واجبًا بحد ذاته وإنما الحديث (الحج عرفة) يعني أن الواجب (الركن) هو الوقوف بعرفة في أي موضع منها.

(٥٩) أ. د. زكريا قورشون، المرجع السابق، ص٧٧.

فلا ضير أن ينقطع الحج، في حين أن المدينة المنورة تعاني حصارَ الجيش السعودي لأسوارها. ولذلك فكل ما ذكر هو نوع من تزوير الحقائق التاريخية وتحميل الأحداث تفسيرات غير صحيحة وغير علميّة، فقضية منع الحج التي استخدمتها الحكومة العثمانية ضد الدولة السعودية هي قضية حدثت بُعَيْد انضمام الحجاز إلى الدولة السعودية، في حين الأدلة التي يسوقها هذا المؤرخ هي أدلة كانت موجودة قبيل سقوط الحجاز بيد الدولة السعودية، وهكذا تبدو الصورة لمن يدقق في الحقيقة التاريخية حول هذه القضية. فقد كان قد مضى موسما الحج لعامي ١٢١٨-١٢١٩هـ/ ١٨٠٣-١٨٠٤م ومكة شبه مطوقة من جيوش الدرعية، وفرض حصار شديد على الشريف من قبل القبائل المتاخمة لمكة والتي سئمت من حكم الشريف(٦٠).

ويذكر لوريمر أن السعوديين "لم يكن لديهم اعتراض على الحج نفسه بطبيعة الحال، ولا حتى اعتراض على زيارة المدينة، ولكنهم كانوا يسخطون وتتأذى مشاعرهم لكثير من أعمال البدع التي يقوم بها كثير من الحجاج، كما أنهم كانوا يعترضون قطعًا على تدخل الحكومة التركية "الكافرة" في شؤون الحج"، ويقول إنهم أرغموا حجاج دمشق على الرجوع في عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، وهي السنة التي يرى لوريمر أن الدولة السعودية لم تسمح فيها للمحمل المصري بالتقدم أكثر من جدة حيث أوقف هناك، ويؤكد لوريمر: "لكن السلطات

(٦٠) أحمد السباعي، المرجع السابق، ج٢، ص٥٦١-٥٦٣.

الوهابية في الحجاز لم تكن أبدًا تمنع الأفراد الذين يريدون تأدية مناسك الحج كما يؤديها الوهابيون"، كما يشير إلى أن التوقف جاء من الطرف الآخر: "وتوقف حجاج مصر وإيران أيضًا في سنة ١٨٠٢ أو ١٨٠٣م، حيث لم يسمح الوهابيون في هذه السنة الأخيرة بتقدم المحمل القادم من مصر عن طريق البحر إلى أكثر من جدة"(٦١)، ويرى جيل كيبيل أن الحج "صار خاضعًا لشروط الوهابيين المتشددة، الذين باتوا ينظمونه على منوالهم، ما أصاب السلطنة العثمانية في حينه بالضرر البالغ، ما دامت حامية للأراضي المقدسة..."(٦٢).

وهذا يعني أن انعدام الأمن كان بسبب ثورات القبائل أعوام ١١٩٤-١٢١٧هـ/ ١٧٨٠م-١٨٠٢م، كما أن الشريف غالب الذي كان يعاني من الضغط العسكري السعودي من جهة، والثورات المحلية لسكان الحجاز وقبائل مكة المكرمة من جهة أخرى، مع انعدام الأفق السياسي وفقدان الأمل بدعم عثماني يمكنه من الصمود، كانت كل هذه الأسباب مجتمعة قد أدت إلى انقطاع الحج قبل ضم الدولة السعودية للحجاز بوقت ليس بالقصير، فضلاً عن محاولات الشريف غالب مقاومة النفوذ السعودي خلال أعوام ١٢١٨-١٢٢٠هـ/ ١٨٠٣-١٨٠٥م، حتى استسلامه وخضوعه للسلطة السعودية في بداية عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م.

---

(٦١) ج.ج. لوريمر، المرجع السابق، ج٣، ص١٥٩٥-١٥٩٦.

(٦٢) جيل كيبيل، الفتنة حروب في ديار المسلمين، ترجمة نزار أورفلي، دار الساقي، بيروت، الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠٤م، ص١٩٧.

وعلى أي حال فإن ما ذكره لوريمر حسبما أوردناه أعلاه غير صحيح من حيث التوقيت؛ ذلك أن المحمل ظل يقدم إلى مكة المكرمة حتى حج عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٦م، حيث يروي الجبرتي عن أمير الحج المصري بعد وصوله للقاهرة قصة اجتماعه بسعود الكبير قائلاً: "ولقد أخبرني مصطفى جاويش المذكور: أنه لما ذهب إلى مكة المكرمة، وكان الوهابي حضر الحج واجتمع به، فقال الوهابي: (ما هذه العويدات التي تأتون بها تعظمونها بينكم؟) يشير بذلك إلى المحمل، فقال له: (جرت العادة من قديم الزمان بها، يجعلونها علامة وإشارة لاجتماع الحجاج)، فقال: (لا تفعلوا ذلك ولا تأتوا به بعد هذه المرة، وإن أتيتم به مرة أخرى فإني أكسره)"(٦٣).

في البداية كما يبدو كان الإمام سعود الكبير صريحًا بما فيه الكفاية حين أرسل رسالة إلى السلطان العثماني بُعَيد دخوله لمكة قال فيها: "إني دخلت مكة، وأمنت أهلها على أرواحهم وأموالهم بعد أن هدمت ما هناك من أشباه الوثنية، وألغيت الضرائب إلا ما كان منها حقًا، وثبَّت القاضي الذي ولَّيته أنت طبقًا للشرع الإسلامي، فعليك أن تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء إلى هذا البلد المقدس بالمحمل والطبول والزمور، فإن ذلك ليس من الدين في شيء"(٦٤).

(٦٣) عبدالرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج٣، ص١٣٢-١٣٣؛ محمد أديب غالب، المرجع السابق، ص١١٠.

(٦٤) الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج١٠، ص٤٧٥.

ويبدو أن الإمام سعود الكبير قد نفذ وعده في العام التالي عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م، فقد كان عبدالله العظم باشا دمشق وأمير الحج الشامي في ذلك العام قد اقترب من المدينة المنورة في موقع يسمى هدية، وهو موقع بين العلا والمدينة المنورة على طريق الشام، فأرسل إليه الإمام سعود الكبير رسالة مفادها "لا تأت إلا على الشرط الذي شرطناه عليك العام الماضي" وهو أن يأتي بدون المحمل وما بصحبته من الطبل والمزامير والجنود معهم السلاح وكل ما كان مخالفًا للشرع، ويعلق الجبرتي قائلاً: "فلما سمعوا ذلك... رجعوا من غير حج ولم يتركوا مناكيرهم.."[٦٥]. ومن العجب أن يصر باشا دمشق على العودة دون حج بعد أن اقترب من الأماكن المقدسة إصرارًا منه على أن يتبع ما كان متبعًا من العادات التي لم تكن من سنن الحج وفق شريعة الإسلام.

ولعل ابن بشر يورد رواية أخرى وتفسيرًا للقضية، وهو أن سعودًا الكبير قد أرسل فراج بن شرعان العتيبي على رأس قوة ليبلغ القوات السعودية المحاصرة للمدينة المنورة أن يمنعوا عبدالله العظم من الحج ذلك العام، ويبدو - حسب هذه الرواية - أن الأمر خُصَّ به ما قد يرافق حجاج الشام وتركيا من عسكر وأسلحة لمساعدة الشريف غالب، حيث أمرهم "أن يمنعوا الحواج التي تأتي من جهة الشام وإستانبول ونواحيهما... وذلك لأن سعودًا خاف من غالب شريف مكة أن يحدث عليه حوادث بسبب دخول الحواج

(٦٥) عبدالرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج٣، ص١٨٨-١٨٩؛ محمد أديب غالب، المرجع السابق، ص١١١.

الشامية وأتباعهم مكة"[٦٦]، ولعلنا نتحفظ قليلاً حيال رأي ابن بشر، ليس إلا لأن سعودًا الكبير كان قد أعطى الشريف غالبًا كثيرًا من الثقة بعد مبايعته له، إلى درجة أنه لم يقم بعزله من شرافة مكة في وقت كانت القوات الأجنبية على أبواب المدينة المنورة - أي في عام ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م -، وإنما اكتفى بتعهده أمامه بعدم الخيانة، حيث تبادل سعود الكبير مع غالب الهدايا - في ذلك الوقت - ثم طلب من الشريف غالب مبايعته على "عدم الخيانة والغدر"، فبايعه مع أنه قد أعطى عهود الغدر لمحمد علي باشا قبل عدة أشهر؛ فغادر إلى الدرعية تاركًا ابنه عبدالله في وادي مُر بمكة[٦٧].

وفي عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٨م انقطع الحج الشامي والمصري وبقرار من السلطات العثمانية أو المصرية والشامية، وبتعبير الجبرتي: "معتلِّين بمنع الوهابي الناس عن الحج... والحال ليس كذلك، فإنه لم يمنع أحدًا يأتي إلى الحج على الطريقة المشروعة، وإنما من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع، مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الأسلحة، وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة، وحجوا ورجعوا في هذا العام وما قبله ولم يتعرض لهم أحد بشيء..."[٦٨].

وقد كان من نتائج ضم الحجاز ومنع المحمل المصري والشامي من القدوم لمكة المكرمة من قبل السلطات العثمانية

(٦٦) ابن بشر، المصدر السابق، ج١ ص٢٩٢.

(٦٧) انظر ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٣٣٠.

(٦٨) عبدالرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٧؛ محمد أديب غالب، المرجع السابق، ص١١٥-١١٦.

أن فرض حصار اقتصادي على الحجاز، فمنع تجار الحجاز من الاستيراد من مصر، وإن كان قد طبق بشكل جزئي وبما يخدم مصالح مصر ويؤثر على اقتصاد الحجاز، ولم يسمح لهم بالاستيراد منها إلا بعد مجيء محمد علي باشا إلى الحجاز في عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م، وقد كانت سياسة اقتصادية من قبل السلطنة العثمانية لإنهاك الاقتصاد السعودي من خلالها، ذلك أنها قد قررت معاقبة شعب الحجاز الذي أيَّد الانضمام إلى الدولة السعودية لتصبح إمبراطورية مترامية الأطراف تهدد أهم ولايات الدولة العثمانية في العراق والشام، فعملت إلى جانب الحصار الاقتصادي على الحجاز من خلال منع الاستيراد من مصر؛ عملت على منع الحج ذاته، مما أدى إلى ضيق أهل الحجاز بعد حرمانهم من مصادر رزقهم، ومهد لتسهيل مهمة محمد علي باشا باسترجاع الحجاز من الدولة السعودية الأولى[٦٩].

القضية كانت سياسية بامتياز، فكل قرارات سعود الكبير أخذت من جانب واحد، والتغييرات المتشددة للعودة إلى منابع الدين الصحيح كلها تمت دون استشارة السلطات العثمانية بإستانبول، مما يعني أن تلك السلطات لن تستسلم، فالفساد الذي تم استئصاله هناك كثير من القوى في الحجاز تعتبر المستفيد الأول منه، ومن الصعب أن تفسر أو تستقبل قرارات سعود الكبير الإصلاحية بمكة بشيء من الترحيب، ويذكر المستشرق والرحالة الهولندي سنوك هورخرونيه أن "سعود الكبير"

---

(٦٩) بوركهارت، المصدر السابق، ص١٠٤-١٠٥.

"دخل... مكة في احتفال بهيج، وقدم الشريف عبدالمعين وعلماء المدينة البيعة للأمير الجديد، الذي ألقى خطبة أمام الجماهير المحتشدة، وهكذا كان لسيف الأمير الجديد الفضل الأكبر في العودة إلى منابع الدين الصحيح، وكان أهل مكة فيما تلا ذلك من أيام يمدون العون للحاكم الجديد ليقوم بتحطيم جميع القباب المقامة على المزارات والقبور وإزالتها، وجمع غلايين التبغ، وآلات الموسيقى التي كومت ثم أحرقت، كما منعت ألفاظ التمجيد البدعية كافة، سواء في الدعاء في أثناء الصلاة أو في المناسبات الأخرى"(٧٠).

ويبدو أن الولاة العثمانيين بدمشق قد كان لهم دور في تضخيم الأمور، فقد كان كل من عبدالله باشا العظم وأحمد باشا الجزار يتنافسون على ولاية دمشق ويتبادلان التكليف بولايتها مرارًا وتكرارًا، فقد تولى عبدالله باشا العظم ولاية دمشق ثلاث مرات الأولى في ١٢١٠-١٢١٣هـ/ ١٧٩٥-١٧٩٨م حيث تولى هذه الولاية بدلاً من الجزار الذي عزل عام ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م، وكلفت إستانبول الجزار بولاية دمشق عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م للمرة الثانية حيث بقي واليًا عليها لعام واحد، حيث استعادها العظم عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م بعزل الجزار مرة أخرى، ليظل العظم واليًا عليها حتى عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م حين استعادها الجزار منه مرة ثالثة؛ حيث توفي بعد عام واحد، أي عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، ومن ثم أعيد العظم لحكم دمشق في عام ١٢٢١-١٢٢٣هـ/ ١٨٠٦-١٨٠٨م.

---

(٧٠) أحمد السباعي، المرجع السابق، ج٢، ص٥٦٧.

ولقد استغل الجزار عجز عبدالله باشا العظم عن صد غارات الجيوش السعودية عن بلاد الشام ليضرب على وتر حساس لدى السلطات العثمانية بأن هذا العجز ناجم عن ميل لدى عبدالله باشا العظم لمبادئهم، وقد كان كل منهما يسعى لتلويث سمعة خصمه أمام الباب العالي، وقد نجح الجزار بإقناع الحكومة العثمانية في عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م بعد عودة العظم من الحجاز دون مساعدة الشريف غالب ضد القوات السعودية المحاصرة لمكة في موسم عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢هـ، بأن العظم قد أصبح من أتباع الدعوة بُعَيد عودته من موسم حج ذلك العام، بحيث أكد للسلطة العثمانية بإستانبول بأنه يضمن "سلامة قافلة الحج التي تعرضت أكثر من مرة لهجمات الوهابيين والبدو" في حالة تكليفه مرة أخرى على ولاية دمشق، حيث كلف عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، وقد جاء فشله في موسم الحج لعام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م في الوصول بقافلة الحج إلى الحرمين، لتسقط هيبته أمام الدولة وتعزله في العام التالي[٧١].

ولعل هذا التنافس هو ما جعل الصورة تبدو ضبابية لدى السلطة في إستانبول، فلا الشريف غالب، ولا الولاة العثمانيون بدمشق ساعدوا في تيسير فهم الوضع في الحجاز، بل لقد أسهم تشدد الدولة السعودية في تطبيق إجراءاتها الإصلاحية، ورسائل الإمام سعود الكبير للسلطان العثماني وولاته في العراق والشام؛ في زيادة الصورة قتامة،

---

(٧١) د. عبدالغني عماد، السلطة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر، دار النفائس. دمشق، ص٧٢، ٧٨-٧٩، ٨٨.

فقد جاءت رسالة الإمام سعود إلى علي الكخيا في عام ١٢٢٣هـ/ ١٨١٠م لتؤكد للدولة العثمانية صدق وشايات أحمد باشا الجزار ضد عبدالله باشا العظم بميله واقتناعه بمبادئ الدعوة الإصلاحية، فقد أكد الإمام سعود الكبير - فيما يبدو - أنه قد توصل إلى تفاهم ما مع باشا دمشق، وقد أفصح عنه الإمام في رسالته الشهيرة إلى علي الكخيا باشا بغداد، حين دعاه في رسالته للدخول معه في ما يشبه التحالف مقابل دعمه بكل ما يحتاج إليه من قوة عسكرية تصل إلى مئتي ألف جندي لا يكلفون العراق أي تكاليف بما في ذلك إعاشتهم وقت الحرب، وقد أكد له خضوع الشريف وقبول عبدالله العظم لمذهب الدولة السعودية، مشيرًا إلى أنه قد جرى نوع من التفاهم أو التفهم لدى عبدالله العظم باشا دمشق لأهداف وتوجهات الدولة السعودية، وقد أشار سعود بن عبدالعزيز في رسالة إلى علي باشا والي بغداد أن النفوذ السعودي قد وصل إلى الشام، وأن السعوديين قد حجوا وقابلوا الشريف غالب ومعه أربعة باشوات، وأنهم قد دخلوا ضمن أتباع الدولة السعودية، وأن منهم عبدالله باشا العظم والي الشام، وأنه تعهد بتنفيذ الطلبات السعودية. وقد أخضع مجلس المشورة العثماني الذي كلفه السلطان بدراسة رسالة الأمير سعود إلى باشا بغداد، ورأى المجلس "أن والي الشام عبدالله العظم قد قبل الدعوة السلفية"(٧٢).

(٧٢) أحمد مرسي، شريف مكة بين قوتين، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الثانية، ربيع الأول عام ١٣٩٦هـ/ مارس ١٩٧٦م، ص١٦٩، ص١٧٠-١٧١.

وكان نتيجة هاتين الحادثتين منع عبدالله العظم وقافلة الحج الشامي من الحج، ولعجزه عن رد غارات الدولة السعودية، إلى جانب وشايات والي عكا أحمد باشا الجزار الذي تمكن من إقناع الباب العالي بأن عبدالله باشا العظم قد أصبح من أتباع الدعوة الإصلاحية بعد عودته من الحج لعام١٢١٧هـ/ ١٨٠٣م، لتتوافق مع فحوى رسالة الأمام سعود الكبير التي يؤكد بها لباشا بغداد أن باشا دمشق قد قبل تعاهدًا ودخل في تحالف مع الدولة السعودية، كل ذلك أدى إلى أن يتخذ السلطان العثماني قرارًا بعزل عبدالله العظم عن باشوية بلاد الشام، وذلك في عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، وعين مكانه واليًا جديدًا هو يوسف كنج، بل وحددت إقامة عبدالله العظم بحماه في عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م.

رابعاً: المرحلة الخامسة من الصراع: الحرب الباردة

حين أصبحت الحجاز تحت حكم الدولة السعودية وفي عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م أمر الإمام سعود الكبير والي الشام وأمير الحج المصري ألا يأتوا بالمحمل في العام القادم، وهدد بكسره أو إحراقه، وقال لأمير الحج المصري "ما هذه العويدات والطبول التي معكم"، ثم قال: "لا تأت بذلك بعد هذا اليوم.. وإن أتيت به أحرقته"(٧٣).

ولعل الشريف غالب الذي ظلّ موتورًا وحانقًا على الدرعية كان يقدم النصائح للإمام سعود الكبير الذي أحسن الظن به،

(٧٣) عبدالرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج٣، ص١٣٢-١٣٣؛ محمد أديب غالب، المرجع السابق، ص١١١.

في حين كان هو يتربص به الدوائر، فحسَّن للإمام سعود الكبير أن يقطع الخطبة للسلطان العثماني. ويرى لوريمر أن الشريف غالب نجح في إقناع سعود الكبير في إيقاف الدعاء للسلطان بالمسجد الحرام والمسجد النبوي في صلاة الجمعة؛ مما فاقم الخلافات العميقة أصلاً بين الباب العالي والدولة السعودية، حيث بهذه الحيلة تمكن غالب من فتح حرب بين الطرفين "لا تقبل المهادنة" مما أوجب صدامًا مؤكدًا بين الطرفين(٧٤).

وفي حقيقة الأمر لم يكن الإمام سعود محتاجًا إلى إقناع الشريف غالب في هذه المسألة، فقد كان الإمام لديه بعض الملاحظات على الدولة العثمانية، فضلاً عن معاداتها للدولة السعودية منذ وقت طويل، إلى جانب قناعته أن الخطبة للسلطان إنما هي من ضمن البدع التي من الأفضل أن تلغى، ومع ذلك فقد كان الشريف غالب الذي حارب الدولة السعودية لأكثر من عقد ونصف لا يمكنه أن يحمل النصيحة المخلصة للدولة السعودية، بل كان يكيد لها بمثل هذه النصائح متربصًا بها الدوائر، فقد كان من أشد الزعماء في عصره انتهازية، فقد تحدث الإمام سعود الكبير كثيرًا عن تعامل الشريف معه بالتوقير والتبجيل قائلاً: "إن ذلك يخجله ويجعل من المستحيل عليه أن يعامل الشريف كما يجب أن يعامله"(٧٥).

(٧٤) ج. ج. لوريمر، المرجع السابق، ص١٥٩٥، انظر د. سعيد باديب، العلاقات السعودية الإيرانية ١٩٣٢-١٩٨٢، دار الساقي ومركز الدراسات الإيرانية العربية، لندن، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص٩٨.

(٧٥) بوركهارت، المصدر السابق، ص٨٩.

والحقيقة أنه كما الوضع في بلاد الشام فإن القضية أخذت البعد ذاته في بلاد الحجاز؛ فالعدو الحقيقي للدولة السعودية لم يكن السلطان العثماني بقدر من عينه ووافق على استمراره بشرافة الحجاز أي الشريف غالب؛ لقد كان العدو الأول للدولة السعودية، وكان يكيد للإمام سعود الكبير الذي وضع كامل ثقته في واليه الجديد على الحجاز، عدوه بالأمس.

ويذكر المؤرخ ميخائيل الدمشقي مدى حقد الشريف غالب، وعمله بكل اتجاه لدق إسفين لا يمكن نزعه بين الدولة السعودية والدولة العثمانية، ففي عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م حضر الشريف غالب إلى خيمة عبدالله العظم الذي كان أمير الحج الشامي، وبرفقته والدة السلطان، وقد وصلت رسالة من الإمام سعود - كما يذكر هذا المؤرخ - إلى أمير الحج الشامي وهو في المزيريب - على الجانب السوري للحدود مع الأردن حاليًا - ينذره بعدم الحج بالسنجق والمحمل وسلاح العسكر مع قيام الدولة السعودية بتأمين الحجاج حتى عودتهم إلى دمشق، وقد حضر الشريف غالب إلى خيمة عبدالله العظم "وصار يحكي الشريف عن سطوة الوهابي واقتداره وأنه غير ممكن يخلي الحج يمشي بهذه الطريق، وصار يتلاوم على دولة العثملي (العثمانية)، وأن ما عاد لها تدبير، وتركتونا لهذه الحدود حتى خرجت البلاد من المقام وأن هذا ما عاد منه رجاء بإصلاحه وكان الديوان كيخية الوالدة (مساعد والدة السلطان) فجاوب السلطان

بكلام ركيك فقام إليه الشريف ومسكه من لحيته وقال له: كل الغضب منك لأني حينما توجهت لإستانبول منذ خمس سنين ونزلت في بيتك وتكلمت معك كثيرًا بهذا الخصوص وترجيتك تجمعني بالسلطان وأنت تحادف (تماطل) واستقمت عندك ستة شهور وما كان يمكن أن تدعني أملك إربي ورجعت خائبًا؛ ثم حلف يمينًا لولا الخواطر قتلتك مكانك. وأظهر غضبه وتكلم بالديوان: أننا نحن والوهابية عليكم. وقام مع أرفاقه مغضبًا وبعد ذهابهم التفت كيخية الوالدة وخلافه إلى الباشا وحسنوا له الرحيل لئلا يجد شيئًا رديًا... والذي فكروا فيه تم. لأن الشريف برجوعه إلى مكة ندم على ترك الجماعة فجمع عسكرًا وجاء عليهم فما وجدهم وركضوا في أثرهم فما حصلوهم..."[٧٦].

ويوضح الصورة الإمام عبدالله بن سعود الكبير في رسائله إلى طوسون باشا ومحمد علي باشا باتهام مباشر لغالب أنه وراء كل عملية التآمر التي حصلت لمنع حجاج الشام من الوصول إلى بيت الله الحرام، فيقول في رسالته إلى طوسون عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م: "ولذلك فقد حسد حضرة الشريف... ورماه بسهام الافتراء... وتشبث المشار إليه بأذيال الخديعة والحيلة، وادعى بأن الحجاج الواردين من قبل الدولة العلية لم يكن لهم غرض إلا السعي في الفساد، وقتل النفوس في

(٧٦) سعود بن غانم الجمران العجمي، كتاب رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م للكابتن ج. فورستر سادلير، ترجمة أنس الرفاعي، الناشر العجمي، الصفاة، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٣٩-٢٤٠.

الحرمين الشريفين، وخدع... والدي وأغراه بزخرف الأقوال لمنع الحجاج وإرجاعهم، وحجز عنده العرائض التي قدمها... والدي إلى الأعتاب العلية عن هذا الخصوص بحجة أنه سيرسلها بواسطته، وكتب عرائض أخرى مزورة على لسان والدي مخالفة للعرائض الأولى، وقدمها إلى الباب العالي كما تحقق ذلك وتبين فيما بعد، وأنه وإن كان رأى ثمرة سوء أفعاله تصديقًا لقوله تعالى: ﴿**وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ**﴾ [**فاطر**: ٤٣]، ولكننا لم نتدخل في شؤون البنادر الموجودة تحت يده، ولم نجز الفساد الذي سعى فيه بين رعايا الدولة العثمانية، وإنما على إرجاعه حجاج المسلمين برأيه الخاص مجاراة له، ومن الواضح أننا لا نجرؤ على منع حجاج المسلمين أصلاً لكونهم مستظلين بحمايتكم الشاهانية، ولما كان حجاج المسلمين عامة لكافة البلاد والعباد وروافض الأعاجم طامة، فالمشهور عنا أننا لا نتدخل ولا نتعرض بأي وجه كان لمرور حجاج روافض الأعاجم وعبورهم في كل عام من حوالينا، وعلى العموم فإن ما نسب إلى [والدي] من أمور الطغيان والخوارج كلها ناشئ عن خدعة الشريف المشار إليه ودسيسته..."(٧٧).

وتتواصل مراسلات الولاة مع الدولة السعودية ولكنها لم تصل إلى فهم مشترك يحل القضية، فقد أرسل الإمام سعود الكبير رسالة مهمة إلى والي الشام الجديد يوسف كنج كان يفترض أن تحل الخلافات وتوصل إلى اتفاق وفهم مشترك

---

(٧٧) المرجع نفسه، ص٢٥٦-٢٥٨ وثيقة رقم ٣ بوحدة حفظ دفتر (١٦) بحر برا في دار الوثائق القومية بالقاهرة برقم حفظ ١٢٢.

لقضية الحج، وتوضح رسالة الإمام هذه القضية بتفصيل كبير، أي أن سعودًا الكبير واصل مساعيه الدبلوماسية مع والي دمشق الجديد يوسف كنج لعله يتابع ما وصل إليه سلفه عبدالله العظم، مستغلاً مفاتحات يوسف كنج لسعود الكبير، طالبًا منه السماح لأهالي الشام وتركيا بالحج، فرد عليه بخطاب طويل أصله محفوظ بالأرشيف العثماني تحت تصنيف (H.H.19550-J)، حيث قال في رده عن منع أهل الشام من الحج: "وبعد: ما ذكرت من طرف الحاج، فأنت تفهم أن البيت بيت الله، والوفد وفده، ولا نمنع عن بيته إلا من أمرنا بمنعه ولا يخفاكم ما يجري مع الحاج من الأمور العظائم الشركية من دعوة غير الله وتعظيم الشرك بالله، وتعظيم المشاهد، وترك الفرائض، وأعظم الفرائض بعد التوحيد الصلوات الخمس، لا يؤذن لها ولا يصلي أحد جماعة، والأمور العظائم القبائح التي تنقل مع الحاج من أنواع المنكرات والفواحش من اللواط والقحاب وشرب المسكر والزمر والطبل وما يشابه ذلك من أنواع الملاهي التي يُعرف قبحها والله قال جل جلاله: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ [البقرة: ١٩٧]، فإذا كان الرفث والجدال من مبطلات الحج، فكيف بهذه القبائح والمنكرات.

فإن قال قائل: إنه لا يفعل ذلك. فنحن نقول: ما نَعُمُّ الناس بذلك ولكن الحكم على الظاهر، والظاهر مع الحاج وفي أوطانكم فعل ما ذكرناه. ومن رعاياكم من يقول: هذا لا

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثاني ربيع الآخر ١٤٣٠هـ، السنة الخامسة والثلاثون
الدارة

يفعله إلا طوارف [أي حاشية] السلطان، وأن السلطان هو الذي يأمر به ونقول: هذا لا يفعله ولا يأمر به من له أدنى عقل وبصيرة في الدين فضلاً عن أن السلطان يأمر به أو يرضاه، وهذا من الافتراء عليه والكذب... ولما... أراد الله أن يجعل لنا في الحرمين حكم نافذ وأمر مطاع فلم يكن لنا عذر من الله من منع من أمرنا الله بمنعه، ونمنع ما منعه القرآن، ونأذن لمن أذن له القرآن، فغاية المطلوب ومنتهى المراد عبادة الله وحده، ولا يشرك له وترك عبادة ما سواه، وألاّ يصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، وإقام الصلوات الخمس التي فرضها الله في كتابه بعد الشهادتين، وأداء الزكاة والصوم والحج، ومتابعة الرسول ﷺ، ونفي البدع وإزالة المنكرات، وإقامة الحدود على ما أصاب منها شيء، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإنصاف الضعيف من القوي بالعدل، فهذا جملة ما نحن عليه، وتفصيله يطول ذكره، فمن عمل ذلك ودان به فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا برًا وبحرًا، ونحن وهو في بلد الله الحرام سواء، ومن أبى عن ذلك منعناه من بلد الله الحرام، وقاتلناه حتى يكون الدين كله لله، كاين من كان. ولما ورد إلينا كتابك وآدميك [مندوبك] أركبنا معه أوادم من أوادمنا يمشون بالحاج على هالشروط المذكورة، بأنهم يظهرون الإسلام، وإقام الصلوات الخمس جماعة بأذان وإقامة... ولا يحج عسكر قليل ولا كثير ولا أزغة [يبدو أنها بمعنى معازف] حرب ولا يحج محمل، لأن المحمل فيه اعتقادات وتياله به من دون الله، وظهرت للمسلمين ورأوها في مخالطتنا في الحج الماضي، ولا نشتهي أن المحمل يجيء

بأمامنا ويرجع ما وصل مكة، ولا يجوز لنا أن نقر سياق الشرك ولا نرضى به.على أن جميع قوانين الحرمين المعروفة التي للبيت وخدام البيت والشريف وعامة أهل مكة وكذلك ما كان لمسجد الرسول ﷺ وخدامه، وما كان لأهل المدينة من جميع القوانين علمائهم وعامتهم وأهل القلعة، وكذلك قانون ابن مضيان وحرب، إن الجميع ما يختلف منه شيء".

ثم تكلم سعود الكبير عن أن هذا الاتفاق هو الفيصل بينه وبين والي الشام فإن أحدث والي الشام أي تغييرات على هذا الاتفاق "فلا بوجهي [أي بضماني وعهدتي] من الحاج شيء، فإن صبرتو بما ذكرنا فالحاج يمشي بوجهي عن جميع المسلمين ذهابًا وإيابًا" ثم وجه تحذيرًا إلى يوسف كنج بأن مندوبيه تعهدوا أمام سعود الكبير أن يوسف كنج معاهد لسعود على الإسلام، وأنه أمر بإقامة الصلوات ورفع معازف الخمر والعمل بالتوحيد وإزالة الشرك وإقامة الفرائض، ثم لم يترك هذه المناسبة دون أن يدعو يوسف كنج إلى التحالف معه عسكريًا كدعوته لعلي باشا بغداد عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م قائلاً "فإن عملت بذلك فالمسلمون أعوان لك وأجناد بلا ديوان، ولو تطلب من المسلمين أجناد جاك منهم ألف في يوم واحد يحبون الموت مثل محبتهم الحياة، رجاء الجنة وإيمانًا بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، أهل عدد وعدة وحدود وبأس شديد والمدد من رب العالمين"(٧٨).

(٧٨) د. سهيل صابان، الجزيرة العربية، بحوث ودراسات من وثائق الأرشيف العثماني والمصادر التركية، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٤٠-١٤٣.

يلاحظ على هذا الخطاب الوثيقة ما يلي:

أولاً: أن سعودًا الكبير كان يرد على خطاب ليوسف كنج يبحث من خلال مندوبه السماح لأهل الشام بالحج، وأن سعودًا الكبير قد أبلغ مندوبه ودون بخطابه أنه لا يملك منع الحجاج من الحج لبيت الله، وإنما المنع يشمل القوات العسكرية التي قد تعكر أمن الحج، والمحمل بما فيه من المنكرات والبدع، إلى جانب عدم التزام الحجيج بإقامة شعائر الدين وخاصة الصلوات الخمس جماعة، وعدم تركهم المنكرات بما في ذلك شرب الخمر والقيان والمعازف والفواحش مثل الزنا واللواط ونحوها.

ثانيًا: أنه اتفق مع مندوبي يوسف كنج على أن يكون الطرفان متعاهدين على الإسلام، مما يلزم يوسف كنج بالتشديد في تطبيق شعائر الإسلام في بلاد الشام ونبذ كل المخالفات بما في ذلك الخمر والزنا والمعازف في بلاد الشام.

ثالثًا: أنه إذا التزم يوسف كنج بما ورد أعلاه فالحج مسموح به أصلاً، ولا يملك سعود الكبير منعه، ويعلن مندوبو سعود الكبير في وفود الحجيج المحظورات التي تم الاتفاق عليها، وأنه في حالة رغبة يوسف كنج بالإصلاح وعارضته الدولة العثمانية أو أي جهة ترفض إقامة الإصلاح الديني في بلاد الشام، فإن سعودًا الكبير يمكنه أن يتحالف مع يوسف كنج عسكريًا، "فإن عملت بذلك فالمسلمون أعوان لك وأجناد بلا ديوان ولو تطلب من المسلمين أجناد جاك منهم ألف في

يوم واحد يحبون الموت مثل محبتهم الحياة... أهل عدد وعدة وحدود وبأس شديد والمدد من رب العالمين"(٧٩)، ولم نجد من المصادر الشامية ما يعطينا فكرة عن مدى تأثر والي الشام أو تأثير هذا الجهد الدبلوماسي السعودي لديه.

ويبدو أن التقصير الذي بدا من حكومة يوسف كنج بالدفاع عن بلاد الشام قد أحرجه أمام إستانبول، وقد شعر أن إستانبول ستحاسبه على تقصيره؛ فقد أعطته أوامر عديدة للتعامل مع الدولة السعودية التي أبلغت ولايات الشام ومصر بالحج دون المحمل. ويذكر بوركهارت أن السلطان العثماني قد اختار يوسف كنج لولاية دمشق كونه محاربًا شجاعًا، وأمده بالأموال اللازمة في عام ١٢٢٢-١٢٢٣هـ/ ١٨٠٧- ١٨٠٨م لكي يجرد حملة عسكرية إلى جانب قافلة الحج ويفرض إرادة الدولة العثمانية بالقوة، ولكن يوسف كنج احتفظ بالأموال التي رصدت من قبل الحكومة العثمانية والتي فرضت على دخل ولاية دمشق لحسابه الخاص.

ولعل القبائل البدوية برفضها المشاركة في هذه الحملة قد أضعفت من معنويات يوسف كنج، فلم يقم بتنفيذ أوامر الحكومة العثمانية، ولكنه تمادى باحتفاظه بالمبالغ المرصودة لتلك المهمة لحسابه الخاص، رغم أنه أراد أن يقوم بحملة يمكنه بها أن يقنع إستانبول أنه قام بما في وسعه، ففي عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م قام بتجريد حملة صغيرة وبتجهيزات ضئيلة لشن هجوم على منطقة الجوف المشتملة على عدد من

(٧٩) د. سهيل صابان، المرجع السابق، الوثيقة نفسها، ص١٤٠-١٤٣.

القـرى (دومـة الجـندل وسـكاكـا وقـارا) والتي تقـع بمنتـصـف الطريق بين نجد ودمشق، وتبعـد عن دمشق بحدود اثنـي عشـر يومًـا، ولكن الحـملة برمـتـهـا لم تكن أكـثـر من اسـتـعـراض عسكري، إذ عادت إلى دمشق دون تحقيق مهمتها(٨٠).

غـيـر أن نهـاية يوسـف كنج مـعـروفـة حين أصـبـح بين ثلاث مـتـنـاقـضـات: عـادات قـديمة ومـراسم أصـبـحـت مع الـوقت إلـزامـيـة كـمـوسـيـقـى الشـرف التي تصـاحـب القـافلة والمحـمل الذي يتقدم القافلة والمترفين من البلاد الذين لا يستغنون عن مـخـالـفـاتـهم الشـرعـيـة حـتى إبان الحـج - وهـي مـدونة بـكتب المؤرخين المعاصرين في تلك الفـترة كالجـبرتي وغـيره -، وبين قوة كبـرى في جـزيرة العرب لا يسـتطيع مواجهـتها، وبين أوامر سلطـانيـة بتـنفـيـذ مـا لا يسـتطيع إنـفـاذه، مما أدى إلى عـزلة والحكم عليه بالمصادرة والقتل.

ورغم الحـرب البـاردة من خلال السفـارات والمندوبين الذين لم ينقطعوا بين الطرفـين، ورغم الإجراءات الصامتة والفاعلة التـي تقـع علـى الأرض، فـقـد كـان هنـاك أرضـيـة مـشـتـركـة للتـفـاهـم لو تسنى لهم ذلك، فـعلى سـبـيل المثـال أقـر الإمـام سعود كافة القوانين والأنظمة التي كانت موروثة بالحجاز قبل وقوعه بيد الدولة السعودية، فكمـا قام محمد علي باشا بعزل الشـريف غالب كان سعـود الكبيـر أكثـر قدرة، ولكنه أقـر نظام الشـرافة، كمـا أقـر الشـريف غـالبًـا نفـسـه، وحـسـبـمـا ورد في رسـالتـه الوثيـقـة - أعـلاه - لوالـي الشـام يوسـف كنـج: "علـى أن

(٨٠) بوركهارت، المصدر السابق، ص١٠١.

جميع قوانين الحرمين المعروفة التي للبيت وخدام البيت والشريف وعامة أهل مكة، وكذلك ما كان لمسجد الرسول ﷺ وخدامه، وما كان لأهل المدينة من جميع القوانين علمائهم وعامتهم وأهل القلعة، وكذلك قانون ابن مضيان وحرب، إن الجميع ما يختلف منه شيء"(٨١).

وما من شك في أن الدولة السعودية لا تكاد تذكر في سورية حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، حيث أوكلت إستانبول مسألة علاج مشكلة الدولة السعودية لباشا بغداد على أنها مشكلة حدود فحسب كما يرى بعض المؤرخين، وقد أصبحت حينئذ إمبراطورية ووصلت قواتها إلى مشارف الأناضول بالقرب من أطراف حلب الشهباء، غير أن الدرعية بدت تصرح أكثر من ذي قبل بموقفها القوي بضرورة إعادة الأمة إلى الدين النقي الصحيح وترك ما شابه من شوائب وبدع، فقد انتقدت ضعف السلطان العثماني وربما عدم قدرته على حماية بلاد المسلمين، واحتجت على البدع التي أدخلت على الدين برعاية الدولة العثمانية، وخاصة رعاية العثمانيين لفرق الصوفية ودعمها لهم(٨٢).

غير أن الخلاف على الخطبة والمحمل وغيرها كان خلافًا دينيًا باعتباره بدعة فيما يبدو، ولقد كان يمكن لوالي الشام أن يقوم بنوع من التوفيق في وقت كانت الدولة العثمانية - بسبب ضعفها - ستقبل بحلول وسط، في حين يدرك

(٨١) د. سهيل صابان، المرجع السابق، الوثيقة نفسها، ص١٤٠-١٤٣.

(٨٢) د. عبدالغني عماد، المرجع السابق، ص٣١-٣٢.

سعود الكبير أن ولاة الشام والعراق لم يتهيأ بعد لمشروعه الذي لمح وصرح به في رسائله لهما، من عقد لتحالف عربي ثلاثي يمكنه من شن حرب على الدولة العثمانية والدولة الفارسية.

ولعله بعد نجاح محمد علي باشا في استعادة النفوذ العثماني بالحجاز تمكنت - ولأول مرة - قافلة الحجاج التركية الشامية من الحج إلى مكة المكرمة في عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، ولكن سليمان باشا أمير الحج الشامي اضطر إلى أن يدفع للقبائل ويعطيهم صررهم وعلائفهم عن السنوات العشر الماضية(٨٣).

الخطط العثمانية والخطط السعودية المضادة:

الخطط العثمانية:

لا شك أن الموقف بدأ يتخذ طابعًا عدائيًا للغاية بين الطرفين، فبعد دخول الحجاز تحت نفوذ الدولة السعودية قام نوع من "العداء الشديد" بين الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية صاحبة السيادة والنفوذ على الولايات العربية العثمانية، ولا سيما أن المسألة الحجازية باتت تؤثر على سمعة الدولة العثمانية ومركزها، ليس في العالم العربي فحسب، وإنما في العالم الإسلامي إن لم يكن على مستوى العالم كله، وذلك لفقد سلطانها لقب حامي الحرمين الشريفين، إلى جانب الحق الرسمي في الإشراف على الأماكن المقدسة بالحجاز، وقررت إستانبول معالجة مسألة

(٨٣) ج. ج. لوريمر، المرجع السابق، ج٣، ص١٦٠١.

الحجاز ومسألة الدولة السعودية الأولى بشكل حربي سريع، وليس على شكل محاورات ومناقشات سلمية[٨٤].

في الجانب الآخر كان العالم كله يرقب الأحداث والتطورات الهامة في الشرق العربي آنذاك، فبريطانيا كانت قد بدأت تتصادم في معارك بحرية بأسطولها الضخم في الهند مع أتباع الدولة السعودية الأولى في الشارقة ورأس الخيمة، وألقت بثقلها إلى جانب عُمان ضد القواسم لوقف نشاطهم البحري من جهة والحد من تقدم السعوديين آنذاك نحو السواحل العُمانية وتحجيم دورهم بالمنطقة من جهة أخرى[٨٥]. والبحرية الكويتية كلها أجبرت - وفق اتفاقيات لم يكشف عن كنهها حتى الآن - على أن تخدم المجهود الحربي للجيش السعودي بعمان، وانتصار السعوديين بعمان سيعني أن الدولة السعودية الأولى ستصبح إمبراطورية كبرى؛ فعُمان تمتد ولاياتها من زنجبار وكينيا غربًا إلى الساحل الفارسي وبوشهر شرقًا؛ مما يعني أن سقوط هذه الممتلكات في يد دولة تعتبر معادية - من خلال نشاط القواسم البحري - خط أحمر، بحيث إن الدولة السعودية، كما يقول كوبر، أصبحت في نظر بريطانيا على أعتاب أن تقوم بمواجهة البريطانيين بالخليج العربي، وأنها كانت متورطة فعليًا بـ "لون من ألوان الحرب التجارية" ضد بريطانيا، في وقت فرض فيه

(٨٤) الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج١٠، ص٤٧٦.

(٨٥) د. عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن، الخليج العربي والمحرمات البريطانية الثلاث ١٧٧٨-١٩١٤م، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص٧٢-٧٣.

ظهور الملاحة البخارية بعدًا جديدًا على السياسة البريطانية ومخططاتها الاستعمارية، إلى جانب التحدي الجديد الذي فرض على بريطانيا من قبل دولتين استعماريتين هما فرنسا وروسيا في السياسات الدولية عامة والمنطقة خاصة(٨٦)، ولهذا فإن بريطانيا رغم سياستها بعدم التدخل في بر الجزيرة العربية فإنها قد قررت إعلان عداء مرير مع السلطات السعودية، ولهذا- كما يقول كوبر- فإن البريطانيين لم يستشعروا ضرورة إقامة علاقات دبلوماسية مع آل سعود، فقد رفض البريطانيون استقبال وفدين سعوديين أرسلا إلى المقيم البريطاني في بوشهر من أجل إقامة علاقات صداقة بين الطرفين في عامي ١٢٢٦هـ و ١٢٣٠هـ/ ١٨١١م و١٨١٤م(٨٧)، ورغم أن كوبر يفسر هذا الموقف البريطاني باعتبار أن الحاجة إلى وجود مثل هذه العلاقة أصبحت عديمة الجدوى؛ لأن نابليون لم يعد يشكل مشكلة، إلا أننا نرى أن البريطانيين - فيما يبدو - وضعوا سياستهم مع القوى المتنفذة بالعالم والدولة العثمانية على القضاء على الدولة السعودية؛ لذلك من الصعب الالتزام مع السعودية بأي علاقات قد تأتي لهم بأي نوع من الدعم، وإنما يدعونها فقط تغرق مع عدوها.

وأما فرنسا التي قيل إن قائدها نابليون كان قد أرسل رسائل إلى الإمام سعود الكبير لإقامة صداقة معه، فإن

---

(٨٦) لي ديفيد كوبر، الحركة الوهابية في القرن التاسع عشر، ترجمة د. عبدالله بن ناصر الوليعي، سهاج للأعلام والنشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص٢٥.

(٨٧) المرجع نفسه، ص٢٦؛ د. مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص٢٣-٢٤.

القنصل الجديد ج. روسو للإمبراطور الفرنسي وملك إيطاليا – والذي كان يراقب الأمور بالشرق العربي الأدنى بعين تجسسية فاحصة – قد تنبأ فيما يبدو بأن هدف الحكومة الفرنسية الذي كان يحمله نابليون وهو يحاصر عكا في طريقه للقدس – حين نادى نداءه الشهير لليهود بالاتحاد من أجل إقامة مملكة القدس اليهودية القديمة – لن يكون سهلاً في ظل وجود دولة عربية أصولية متشددة كالدولة السعودية، ومن هنا بدأ العالم الأوروبي– رغم صراعه – يتفق على أن الدولة السعودية الأولى تهدد مصالحه، فكتب روسو وهو عائد من رحلة من بغداد لدراسة أحوال المنطقة تقريرًا لحكومته الفرنسية.

فيقول ج. روسو القنصل العام لجلالة الإمبراطور الفرنسي وملك إيطاليا في حلب وملحقاتها وبلاد فارس في تقرير له بعد عودته من بغداد إلى حلب في ٦ شوال ١٢٢٣هـ/ ٢٤ نوفمبر ١٨٠٨م: "إن دعوة ابن عبدالوهاب وتحالفه مع أمير الدرعية، ما هي إلا صحوة جديدة للعرب الذين مضى عليهم ردح من الزمان مغمورين وراء كثبان صحرائهم، وإن عودتهم إلى مسرح الأحداث من جديد، وهم يحملون نفس المبادئ التي حملها أسلافهم في أوائل عهد الفتوحات الإسلامية، والتي على أثرها تحطمت إمبراطوريتا الفرس والروم، وهذا ما جعل أنظار القوى الكبرى تتجه بعين المراقب الحذر إلى متابعة تلك الصحوة العربية"[٨٨]، ويمضي

---

(٨٨) د. محمد آل زلفة، الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود الكبير... كما ورد في تقرير جوزيف روسو....، المرجع السابق، الدرعية، السنة الأولى، العدد الأول، المحرم ١٤١٩هـ، ص١٥٢-١٥٦.

روسو في تقريره قائلاً: "وكانت العراق والشام أول المناطق تعرضًا للتهديد من قبل أتباع الدرعية، وكان سليمان باشا والي بغداد أول من تصدى للدعوة وأتباعها بإعلانه الحرب ضدها؛ حيث جهز حملة بقيادة (الكخيا) علي زوج ابنته وخليفته فيما بعد، وقد كتب الفشل الذريع لهذه الحملة وكاد قائدها أن يقتل وأشرف جيشه على الهلاك، ولم يكن لهذه الحملة أية نتائج إيجابية، بل كانت إهانة كبيرة للجيش العثماني، وتعميقًا للثقة في نفوس جنود الدرعية، مما شجعهم على الإغارة على مدينة كربلاء عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م"(٨٩).

وبعد أن يتحدث روسو عن اتساع نفوذ الدرعية، ورسوخ ذلك النفوذ، حيث يقول: "وأصبح هذا الانضمام قائمًا على قواعد راسخة وغير قابل لأية هزة"(٩٠)، ويسأل في تقريره وكأنه يجيب عن أسئلة موجهة له من الحكومة الفرنسية: "أما كان من الممكن القضاء على هذه الحركة الإصلاحية وضربها في عقر دارها؟... إن السلطان العثماني مصطفى منذ توليه سلطة الخلافة أبدى اهتمامًا كبيرًا، يعاونه وزيره الأعظم في القضاء على مشكلة حركة ابن عبدالوهاب وأتباعها، والتي لم تعد مثار اهتمام السلطان العثماني وحكومته فحسب؛ بل شملت اهتمام القوى الأوروبية أيضًا، ولكن السلطان فشل في تنفيذ خططه المعدة لتوجيه ضربة قاضية لهؤلاء العرب الذين لا يعترفون بسلطته"(٩١).

---

(٨٩) المرجع نفسه، ص١٥٣.

(٩٠) المرجع نفسه، ص١٥٤.

(٩١) المرجع نفسه، ص١٥٤-١٥٥.

ويرسم روسو القنصل الفرنسي بحلب خطته للقضاء على هذه الدولة مستخدمًا خبرته بالمنطقة العربية حيث يقول لحكومته: "إذا كان هناك من يستطيع القضاء على الوهابيين فهو باشا بغداد، إذ يستطيع هذا الباشا أن يشكل قوة من القبائل المماثلة للقبائل المناصرة للوهابيين، وإن عدد القبائل التي يمكن توظيفها كبير جدًا... بهذه الطريقة يمكن تكوين جيش من المليشيات قادرين على مجابهة أعدائهم غير آبهين، يدفعهم طمعهم في الغنائم بالإضافة إلى ما سيدفع لهم من مرتبات ثابتة، وتوجه هذه الجيوش مباشرة إلى الدرعية عن طريق الصحراء، على حين يتحرك الجيش النظامي المكون من العثمانيين والأكراد على الطريق المحاذي للنهر قرب البصرة، ومن هناك يتجه محاذيا للخليج العربي مندفعًا إلى بلاد الوهابيين. وبهذا يجد الوهابيين أنفسهم مطوقين من اتجاهات مختلفة، وبضربة محكمة يودون بالوهابيين إلى نهايتهم، وعندما يتم غزو الدرعية القلب النابض للوهابيين؛ يصبح من المؤكد أنه لن تقوم لهم قائمة مرة أخرى ولا في مكان آخر"[٩٢].

ولعلنا في ظل غياب نصوص الوثائق، وبالإشارة إلى رأي الدكتور سليمان الغنام من أن اتصالات واتفاقات قد جرت ربما لم يحن الإفراج عنها بين بريطانيا ومحمد علي باشا، وقد يكون برعاية الدولة العثمانية، فقد اتفقت مصالح القوى الأربعة: الدولة العثمانية، وواليها بمصر محمد علي باشا، إلى جانب بريطانيا التي قامت بحصار اقتصادي غير معلن آنئذ من تفتيش لكافة السفن الداخلة للخليج، ومن مساعدات

(٩٢) المرجع نفسه، ص١٥٥-١٥٦.

فنية وعلمية وصناعية فرنسية لتحديث مصر من أجل إعدادها لضرب الدرعية وتدميرها حتى لا يقوم لها قائمة.

في ظل هذه الظروف مجتمعة يمكن لنا أن نقرر أن الدولة العثمانية أخذت تعد للقضاء على الدولة السعودية الأولى وتدمير عاصمتها، واتخاذ قضية منع الحج للأماكن المقدسة قضية إعلامية تبرر القيام بتلك الحرب الكبرى على الدولة السعودية. ولعلنا نؤكد أن مطلب السلطان العثماني ظل يكرره لمحمد علي باشا بدون انقطاع كان استرجاع الحرمين، وقد ربط تجديد تكليفه واليًا لمصر بإنجاز هذه المهمة، ولكن تدمير الدرعية والقضاء على الدولة السعودية نهائيًا كان مطلبًا دوليًا بالدرجة الأولى.

ومن هنا كانت الخطة العثمانية تقضي بما يلي:

١ - منع أتباعها في ولايات مصر والشام والعراق من الحج باعتبار أن السعوديين هم من يمنعون الحج، وهو ما يحاول الجبرتي إنكاره بقوله: "معتلِّين بمنع الوهابي الناس عن الحج... والحال ليس كذلك فإنه لم يمنع أحدًا يأتي إلى الحج على الطريقة المشروعة، وإنما من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع، مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الأسلحة، وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة، وحجوا ورجعوا في هذا العام وما قبله ولم يتعرض لهم أحد بشيء..."(٩٣).

---

(٩٣) عبدالرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٧؛ محمد أديب غالب، المرجع السابق، ص١١٥-١١٦.

٢ - فرض حصار اقتصادي على سواحل الحجاز من أجل وضع الحجاز في أوضاع اقتصادية تمكن الدولة العثمانية من استعادة ولاء أهله، بسبب صعوبة الأوضاع المعيشية وغلاء الأسعار وفقدان السلع نتيجة لهذا الحصار، في وقت متزامن مع حصار مماثل على الخليج العربي تحت ذريعة مواجهة أسطول رأس الخيمة والشارقة، بحيث أعلن القواسم الذين كانوا يقومون بنشاط سعودي بحري كبير أنهم بصدد الإعداد لهجوم بحري كبير على ميناء البصرة في عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م - مما كان سيعرض التجارة البريطانية الهندية لخسارة فادحة، فقامت بريطانيا من خلال أسطولها بانتهاك مياههم وموانئهم وهددت سيادتهم، وبدأت تحاول أن تمنعهم حتى من حقهم الطبيعي بالملاحة والتجارة(٩٤). ورغم أنه لا يوجد نصوص قوية تجاه محاربة تجارة السلاح أو مصادرته في ذلك التاريخ، ولكنه من غير المستبعد أن المضايقات تجاه سفن القواسم كانت شاملة حتى للتجارة القادمة من الهند أو غيرها.

٣ - تكليف محمد علي باشا والي مصر باستعادة الحجاز، وإعداد مصر لمثل هذه المهمة بالتنسيق مع الخبراء الأجانب الذين بدؤوا يغزون بلاطه في وضح النهار وتحت سمع السلطات العثمانية وبصرها، لإعداد البنية التحتية لمصر قبيل إعلان الحرب.

(٩٤) د. عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن، المرجع السابق، ص٧٠-٧١.

الخطط السعودية:

لم يكن سعود الكبير غافلاً عما يحاك ضد بلاده، وقد أعد من الخطط ما يحير العقول، في عصر لم يكن فيه شعبه يعي المخاطر الدولية التي تحيط به من كل جانب، وكانت الخطط السعودية التي يمكن لنا قراءتها من خلال الأعمال العسكرية والدبلوماسية والمراسلات تتحصر في الآتي:

١ - العمل السريع على تغطية قرار منع السلطات العثمانية لولاياتها من الحج بأن دعا شعبه من عُمان والأحساء والجوف فضلاً عن نجد بما يشبه الحشد الشعبي للحج بأقصى طاقتهم، حتى إنه كان يحج سنويًا للاطمئنان على الأوضاع هناك بنفسه، وتعويضًا للنقص الحاصل من حجاج الخارج بحجاج الداخل، حتى إنه في عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م حج أكثر من مئة ألف من حجاج الداخل مع الإمام، مما أدى إلى تحسين الوضع الاقتصادي لمكة والمدينة وقلل من أخطار الخطة العثمانية الرامية إلى إضعاف الحجاز اقتصاديًا. ومن هنا نراه - كما يورد ابن بشر - يكثر من الأعطيات والصدقات على طوائف الشعب مما أسهم في رفع مستوى المعيشة بالحجاز بقدر طاقته[٩٥].

---

(٩٥) ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٤-٢٩٥، ص٣١٤، ٣١٦، ٢٩٧، ٣٢٧ وغيرها.

٢ - العمل على تحسُّس نبض المناطق الساحلية بالبحر المتوسط بأن ركز - في السنوات الأخيرة قبيل الغزو المصري - على إرسال حملات من الخيالة، وهي القوة السريعة التي كان يقودها في الغالب سالم بن بلال الحرق، بحيث غزا الكرك في غرب الأردن والنقب في جنوبي فلسطين ووصلت تلك القوة إلى القرى الساحلية على البحر المتوسط، ربما غزة أو عسقلان، لم تحددها المصادر، وحسب الخطط السعودية في المناطق الأخرى يكون ذلك توطئة وتمهيدًا لمد النفوذ السعودي في تلك المنطقة، ولعلنا نرى تفسيرًا لذلك أنها كانت ردًا طبيعيًا على فرض الحصار الاقتصادي على سواحل الحجاز من قبل الموانئ المصرية، بحيث يمكن استخدام موانئ جنوبي فلسطين من أجل التجارة مع أوروبا مباشرة.

٣ - القيام بجهود دبلوماسية وعسكرية مع والي بغداد ووالي دمشق، عبدالله العظم وخلفه يوسف كنج، ولعلنا نسجل هنا أن الإمام سعودًا لم يقم بأي جهود مع أحمد باشا الجزار المعروف بكراهيته للتوجهات السعودية، فقد كاتب العظم، كما يقول سعود الكبير نفسه في رسالته إلى علي الكخيا أن العظم قد تفاهم معه، كما كاتب علي الكخيا عام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م يعرض عليه العمل سويًا مقابل دعمه بقوات سعودية تقارب مئتي ألف مقاتل لا يدفع لهم الكخيا أي مصاريف ويوجههم الكخيا إلى حيث يريد من الحروب، وقال في رسالته إلى والي العراق. "فإذا هداك

الله للإسلام؛ فإني أبشرك بأن أجعل في خدمتك مئتي ألف من الرجال، لا تلتزم بإعالتهم، فيكونوا تحت تصرفك في توجههم حيث تريد من الأطراف وما ترغب من حروب، لقد دخلت الشام في إسلامي، وإن مقدمي رجالنا الذين قصدوا الحج في هذه السنة، قد تعاهدوا مع أربع باشوات، وقد دخل الشريف في الإسلام، كما دخل عبدالله باشا بن العظم وتعهدا على ما هو حسن، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم"(٩٦)، ويمكن تفسير تلك الجهات بأنها بلاد فارس أو السلطان العثماني، كما عرض عرضًا مماثلاً ليوسف كنج برسالته الوثيقة: "فإن عملت بذلك فالمسلمون أعوان لك وأجناد بلا ديوان، ولو تطلب من المسلمين أجناد جاك منهم ألف في يوم واحد يحبون الموت مثل محبتهم الحياة... أهل عدد وعدة وحدود وبأس شديد، والمدد من رب العالمين"(٩٧). وهذا يعني أن سعودًا الكبير كان يرمي من خلال هذا الضغط العسكري والجهد الدبلوماسي إلى إمكانية قيام تحالف سعودي عراقي سوري، يشكل تكاتفًا وتحالفًا عربيًا ضد السلطنة العثمانية ومملكة فارس، وهو أول مشروع يطرح بمثل هذا المستوى على الإطلاق، حتى قبل ما قيل من أن محمد علي باشا فكر في إنشاء مملكة عربية.

---

(٩٦) أحمد مرسي، مجلة الدارة، المرجع السابق، ص١٦٩.

(٩٧) د. سهيل صابان، المرجع السابق، ص١٤٠-١٤٣.

٤ - أرسل إحدى قبائل البدو للاستيلاء على بئر ماء في نقطة متقدمة من سيناء نحو مصر، وهي الطريقة التي استخدمت من قبل الدولة السعودية قبيل السيطرة على كثير من المناطق، فقد أورد الجبرتي أنه في ٢٦ شوال ١٢٢٤هـ/ ٤ ديسمبر ١٨٠٩م "أن طائفة من العربان تابعة للوهابيين حضروا إلى ناحية السويس وأقاموا على بئر ماء ومنعوا السقيا منها"[٩٨]، وقد أرسل محمد علي باشا قائدين بفرقة عسكرية من جيشه هما إبراهيم بك ومحمد أغا لطرد تلك المجموعة، وهي خطوة نعرفها جيدًا حسب التكتيك السعودي، فهي تشبه المليشيا العسكرية السعودية التي عادة ما تكون استطلاعية لجس قوة العدو، استعدادًا للتوغل من خلال تشكيل مليشيات محلية مؤيدة للنفوذ السعودي، حيث استخدم مثل هذه المليشيا البدوية في العراق، وكانت تلك الجماعات من البادية كما وصفها أحد المؤرخين "جماعات وهابية وسمت إبلها بشارات بارزة وهي تحمل رقاعًا دينية غريبة"[٩٩]، وهذا يعني أن الإمام سعودًا الكبير قد قرر البدء باتخاذ الإجراءات نفسها التي كانت الدرعية تتخذها مع الأطراف المعادية.

٥ - حاول الإمام سعود الكبير البحث عن حليف دولي يمكنه الوقوف إلى جانبه وبناء علاقات صداقة معه، وربما رأى أن بريطانيا هي الجهة المناسبة، وقد أرسل موفدين

(٩٨) محمد أديب غالب، المرجع السابق، ص١١٩.

(٩٩) د. علي الوردي، المرجع السابق، ج١، ص١٨٣.

في عـــــامي ١٢٢٦ و١٢٣٠هـ/ ١٨١١ و١٢٢٦م إلى بوشهر[١٠٠]، ولكن البريطانيين اعتذروا عن ذلك كما أوضحنا سابقًا.

وبهذا فقد كانت الدولة العثمانية قد قررت استخدام قرارها بمنع حج ولاياتها لمكة وإلقاء المسؤولية في ذلك على الدولة السعودية، وفق تفاهم دولي واضحة معالمه، وإن لم نجد وثائق بعد تؤكد أن هذا التفاهم يرقى إلى مستوى الاتفاقية الدولية كاتفاقية لندن مثلاً عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م.

كما أن الدولة السعودية قد بذلت - من خلال جهد خارق لإمامها - كل ما يمكنها من جهود دبلوماسية وعسكرية، بيد أن قوة زخم العدو كانت أكبر، مع سرعة مداهمة الوقت لزعامة الدرعية، بحيث لم تتمكن من تحقيق أهدافها في ظل تكاتف دولي كبير ضدها.

خامساً: منع الدرعية الحج عن طريق أراضيها

لم تشر المصادر السعودية إلى أي قرار من قبل الإمام محمد بن سعود أو خلفائه بمنع أهالي الأحساء أو الخليج، ومع ذلك نجد أن العديد من الباحثين يجعلون هذه القضية أساسية في خلافات الدولة العثمانية مع الدولة السعودية. حتى إنه من انعدام النصوص الموثقة لهذه القضية إن وجدت فعلاً، نجد نصًا لدى الدكتور مفيد الزيدي ربما يصل إلى حد يمكن وصفه بأنه مثير للسخرية، فيقول النص: "دخل بنو خالد في صراع مع آل سعود في الربع الأخير من القرن

---

(١٠٠) د. مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص٢٥.

الثامن عشر في عهد علي بن محمد بن براك، عندما أرسل أحد أقاربه إلى الحج عن طريق قطر والبحرين فالحجاز، فهاجمته قبائل المغير، واستولت على بضائعه وقتلت عددًا من الحجاج والأعيان من الأحساء، ثم تبع ذلك تدخل آل سعود في الصراع على الحكم في قبيلة بني خالد بين سعدون بن محمد وأولاده من بعده وزعيم بني خالد علي بن محمد، فدعم آل سعود بعض الرجال الذين يسعون للزعامة وساندوا الظفير والمنتفك ضد الخوالد"(١٠١).

من هنا نقول إن مثل هذه النصوص التي يكتبها كثير من الباحثين تحتاج إلى صفحات لمناقشة أخطائها العلمية، ولكننا سنحصر النقاش في أضيق نطاق، فالمعروف أن علي بن محمد الذي حدثت هذه القصة في عهده قد حكم بين عامي ١١٣٥-١١٤٤هـ/ ١٧٢٢-١٧٣١م، وهو ما يعني أنها حدثت قبل قيام الدولة السعودية الأولى بنحو عشرين عامًا، هذا فضلاً عن أن حجاج البحرين وقطر يأتون من خلال الأحساء في حين أن القصة جعلت حجاج الأحساء يذهبون إلى الحجاز عن طريق قطر فالبحرين، بحيث تأتي القصة لتعكس اتجاهات الجغرافية كما عكست اتجاه التاريخ، هذا فضلاً عن الحديث عن تحالف سعودي منتفكي ضد بني خالد!! وهذه القصة تؤكد أن بعض الباحثين ينساقون وراء تفسيرات خاطئة سببها قد لا يكون التجني والتعمُّد بقدر ما هو التفسير والفهم الخاطئ للتاريخ السعودي وعلاقاته المحلية والإقليمية والدولية.

---

(١٠١) المرجع نفسه، ص١٧.

وظهرت قضية اتهام السعوديين بمنع الحجاج من المرور بأراضيهم لأول مرة من خلال مفاوضات الصلح بين محمد علي باشا والدولة السعودية قبيل وفاة الإمام سعود الكبير أو بعيدها بقليل، ويبدو أن القضية أقحمت في المفاوضات على اعتبار أن ذلك من مسببات الحرب التي قام بها محمد علي باشا، في حين لم يفطن لها السعوديون لعدم خبرتهم بالألاعيب الدبلوماسية المعاصرة آنذاك على وجه الترجيح، ويختلف المؤرخون كثيرًا حيال هذا الأمر بحيث يصعب إن تقرر كونها بحق من ضمن الشروط التي طالب بها الجانب المصري أم أن القضية من نسج خيال أولئك المؤرخين فحسب.

كان عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م عامًا حافلاً بالهزائم لقوات التحالف (الجانب المصري)، حتى إن مدينة تربة شكلت خطرًا حقيقيًا على جنود التحالف، وفي تلك المرحلة حسم السعوديون رأيهم بعد فترة من التردد والصراع بين الجناح المسالم الذي يمثله الإمام عبدالله والجناح المتشدد الذي يمثله أخوه فيصل بن سعود الكبير، حيث حسم الخلاف - إبان وجود الإمام عبدالله بالقصيم بُعيد وفاة الإمام سعود الكبير - لصالح الجناح المتشدد الذي يرى ضرورة حسم الصراع مع الغزاة عسكريًا. وقد تطور تفكير محمد علي باشا في تلك الفترة إلى رأي مفاده أن الأسلم هو الصلح من السعوديين للحفاظ على ما حققه من مكاسب على الجبهة، ويؤكد هذا الرأي ما أورده محقق كتاب ابن بشر في حاشية الكتاب، حيث يذكر أن الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب قد أورد رواية في مقاماته المطبوعة

في الجزء التاسع من الدرر السنية في الأجوبة النجدية، أنه حدث خلاف وانقسام في القيادة السعودية وعلى رأسهم أولاد سعود الكبير، وانقسم المسلمون فرقتين: "جانب مع عبدالله وجانب مع فيصل أخيه، فنزل الحناكية عبدالله، ونزل فيصل تربة باختيار وأمر من أخيه... فراسل [محمد علي باشا] فيصل بن سعود هناك فطلب أن يصالحه على الحرمين، فأبى فيصل وأغلظ له الجواب، وفيما قال فيصل في رسالته:

لا أصلح الله منا من يصالحكم

حتى يصالح ذئب المعز راعيها

فأخذت محمد علي العزة والأنفة فسار إلى بسل"، ويضيف صاحب الدرر السنية: "الظاهر أنه كان حريصًا على الصلح، فاستعجل فيصل بمن معه فساروا إليه في بسل وقد استعد لحربهم خوفًا مما جرى منهم"(١٠٢).

ومن خلال محادثات الصلح بدأ اللغط حيال قضية موافقة السعوديين على السماح بالحج عبر الأراضي السعودية. بل إن لوريمر يضع من أهداف حملة جيش التحالف في غزو مدينة تربة "فتح طريق الحج إلى مكة الذي أغلقه الوهابيون منذ عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م إلى ذلك الحين في وجه العالم الإسلامي كله"(١٠٣)، وهو ما يتناقض مع الطرح الذي يطرحه موسيل الذي يرى أنه كان قرارًا من الشريف غالب للتأثير على مصالح الدولة السعودية، حتى تمكنت الأخيرة من فرض شروط صلح لصالحها

(١٠٢) ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٣٧١.

(١٠٣) لوريمر، المرجع السابق، ج١، ص٣٠٤.

على الشريف غالب في عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م. وبغض النظر عن عدم صحة إغلاق طريق الحج، فإن هذا هو على الأقل الهدف المعلن للحرب هناك، وقد حققه طوسون حين اشترط في صلح الرس بأن على الدولة السعودية أن تؤمن رعايا الدولة العثمانية المارين بأراضيها،أو كما قال الزيدي: "وتعهد أهل نجد أن يسمحوا بالحج وتأمين الطرق والمواصلات إليها"(١٠٤).

وقد توصل الطرفان طوسون باشا والإمام عبدالله للصلح بشروط أهمها: منع الحرب بين الطرفين، وأن يكون من حق رعايا الدولة العثمانية بالعراق أو غيرها المرور بأراضي الدولة السعودية، ومن حق رعايا الدولة السعودية المرور بأراضي الدولة العثمانية، وهو ما يعني حقهم في الحج، وإيقاف الحرب واستمرار السلم بين الطرفين بعد انسحاب طوسون من القصيم. وقام بالفعل بإبعاد كل الزعماء الذين تبعوه من أهل القصيم، كما تخلى عن كل القبائل التي تبعته خلف خط الحناكية شرقًا، محتفظًا للدولة العثمانية بتلك القبائل التي تقع غربًا بين الحناكية والمدينة المنورة وكذلك الحجاز، كما لم يتضمن الصلح أي نقاط حول مناطق عسير وما حولها، ويختلف المؤرخون حول تضمن شروط الصلح أي موافقة لعبدالله بن سعود بالتبعية للسلطان العثماني(١٠٥). ولعل هذا فيه شيء من اللبس، فلو تضمنت شروط الصلح مثل هذه التبعية لما تجددت الحرب ولما كانت هناك حاجة إلى تحديد الحدود.

(١٠٤) د. مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص٣٠.

(١٠٥) بوركهارت، المصدر نفسه، ص١٩١.

ولكن بعد وصول مبعوثي الإمام عبدالله إلى القاهرة لتوقيع الصلح ومعهما رسالتان، إحداهما للباشا والأخرى للسلطان العثماني؛ كان موقف الباشا قد عاد تمامًا إلى مطالبه التي حددها برسالته إلى الإمام عبدالله التي أرسلها إليه من مكة المكرمة قبل مغادرته للحجاز، فرفض الموافقة على بنود الصلح، وطالب بمطالب متشددة أهمها استسلام الإمام عبدالله بن سعود استسلامًا تامًا، ودخول جيش التحالف الدرعية، وغيرها من المطالب التي يتخبط حولها بعض المؤرخين، إلى الدرجة التي جعلت لوريمر يذكر أن أسباب رفض توقيع الصلح هو أن محمد علي اشترط يضم إقليم الأحساء على ساحل الخليج العربي! وهو أمر لم نجد وثيقة تؤيده خاصة أن إقليم الأحساء هو شرقي نجد، فلو طالب بالأحساء فهذا يعني مطالبته بالدرعية نفسها، بل لعل الصلح مع طوسون جاء في ظروف وضعت مستقبل محمد علي وابنه طوسون في مهب الريح، فالخطر الذي بات يتهدد حكم محمد علي باشا في مصر فيما لو جاء قائد الأسطول العثماني لمصر، وتم عزل محمد علي باشا من خلال هذا القائد أو من خلال ثورة للجند الذين عادوا للقاهرة قبل عودة محمد علي باشا إليها؛ يتساوى مع الكارثة نفسها التي أوقع طوسون نفسه فيها في وسط بلاد عدوه، ولذا كان الموقف برمته حينئذ عصيبًا على محمد علي باشا ومن كل النواحي، فالمهم حينئذ هو سلامة حكمه في مصر، وسلامة ابنه الشخصية، وكل العهود والمواثيق في نهاية المطاف لا تساوي الحبر الذي كتبت به لدى محمد علي باشا كما ثبت خلال عهده كله.

ومما يؤكد أن شروط الصلح قد جرى تطويرها مؤخرًا - وذلك بعيد معركة وادي بسل وعودة محمد علي باشا من الحجاز في عهد الإمام عبدالله بن سعود - أنه قبل سنتين تقريبًا من معركة وادي بسل وقبل وفاة الإمام سعود الكبير بقليل؛ كان سعود الكبير قد حزن حزنًا كبيرًا على عثمان المضايفي الذي كان قد تم أسره، فأرسل وفدًا إلى محمد علي باشا أبلغوه أن الإمام سعودًا الكبير يطلب الإفراج عن عثمان المضايفي ويقدم فدية مقابل إطلاق سراحه مئة ألف ريال فرنسي، كما يريد فتح باب المحادثات للصلح بين الطرفين وإيقاف القتال، وهو ما يعني إيقاف القتال بين الطرفين والإبقاء على الأمور على ما هي عليه، فرد محمد علي باشا بأن المضايفي قد بعث به إلى إستانبول، "وأما الصلح فلا نأباه بشروط"، واشترط دفع الدرعية لمحمد علي باشا كل تكاليف الحرب من بدايتها حتى تاريخه، وتسليم ما أخذ من الحجرة النبوية الشريفة، وأن يتم الصلح في القاهرة بحضور سعود الكبير، وإلا فستتجدد الحرب بين الطرفين، ملمحًا بالذهاب إلى الدرعية، ولعل بعض كلامه المتشدد - كمطلبه توقيع الصلح بالقاهرة بحضور سعود الكبير هناك - ما هو إلا نوع من التشدد في المفاوضات التي يمكن التراجع عن بعضها حين تتجه المحادثات نحو الصلح بجدية[١٠٦].

ويرى إبراهيم جمعة أن محمد علي باشا قد زادت لديه فكرة مفاوضات الصلح رسوخًا بعد أن كانت مجرد فكرة بعد

(١٠٦) عبدالرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج٣، ص٤١٠-٤١١؛ محمد أديب غالب، المرجع السابق، ص١٤٩-١٥٠.

احتلال الحجاز، وذلك "خشية التورط في حرب صحراوية مجهولة النتائج"(١٠٧)، ومما يدلل على صحة هذا الرأي أنه قبيل معركة وادي بسل كان محمد علي باشا نفسه هو الذي طلب الصلح حين رأى أن السعوديين لم يواصلوا الحديث معه عن الصلح وبدأوا باستعدادات جادة لحرب فاصلة، ولكن رسالة فيصل بن سعود قطعت كل أمل له بالصلح مع السعوديين، فسدت السبل في وجهه، فالباب العالي سيرضى بما حققه ولكنه متخوف منه، والقوى الضاغطة لإكمال المهمة تواصل ضغطها عليه، والسعوديون لم يعطوه فرصة للصلح في تلك الفترة التي سبقت معركة وادي بسل.

وعلى كل حال فقد نفى الإمام عبدالله في رسالتين لمحمد علي باشا أي عمل من هذا القبيل، ونوَّه قائلاً "ولما كان حجاج المسلمين عامة لكافة البلاد والعباد وروافض الأعاجم طامة، فالمشهور عنا أننا لا نتدخل ولا نتعرض بأي وجه كان لمرور حجاج روافض الأعاجم وعبورهم في كل عام من حوالينا وعلى العموم"(١٠٨).

(١٠٧) إبراهيم جمعة، الأطلس التاريخي للدولة السعودية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٣٩٩هـ، ص٧٠.

(١٠٨) د. سعود بن غانم الجمران العجمي، المرجع السابق، ص٢٥٦-٢٥٨ وثيقة رقم ٣ بوحدة حفظ دفتر (١٦) بحر برا في دار الوثائق القومية بالقاهرة برقم حفظ ١٢٢.

الخاتمة ونتائج البحث:

مما سبق يمكن لنا أن نتوصل إلى النتائج الآتية:

١ - أن الوثائق التي اعتمد البحث عليها كرسالة الإمام سعود الكبير إلى والي الشام يوسف كنج، تؤكد بمضمونها جملة وتفصيلاً أن منع الحجاج من أداء فريضة الحج لم يرد على لسان سعود الكبير مطلقاً، كما تؤكد من جانب آخر أن قرارات سعود الكبير تنحصر فقط في الأمور الشرعية الواجب اتباعها أو الممنوع على قوافل الحجاج اصطحابها، كالمحمل وهو رمز من الرموز العثمانية للحج - وإن كان المحمل المصري قبل العهد العثماني - وموسيقى الشرف (الزمر أو الأزغة) وبعض المنكرات الشرعية بحسب ما هو مشهور عن تلك القوافل من الخمر والقيان والاستهتار بصلاة الجماعة وغيرها: "وإقام الصلوات الخمس جماعة بآذان وإقامة... ولا يحج عسكر قليل ولا كثير ولا أزغة [يبدو أنها بمعنى معازف] حرب ولا يحج محمل، لأن المحمل فيه اعتقادات وتياله به من دون الله، وظهرت للمسلمين ورأوها في مخالطتنا في الحج الماضي، ولا نشتهي أن المحمل يجيء بأمامنا ويرجع ما وصل مكة، ولا يجوز لنا أن نقر سياق الشرك ولا نرضى به"، وأن كل أحاديث المؤرخين عن منع السعوديين لأهالي سكان الولايات العثمانية من الشام والعراق ومصر من الحج إنما هو في غير محله ويخالف الحقائق التاريخية التي توصل إليها البحث.

٢ - أن سعودًا الكبير قد أقر كل الأنظمة الإدارية والتنظيمية التي أقرها السلطان العثماني، بداية من نظام الشرافة حيث أقر الشريف غالبًا شريفًا على مكة، بخلاف ما حصل في نهاية الأمر في الأحساء حين أزيلت إمارة بني خالد من الوجود، كما أقر القاضي الذي عينه السلطان وبحسب رسالته ليوسف كنج: "على أن جميع قوانين الحرمين المعروفة التي للبيت وخدام البيت والشريف وعامة أهل مكة وكذلك ما كان لمسجد الرسول ﷺ وخدامه وما كان لأهل المدينة من جميع القوانين علمائهم وعامتهم وأهل القلعة وكذلك قانون ابن مضيان وحرب، إن الجميع ما يختلف منه شيء".

٣ - توصل البحث إلى رأي مفاده أن العثمانيين يعلمون الموقف السعودي جيدًا، ولكن فيما يبدو أن قطع الخطبة في الحرمين للسلطان العثماني عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، أدى إلى قرار عثماني في العام التالي ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧ م يطالب والي مصر محمد علي باشا باستخلاص الحجاز من أيدي السعوديين، وأن منع الحج من قبل الولايات العثمانية إنما يندرج في خطة محكمة تبعتها خطوات أخرى، كربط تجديد ولاية محمد علي باشا لمصر سنويًا باسترداد الحجاز تحت النفوذ العثماني، وإعلان الحصار الاقتصادي على الحجاز من خلال فرض حصار بحري على التجارة السعودية مع مصر.

٤ - أثبت البحث أن هناك مؤشرات تدل على أن الدولة السعودية فهمت الخطط العثمانية ووضعت خططًا

لمواجهتها، ويضع البحث هذه المؤشرات على شكل تساؤل يتركه لبحوث قادمة حول الخطة السعودية إن كان يمكن لنا أن نفصلها بما يلي:

أ - القيام بنشاط عسكري سعودي في جنوبي فلسطين عبر النقب - وقد قام به قائد للمهمات السريعة هو سالم بن بلال الحرق أحد رجال الإمام سعود الكبير - في عامي ١٢٢٤-١٢٢٥هـ/ ١٨٠٨-١٨١٠م، حيث وصل الجيش السعودي إلى نقطة ما من البحر المتوسط.

ب - قام الجانب السعودي بنشاط قبلي للقبائل التابعة للدولة السعودية في شبه جزيرة سيناء مما استدعى من محمد علي باشا توجيه قوة لطردها من المنطقة.

جـ - قام الإمام سعود الكبير بنشاط دبلوماسي مصاحب لضغط عسكري نشط على العراق والشام بين عامي ١٢٢٣-١٢٢٥هـ/ ١٨٠٨-١٨١٠م مع علي الكخيا وعبدالله العظم - قبيل عزله - ويوسف كنج، ذلك النشاط الدبلوماسي الذي كانت وراءه جهود سعودية يبذلها سعود الكبير لإقامة أول تحالف سياسي عسكري بين الأقاليم العربية بجزيرة العرب والعراق والشام ضد بلاد فارس والدولة العثمانية. وبهذا فإن الخطوط العريضة للخطة السعودية التي قرر سعود الكبير أن يواجه بها خطة الدولة العثمانية هي ما يأتي:

- كسر الحصار العثماني لسواحل البحر الأحمر مع مصر، والذي يبدو أن سعودًا الكبير لاحظ أنه متزامن مع حصار من نوع آخر للتجارة السعودية بالخليج تشمل حظر تجارة العبيد(١٠٩) ونحوها؛ بحيث إنه حاول التقرب إلى بريطانيا عارضًا عليها إقامة علاقات معها بيد أنها رفضت ذلك، وربما كانت الخطة السعودية تمهد للبحث عن ميناء للتجارة مع أوروبا على البحر المتوسط تكون مشابهة لرأس الخيمة والشارقة على الخليج العربي أو الوصول إلى ميناء متوسطي كنقطة قريبة للاتصال بنابليون بفرنسا قبيل سقوط الأخير.
- توجيه الجهد الدبلوماسي والعسكري تجاه خلق آفاق يمكن من خلالها ليوسف كنج وعلي الكخيا أن يتحدا مع الدولة السعودية التي أصبحت في عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م شبه إمبراطورية، على أسس الاتفاق نفسها الذي أفصح عنه سعود الكبير - في

(١٠٩) في عام ١٨٠٧م/ ١٢٢٢هـ أقر البرلمان البريطاني قانونًا حرم فيه الرق وأصبح بموجبه لا يسمح لأي سفينة أن تنقل الرقيق بين موانئ الإمبراطورية البريطانية أو تنزل عبيدًا في مستعمرة بريطانية، ثم أصبحت هذه التجارة جريمة كبرى يعاقب عليها القانون في عام ١٨١١م/ ١٢٢٦هـ، وقد بدأت بريطانيا تتخذ إجراءات عملية بهذا الخصوص بمنطقة الخليج بداية من عام ١٨١٤-١٨١٥م/ ١٢٣٠-١٢٣١هـ، انظر: د. عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن، المرجع السابق، ص١١٣-١١٤.

رسالته إلى علي الكخيا - مع عبدالله العظم، وهو استعداد سعود الكبير بتقديم جيش من مئتي ألف مقاتل للكخيا لتوجيههم إلى حيث يريد من الحروب، وكذلك في رسالته إلى يوسف كنج.

- إرسال بعض القبائل التابعة للدولة السعودية على بعض الآبار في سيناء، ربما كرأس حربة تستهدف الضغط على مصر على المدى القريب والبعيد، على غرار ما كان يجري بالعراق.

٥ - تؤكد نتائج البحث أن خطط سعود الكبير كانت تكشف للقوى الفاعلة بأوروبا أن السياسات السعودية ما هي إلا نهضة جديدة للعرب، فقد أكد ذلك تقرير روسو القنصل العام الفرنسي لجلالة الإمبراطور الفرنسي وملك إيطاليا بحلب حين كتب تقريره عام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م، فقد نصح روسو في تقريره بعد عودته من بغداد إلى حلب في ١٦ رمضان ١٢٢٣هـ/ ٢٤ نوفمبر ١٨٠٨م، بقوله: "إن دعوة ابن عبدالوهاب وتحالفه مع أمير الدرعية، ما هي إلا صحوة جديدة للعرب الذين مضى عليهم ردح من الزمان، مغمورين وراء كثبان صحرائهم، وإن عودتهم إلى مسرح الأحداث من جديد، وهم يحملون نفس المبادئ التي حملها أسلافهم في أوائل عهد الفتوحات الإسلامية؛ والتي على أثرها تحطمت إمبراطوريتا الفرس والروم، وهذا ما جعل أنظار القوى الكبرى تتجه بعين المراقب الحذر إلى متابعة تلك الصحوة العربية". وهنا فيما يبدو

بدأت ملامح اتفاق دولي بدأ بطرد السعوديين من الحجاز، ولكنه انتهى بتدمير عاصمتهم. وهي الخطة التي وضعها روسو بتقريره عام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م حين قال: "وبهذا يجد الوهابيون أنفسهم مطوقين من اتجاهات مختلفة وبضربة محكمة يودون بالوهابيين إلى نهايتهم، وعندما يتم غزو الدرعية القلب النابض للوهابيين؛ يصبح من المؤكد أنه لن تقوم لهم قائمة مرة أخرى ولا في مكان آخر".

٦ - ننهي نتائج هذا البحث بأن منع حجاج الولايات العثمانية من الحج لم يكن إلا في سياق خطة عثمانية دولية للقضاء على الدولة السعودية، وإذا كان يمكننا في سياق ذلك تفسير الرسائل التي قيل إن نابليون أرسلها إلى سعود الكبير، فمن الصعب الجزم بأنه قد تم تعديل مثل هذه السياسة في آخر لحظة، على غرار رفض بريطانيا إقامة علاقات مع سعود الكبير في عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، حين أرسل مندوبًا إلى بوشهر ومسقط (للقاء المعتمد البريطاني) يطلب من بريطانيا إقامة علاقات بين الطرفين. كان سعود الكبير قد أحس بما يخطط له العثمانيون وأوروبا ضد بلاده، وقد كان له الكثير من الجواسيس في القاهرة وحتى بإستانبول يبلغونه بما يدور في تلك العواصم، وكان في سباق مع الزمن، ولكن التحالف المعادي لصحوة العرب كانت أقوى، حيث قرروا أن يودوا بالسعوديين إلى نهايتهم، وأن يتم تدمير

الدرعيـة، القلب النابض للدولة السـعـودية، ليـصـبـح من المؤكـد ألاّ تقـوم لهم قـائمـة مـرة أخـرى، ليس في جـزيرة العرب فحسب، بل في أي مكان بالعالم.

معتمدو الملك عبدالعزيز ووكلاؤه في الخارج(*)

أ. محمد بن عبدالرزاق القشعمي
مكتبة الملك فهد الوطنية

٤ - عبدالرحمن بن حسن القصيبي: معتمد الملك عبدالعزيز في البحرين (١٣٠٢-١٣٩٦هـ / ١٨٨٤-١٩٧٦م)

اسمه ونسبه:

هو عبدالرحمن بن حسن بن عبدالله، يعود موطن جده عبدالله إلى بلدة (القصب) في نجد، وإليها ينسب وأسرته[١].
أنجب عبدالله ثلاثة أبناء، هم:

- حسن (ت ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م).
- محمد (ت ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م).
- إبراهيم (ت ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م).

وعبدالرحمن هو الابن الثالث لحسن، بعد أخويه عبدالله وعبدالعزيز[٢].

(*) تقدم نشر الجزء الأول من هذا البحث في العدد الأول للسنة الخامسة والثلاثين من مجلة الدارة .

(١) عبدالرحمن الشبيلي، عبدالرحمن بن حسن القصيبي: التجارة والسياسة في بيت واحد. المجلة، العدد ١٣٥٩ (٢٠٠٦/٣/٤م) ، ص٦٣.

(٢) المرجع السابق نفسه.

أسرته وفروعها:

كان جد الأسرة عبدالله الذي ينتسب إلى بلدة القصب قد انتقل إلى بلدة حريملاء التي تبعد عن الرياض نحوَ ٩٠ كيلو مترًا إلى الشمال الغربي، وهناك في حريملاء عرف باسم (عبدالله القصيبي)[٣]. عمل عبدالله مع القاضي ثم لدى حاكم حريملاء، حيث تولى جمع الزكاة من المزارعين.

أنجب عبدالله ثلاثة من الأبناء هم: حسن ومحمد وإبراهيم، وحين كبر الثلاثة عملوا رعاة للإبل في نجد، ثم صاروا يعملون في تنظيم القوافل الصغيرة، والإشراف على جمع الإبل وتحميلها بالبضائع.

ويبدو أن أقارب عبدالله القصيبي، أو بعض سكان قريته، نزحوا إلى مناطق متعددة، فاتجه بعضهم إلى عسير في جنوبي غرب الجزيرة، واتجه بعضهم إلى الزبير في جنوب العراق، فيما توجه أبناء عبدالله الثلاثة إلى ساحل الخليج العربي نحو عام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م. وكانوا يعملون في رعاية الإبل ونقل البضائع من ميناء العقير إلى الهفوف بالأحساء.

كان محمد الأخ الوحيد المتعلم بين الثلاثة، فارتحل إلى البحرين، حيث يزدهر هناك صيد اللؤلؤ، ويُوجد مقر النفوذ البريطاني في الخليج، وعمل محمد مع تاجر كبير من الأحساء يدعى عبدالرحمن بن عيدان، الذي كان يبحث عن كاتب يدون له أعماله المالية.

---

(٣) سمي "القصيبي" بدلاً من القصبي، تصغيرًا للقب، حيث كان غلامًا يافعًا عند وصوله إلى حريملاء.

ثم صار محمد - بتشجيع من بن عيدان - يستخدم جزءًا من ماله لتأسيس تجارة خاصة به، إضافة إلى إدارته تجارة بن عيدان، الذي لم يكن لديه أولاد.

بعد انتقال محمد إلى البحرين توفي أخوه الثاني حسن - والد عبدالرحمن - في مكة أثناء أداء فريضة الحج، وكان قد أنجب الأبناء الثلاثة: عبدالعزيز وعبدالله وعبدالرحمن، فتزوج الأخ الثالث إبراهيم أرملة أخيه حسن.

وفي نحو عام ١٨٩٨م (١٣١٦هـ) أرسل أبناء المتوفى حسن إلى البحرين لمساعدة عمهم محمد في تجارته، ثم أرسلهم عمهم محمد واحدًا تلو الآخر إلى الهند لتعلم اللغة الإنجليزية، وشراء المواد الغذائية، والتعامل مع تجار اللؤلؤ في مدينة بومباي بالهند.

كانت أرباح تجارة عائلة القصيبي في البحرين وبومباي ترسل إلى إبراهيم، الذي كان يشتري في الأحساء حدائق نخيل واسعة[٤].

نشأته وأعماله التجارية:

تلقى عبدالرحمن تعليمه في مدارس البحرين، بعد انتقاله إليها مع أخويه: عبدالعزيز وعبدالله، وبدأ تدريبه على الأعمال التجارية، فأرسله عمه محمد إلى الهند لدراسة

---

(٤) مايكل فيلد، القصيبي قصة عائلة قديمة، في: التجار، ص٢١٧-٢٣٩. (بتصرف).

Fild, Michael. The Merchants: the big business Families of Arabia.- London: John Murray, 1984. p.217 -239.

اللغة الإنجليزية والتدرب على البيع والشراء، وتجارة اللؤلؤ(٥).

بعد ذلك بدأت أعماله التجارية شريكًا لعمه وإخوته الأشقاء وإخوته لأمه (أبناء إبراهيم).

وثمة ملحوظة مهمة في تاريخ عبدالرحمن القصيبي هي أن من يريد أن يقرأ تاريخه أو يدرسه أو يبحث فيه فلا بد له من دراسة تاريخ أسرته وإخوته جميعًا؛ نظرًا لارتباط نشاطه بنشاطهم، وحياته بحياتهم، ولأنه كان ينوب عنهم في المهمات، كما ينوب أحدهم عنه وعنهم، وعلى ذلك سنتعرف على نشاط عبدالرحمن من خلال أنشطة أسرته وعلاقاتهم.

لقاء الملك عبدالعزيز:

يعود لقاء الأسرة بالملك عبدالعزيز إلى عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م؛ إذ التقى إبراهيم - عم عبدالرحمن وزوج أمه - بالملك في أثناء مرور إبراهيم بالرياض في قافلة متوجهة إلى الحج، فجمعت بينهما صداقة قواها انتماء إبراهيم إلى نجد، وإعجابه بقوة الملك عبدالعزيز من خلال الأمن والأمان اللذين تعيشهما دولته، وكرهه للأتراك حكام الأحساء لإهمالهم حماية مزارع النخيل من غارات البدو.

كان الأتراك يستشيرون إبراهيم في كيفية التعامل مع البدو الذين يحيطون بالأحساء، وكان هو يورد المؤن لحامية

---

(٥) إبراهيم المسلم، عبدالعزيز ابن سعود وشخصيات في الذاكرة، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٢هـ، ص١٤٢-١٤٣.

الهفوف التركية، وقد استغل رحلاته بين العقير والهفوف في نقل المعلومات إلى أتباع الملك عبدالعزيز.

كان ضم الملك عبدالعزيز للأحساء مؤشرًا على بدء علاقة متميزة بين عائلة القصيبي والملك عبدالعزيز، فصاروا - القصابا - ممثلين للملك في البحرين، وتولوا بعض المهام من خلال مكاتبهم في بومباي والبحرين.

وبدأت تجارتهم في الازدهار، ولا سيما الأخوة الخمسة، أبناء حسن وإبراهيم: (عبدالعزيز وعبدالله وعبدالرحمن وحسن وسعد)؛ فكانوا مسؤولين عن توفير السكن والغذاء لضيوف الملك عبدالعزيز عند زيارتهم للهفوف، أو للبحرين[٦].

ويقول مايكل فيلد - بعد ذلك -: "وقد كانت عائلة القصيبي هي وسيط الاتصال الدبلوماسي بين ابن سعود (الملك عبدالعزيز) والبريطانيين". كما تولت عائلة القصيبي نقل الخطابات والتعليمات الشفهية بين ابن سعود والقبائل الأخرى. كما كانت تقوم بنقل وجهة نظرها للبريطانيين عن ابن سعود، بناء على تعليمات السلطان نفسه[٧].

ويرى مايكل فيلد - غير جازم - أن الذي كان يمثل الملك عبدالعزيز في البحرين من الإخوة هو عبدالعزيز أو عبدالله، فقال: "واحد من الإخوة - قد يكون عبدالعزيز أو عبدالله - كان يعمل بصفته المندوب السياسي لنقل الأخبار، سواء السياسية أو المالية ذات السرية"[٨]. والصحيح أن

(٦) مايكل فيلد، المرجع السابق، ص٢٢٢.

(٧) المرجع نفسه.

(٨) المرجع نفسه، ص٢٢٣.

عبدالرحمن هو الذي كان وكيلاً للملك عبدالعزيز في البحرين.

وقد كان بيع الإمدادات من أهم مقومات تجارة القصيبي. وقد كان مكتب العائلة في الهند يمد مكتب البحرين والأحساء بالمواد الغذائية مثل الأرز والشاي والسكر والملابس القطنية والبهارات والأخشاب. وبالنسبة لابن سعود فإن مشترياته كانت أكثر من ذلك حيث كان ما يطلبه - مثل الأرز - يباع في البصرة لحسابه في الرياض ولإمداد الأحساء والقطيف بالتموين ، وكان من ضمن تلك الطلبات الرصاص وألواح الحديد والقضبان المعدنية والقصدير الأبيض وخزائن لمبات وحذوات الأحصنة والمسامير. وقد طُلِب من القصيبي شراء عوامة خفيفة لميناء العقير.

عبدالرحمن وكيل الملك السياسي:

يروي د. غازي بن عبدالرحمن القصيبي - ابن المترجم له - أن أباه كان قد أوصى بإتلاف كل أوراقه من بعده، وأنه كان يمانع في تدوين سيرته وذكرياته أيام حياته، مما فوّت على الباحثين والتاريخ ثروة لا تقدر بثمن، كما نقل عنه عندما ألح عليه بتدوين سيرته قوله: "هل تريدني أن أكتب ما يعرفه الناس جميعًا؟ فهذا لا قيمة له، ولا يستحق أن يكتب أو يقرأ. هل تريدني أن أذيع أسرارًا هي عندي بمثابة الأمانات؟ وهو ما لا أستطيعه. هل تريدني أن أكذب؟"(٩).

---

(٩) عبدالرحمن الشبيلي، المرجع السابق، ص٦٢.

إن رفض عبدالرحمن لتدوين سيرته أضاع علينا معرفة التاريخ الحقيقي لتوليه غير الرسمي منصب وكيل الملك السياسي في البحرين، ولكننا نرى ذلك امتدادًا لأعمال إخوته في تمثيل الملك تجاريًا وسياسيًا، واستمر ذلك التمثيل منذ عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م، ظل القصيبي - رحمه الله - حتى وفاته "الوكيل التجاري" للمملكة العربية السعودية في البحرين، وكانت الوكالة تقوم بما تقوم به القنصليات حاليًا، ومع استقلال البحرين وبدء التبادل الدبلوماسي بينها وبين المملكة استمرت الوكالة، ولكنها تحولت إلى وكالة فخرية[١٠] بل لقد كان عبدالعزيز القصيبي ضمن حاشية الملك عبدالعزيز في اجتماعه بالملك فيصل ملك العراق في رمضان ١٣٤٨هـ/ (١٢/٣/١٩٣٠م)، وكان ضمن وفد الملك في مؤتمر لوبن[١١].

ويعيد مايكل فيلد سبب كره البريطانيين لعائلة القصيبي أنه خلال العشرينيات من القرن العشرين الميلادي (الثلاثينيات من القرن الرابع عشر الهجري) بدأت علاقة ابن سعود بالبريطانيين في التدهور بسبب النزاع مع العائلة الهاشمية في الحجاز والتي كانت الحليف الأساس لبريطانيا أثناء الحرب. وبالتالي فقد ألغت الحكومة البريطانية الدعم الذي كانت تقدمه لابن سعود، وأصبحت عائلة القصيبي ممثلةً لابن سعود في البحرين. وقد استغلوا علاقتهم

(١٠) ذكر ذلك ولده الدكتور غازي القصيبي في رسالة خاصة بتاريخ ١٤٢٨/٧/٢٦هـ.

(١١) السماري، المرجع السابق، ص٥٦٥.

بالسلطان وشيوخ الخليج لتحقيق أهدافهم. وقد أيقنت بريطانيا أن القصيبي هم ممثلو النجديين في البحرين[١٢].

وعندما أيقن البريطانيون أن عائلة القصيبي تمثل الملك ابن سعود، بل تنقل له الأخبار من البحرين؛ استغلوا بعض الحوادث البسيطة بين النجديين والفرس، وضغطوا لطرد عبدالله - شقيق عبدالرحمن - من البحرين على اعتبار أنه محرض على الفتنة. ثم خاطبوا الملك عبدالعزيز بأنهم يوافقون على عودته إلى البحرين، بشرطين: أن يقتصر نشاطه على التجارة، وأن يستمع إلى نصائح البريطانيين[١٣].

ويُرجع مايكل فيلد سبب تدهور علاقة عائلة القصيبي مع الملك عبدالعزيز، إلى أن تجارة اللؤلؤ التي كانت عائلة القصيبي تعتمد عليها قد انهارت في الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي (الأربعينيات من القرن الرابع عشر الهجري)، وأدى ذلك إلى إعلان كثير من الشركات العالمية إفلاسها، وكان بعض هذه الشركات مديناً لعبدالرحمن القصيبي وإخوته، مما أثر على موقفهم المالي.

وكان من المشكلات المالية التي عانت منها عائلة القصيبي تأخر سداد المستحقات المالية من لدن الملك عبدالعزيز، فقد كانوا يزودون الملك بما يلزمه من المواد والمؤن، وبسبب انهيار تجارة اللؤلؤ بدأوا بمطالبة الملك بتسديد بعض مستحقاتهم، دون أن يمنحوه الوقت الكافي لحل المشكلة.

---

(١٢) مايكل فيلد، المرجع السابق، ص٢٢٢.

(١٣) المرجع نفسه، ص٢٢٨.

وفي عـام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م اسـتـدعى الملك الأخـوين عبدالعزيز وعبدالرحمن إلى الطائف للاجتماع بهما، وانتهى ذلك الاجتماع إلى حلٍّ نهائي للقضية(١٤).

ومع أن تجـارة عـائلة القـصـيـبي قـد تراجـعت إلا أنـهم استمروا وكلاء للملك في البحرين، فقد استمر عبدالرحمن في إنجاز المهام المتعلقة بالتجارة الخارجية التي كان يكلفه بها الملك. وقام مكتب القصيبي في البحرين بتوفير التموين لجيش الملك في اليمن أثناء حرب ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م.

كما أعد عبدالله سكنًا في مجمعه بالجبيل لبعض العاملين في شركة ستاندرد أويل. وقام مكتب الشركة في الأحساء بتأمين نقل المعدات لشركة البترول.

وفي عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩ قبل بداية الحرب العالمية الثانية كان لعائلة القصيبي الشرف في استقبال الملك عند زيارته للبحرين حيث أعدوا له منزلاً في الرفاع. وكان لهذا الاستقبال العظيم أثر كبير في إخفاء ضعف تجارة العائلة(١٥).

كان من نتائج انهيار تجارة اللؤلؤ في أواخر الثلاثينيات أن دبّ الخلاف بين الإخوة في عائلة القصيبي، ويرجع د. غازي القصيبي - كما ذكر مايكل فيلد - أن سبب اختلافهم يعود إلى عدم اعتمادهم على نظام إداري معين لإدارة أعمالهم، كما لم يكن هناك أي ميزانية محددة لتلك الشركات، أو نظام

(١٤) المرجع نفسه، ص٢٣٤-٢٣٥.

(١٥) المرجع نفسه، ص٢٣٥.

مشاركة في الأرباح، بجانب عدم تحديد مسؤولية كل فرد في إدارة تلك التجارة، حيث كان كل أخ يأخذ ما يحتاج من أموال دون الرجوع إلى الآخرين(١٦).

تقدير الملك لعبدالرحمن:

لقد كان عبدالرحمن القصيبي موضع تقدير من الملك عبدالعزيز، بل ويشيد به في كل مناسبة، وقد اختاره الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م ضمن لجنة التفتيش والإصلاح التي ضمت عددًا من الأعيان وأعضاء مجلس الشورى القديم لرعاية مصالح الناس وتأمين راحة الحجاج(١٧).

وفي العام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م صدر مرسوم ملكي بمنحه لقب وزير مفوض من الدرجة الأولى بوزارة الخارجية(١٨)، وفي سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م منحه الملك سعود - رحمه الله - لقب وزير الدولة(١٩).

صفاته وأخلاقه:

لخص مايكل فيلد تقريرًا بريطانيًا حول الإخوة الخمسة، فتحدث عن عبدالعزيز الورع التقي، وعبدالله الذكي النشيط، وحسن حاد الطباع، وسعد المتواضع، ثم قال عن عبدالرحمن: كان متفتحًا، وعلى مستوى عالٍ من التعليم، وكان لديه ميل إلى التعامل في اللؤلؤ، وكان لديه معرفة قليلة باللغتين الفرنسية والإنجليزية، وعادة ما يكون مسؤولاً عن إدارة الشركة في باريس،

---

(١٦) المرجع نفسه، ص٢٣٦.

(١٧) عبدالرحمن الشبيلي، المرجع السابق، ص٦٣.

(١٨) السماري، المرجع السابق، ص٥٦٠.

(١٩) رسالة من الدكتور غازي القصيبي بتاريخ ١٤٢٨/٧/٢٦هـ.

خلال قيامه برحلات خارجية حول العالم، فقد كان إنسانًا متمسكًا بأصوله واعيًا، ولكنه كان معجبًا بنفسه بدرجة كبيرة.

ثم أضاف مايكل فيلد: لقد كان لدى البريطانيين تحفظات تجاه عبدالرحمن - كما لو كانت هذه فكرتهم المعقدة تجاه العرب - لأنه لم يكن يتزلف إليهم أو يتقرب منهم، وكان يعاملهم معاملة الند للند. وقد قال بعضهم عنه إنه كان طماعًا ويحب أن يستعرض، ولكنهم يعترفون بأنه أحد أعظم الشخصيات العربية في العشرينيات والثلاثينيات(٢٠).

كما وصفه مايكل فيلد - نقلاً عن محمد المانع مترجم الملك عبدالعزيز، فيما أخبره - أنه كان شخصية ساحرة، مهذبًا، كريمًا، حسن المظهر، كان يحضر إلى المسجد في بومباي في بهاء وروعة، تزوج عدة زوجات في الهفوف وبومباي والمدينة، حيث كان يحتفظ بثلاث زوجات أو أربعٍ في وقت واحد [بمقتضى الشريعة الإسلامية] وقال - نقلاً عن أحد موظفي شركة إستاندرد أويل - إنه كان يحترم عبدالرحمن لأنه شخصية جديرة بالاحترام، فقد كان رجلاً ذا قوة، طويلاً، ولم يكن من أصحاب الكروش الكبيرة، وكان وقورًا، تشعر بالبساطة حين تحدثه، أو تعامله(٢١).

حبه للعلم:

كان عبدالرحمن رجلاً متعلمًا، يلم بعدة لغات - كما أسلفنا - وكان إضافة إلى ذلك يحب العلم ويشجعه، وينفق على أهله

(٢٠) مايكل فيلد، المرجع السابق، ص٢٣٢.

(٢١) المرجع نفسه، ص٢٣٣.

ويرعاهم. قال عنه حمد الجاسر: هو عميد الأسرة القصيبية.. ويعد من خير رجالات العرب الذين عرفتهم، مما يتمتع به من رغبة في فعل الخير، والإسهام في نشر العلم[٢٢]. وقد تجلى حبه للعلم فيما يلي:

١- بناء مدرسة:

ذكر الشيخ حمد الجاسر أن ممن اهتم بشؤون التعليم الشيخ عبدالرحمن بن حسن القصيبي، فقد كان أول من أنشأ مدرسة خاصة على نفقته[٢٣]، لكن الشيخ الجاسر لم يذكر أين أنشأ تلك المدرسة، ولم يورد عنها معلومات تذكر، وإن كنت أرجح أن ذلك في مكة المكرمة.

٢- دعم المدارس:

ذكر الشيخ حمد الجاسر كذلك أن عبدالرحمن القصيبي بذل مساعدات جمة للمدرسة التي أنشأتها الحكومة، بل أمر بأن يكون تلاميذ مدرسته نواة لطلابها[٢٤].

٣- تأسيس مكتبة:

أوردت مجلة "لغة العرب" التي كان يصدرها الأب أنستاس ماري الكرملي ببغداد خبرًا يقول: "عزم الشيخ عبدالرحمن القصيبي، من مشاهير اللآلين - تجار اللؤلؤ - في البحرين والهند ونزيل مكة، اليوم تأسيس خزانة كتب عامة في مكة،

---

(٢٢) حمد الجاسر، من سوانح الذكريات، الرياض: دار اليمامة، ١٤٢٧هـ، ٢/٧٧٦.

(٢٣) المرجع نفسه، ٢/٦٦٦.

(٢٤) المرجع نفسه.

وسيشيد بناءً خاصًا بها في أظهر مكان وأحسن موطن في تلك الحاضرة"[٢٥].

ويبدو أن الأب الكرملي قد نقل هذا الخبر عن صحيفة "أم القرى" إذ أوردت تحت عنوان "مكتبة للمطالعة": "اتصل بنا أن المحسن المعروف الشيخ عبدالرحمن القصيبي تاجر اللؤلؤ في البحرين والهند ونزيل مكة اليوم اعتزم القيام بتأسيس مكتبة عمومية في مكة المكرمة وجعلها وقفًا للمطالعة والدراسة يجلب لأجلها الكتب اللازمة من مختلف العلوم والفنون ويشيد لها بناءً خاصًا في أظهر مكان..."[٢٦].

٤- طبع الكتب:

ذكر علي جواد الطاهر في معجم المطبوعات العربية أن عبدالرحمن القصيبي قد أوقف كتاب "منح الشفا الشافيات في شرح المفردات" للشيخ منصور البهوتي، وهو شرح لكتاب "النظم المفيد الأحمد في مفردات الإمام أحمد" لمحمد بن علي العمري المقدسي[٢٧].

وجاء في مجلة "الإصلاح" في باب "ضيوف مكة الأكرمون": "ومن أصحاب الشخصيات البارزة الذي شرفوا مكة السيد عبدالرحمن القصيبي المحسن الكبير، والتاجر الشهير، وهو أعرف من أن يعرف، بما طبع من كتب سلفية جعلها وقفًا ابتغاء الله على طلبة العلم في غالب الأقطار

---

(٢٥) مجلة لغة العرب، ١ مايو ١٩٣٠م، ص٤٨١.

(٢٦) جريدة أم القرى، ع ٢٧٩، الجمعة ١٣ ذو القعدة ١٣٤٨هـ، ١١ إبريل ١٩٣٠م.

(٢٧) علي جواد الطاهر، معجم المطبوعات العربية، الرياض: دار اليمامة، ١٤١٨هـ، ص٦٩٠.

الإسلامية، وآخر ما طبع في العام الماضي شرح كتاب التوحيد المسمى فتح المجيد، غير أنه مع الأسف نفدت الألف نسخة التي طبعت منه، وأصبح الناس يتلهفون على نسخة منه فلا يجدون، وهو الآن قائم بطبع الروض المربع شرح زاد المستقنع"[٢٨]. وذكر حمد الجاسر أن الشيخ عبدالرحمن القصيبي كان ذا صلة بالأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مطبعة الفتح ورئيس تحرير مجلة الفتح، فتولى طبع عدد من كتب السلف على نفقة الشيخ القصيبي، ومنها - وذكر الكتب الثلاثة السابقة -، وقال: "وكتب أخرى". وقد زار القصيبي القاهرة سنة ١٣٤٨هـ فأقيم له حفل تكريم في جمعية الشبان المسلمين كان من خطبائه الأستاذ محب الدين الخطيب[٢٩].

حبه للخير:

تمثل حبه للخير في إنفاقه في شتى مجالات الخير، ومن ذلك تبرعه بفرش المساجد، فقد أوردت مجلة الفتح خبرًا يقول: "تبرع المحسن العربي الكريم السيد عبدالرحمن القصيبي بمقادير كبيرة من الحصير الهندي الناعم لفرش مسجدي المصلى وقباء في المدينة المنورة، ووصلت الحصر بالفعل إلى المسجدين، والناس يدعون له بالخير..."[٣٠].

---

(٢٨) مجلة الإصلاح، مكة المكرمة، ج ١١، غرة ذي القعدة ١٣٤٨هـ/ ٣٠ مارس ١٩٣٠م، ص ٤٣٨.

(٢٩) حمد الجاسر، من سوانح الذكريات، ٢/٦٦٩.

(٣٠) مجلة (الفتح)، القاهرة، س٤، ع ١٩٥، الخميس ١٨ ذي القعدة ١٣٤٨هـ/ ١٧ إبريل ١٩٣٠م، ص٩. وقد أوردت جريدة أم القرى هذا الخبر بنصه في عددها رقم ٢٦٤، ليوم الثلاثاء ٧ شعبان ١٣٢٨هـ/ ٧ يناير ١٩٣٠م.

عميد الأسرة:

كان عبدالرحمن في العقود الأربعة الأخيرة من عمره عميد الأسرة القصيبية، كما قال عنه الجاسر في السوانح(٣١).

وقال ولده غازي في حديثه عن نشأته: "وكان والدي مشغولاً بأعماله التجارية الواسعة وبشؤون عائلته الكبيرة.."(٣٢).

أبناؤه:

ذكر إبراهيم المسلم أن أولاد عبدالرحمن ثمانية، وهم:

١ - خليفة: رجل أعمال (توفي سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٩٥م).

٢ - فهد: رجل أعمال (توفي سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

٣ - مصطفى: رجل أعمال (توفي سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٤ - إبراهيم: رجل أعمال.

٥ - خالد: رجل أعمال.

٦ - عادل: رجل أعمال (توفي سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٧ - نبيل: رجل أعمال (توفي ١٣٨٨هـ/ سنة ١٩٦٨م)(٣٣).

٨ - غازي: وزير العمل السعودي(٣٤).

---

(٣١) حمد الجاسر، من سوانح الذكريات، ٢/ ٧٧٦.

(٣٢) غازي القصيبي، سيرة شعرية، الرياض، ١٤٠٠هـ، ص٤٢.

(٣٣) زودني الدكتور غازي القصيبي بتاريخ وفيات إخوته - رحمهم الله - في رسالة أرسلها إليَّ بتاريخ ٢٦/٧/١٤٢٨هـ.

(٣٤) إبراهيم المسلم، المرجع السابق، ص١٤٣.

وفاته:

توفي عبدالرحمن سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، وكان عمره أربعة وتسعين عامًا. وقد رثاه ولده غازي بقصيدة منها:

وفي لحظة يا أبي وصديقي   فقدتك عدت يتيمًا صغيرًا
يغالب بين الجموع الدموع   ولا يستطيع فيبكي كثيرًا
وأنت هناك فوق الركاب   تلوح كعهدي كبيرًا كبيرًا
مهيبًا برغم انطفاء الحياة   ورغم انسدال الستار شهيرًا

وهي القصيدة الوحيدة التي نظمها في أبيه، حيًا وميتًا[٣٥].

وقال فيه ولده غازي يصفه في كتابه (المواسم): "... كان رجلاً سبق جيله، بأجيال، وسبق مجتمعه بمراحل، كان متدينًا على الطريقة السلفية، وكانت له علاقات قوية مع أصدقاء من مختلف المذاهب والأديان، طبع على نفقته عشرات الآلاف من الكتب - كتب الفقه الحنبلي المعتمدة - ووزعها على أوسع نطاق... كان رجلاً لكل المواسم عرف الفقر كما عرف الغنى، عرف الصحة وعانى المرض، صاحب الملوك والأمراء وكان شديد القرب من البسطاء والفقراء، حملته تجارة اللؤلؤ إلى الهند وأوربا. تحسب، وتوشك أن تجزم، أنه كان من أوائل السعوديين الذين زاروا لندن وباريس وبقية العواصم الأوربية ووسّعت هذه السفرات أفقه، وتعلم كيف يحترم الآخرين ويحترم حقهم في الاختلاف... كان يحترم التقاليد دون أن

(٣٥) غازي القصيبي، سيرة شعرية، ص٩٨.

يخلط قط بينها وبين الدين، وكان يعيش في الحدود التي يرسمها المجتمع دون أن يسمح للمجتمع بأن يصوغه على مثاله، وتزدحم ذاكرتك بصور لا تنتهي عن أبيك في تلك المرحلة، ترى نفسك تغوص بين المقاعد في مكتبه الصغير لتجمع ما تساقط من لؤلؤ وتتلقى المكافأة ربع روبية تتذكر كيف كان يطلق عليك وعلى أصحابك اسم طقة خرخر - الصفة التي يصعب شرحها - والتي تحمل الكثير من التبسيط. تذكر كيف أطلق على حفيد من أحفاده كان يستظرفه لقب الشاعر العباسي المعروف "أبي دلامة"، وظل اللقب مع الحفيد لا يفارقه سنين طويلة. تذكر كلماته في وصف خطيب ممل: خطبه مثل ليالي الشتاء باردة وطويلة، وتذكر أنك لم تره قط غاضبًا ولم تسمعه قط يشتم أحدًا كان عندما يستاء من أحد يسميه الترّس، الترّس؟! ما هو الترّس؟ تذكر أنك سألته ذات يوم عن معنى الترّس، وتذكر كيف أجابك مبتسمًا أن الكلمة لا تعني شيئًا لا تعني سبًا ولا شتمًا ولا قدحًا. ولهذا فهو يستخدمها بدلاً من استخدام كلمات السبّ والشّتم والقدح، كان هذا درسًا بليغًا، حاولت، بلا جدوى، أن تتعلمه، كما حاولت أن تتعلم منه تسامحه اللامحدود وتعامله الحضاري مع الجميع واحترامه خصوصيات من حوله في عهد لم يكن فيه الآباء يحترمون خصوصيات أبنائهم، حاولت أن تتعلم وتعلمت أشياء وفشلت في تعلم أشياء، كان أستاذك الأول والأفضل - رحمه الله -.

٥ - عبداللطيف بن إبراهيم المنديل: معتمد الملك عبدالعزيز في البصرة والعراق (١٢٩٢-١٣٦١هـ/ ١٨٧٥-١٩٤٢م)

اسمه ونسبه:

هو عبداللطيف بن إبراهيم بن فوزان بن منديل بن فوزان بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن تركي بن حماد بن خميس بن عامر بن بدران. وهذا الفرع يطلق عليه البدارين.

نشأت هذه الأسرة في بلدة جلاجل من إقليم سدير في نجد. وهم أبناء عمومة لآل السديري الذين منهم الأمير أحمد بن محمد السديري، جد الملك عبدالعزيز لأمه.

وتنحدر البدارين من قبيلة الدواسر، التي تعود إلى تنوخ، ثم إلى يعرب بن قحطان[٣٦].. وقال حمد الجاسر: "آل منديل: في جلاجل، من الدواسر"[٣٧]. وكذا نسبه إلى الدواسر حمد بن إبراهيم الحقيل[٣٨]. وأرجعه إبراهيم المسلم إلى قبيلة عنزة[٣٩].

الهجرة إلى البصرة:

هاجر والده إبراهيم من جلاجل وهو فتى يافع متكسّب طموح، إلى البصرة عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، واستطاع بعد

(٣٦) يعقوب الإبراهيم، عبداللطيف باشا آل منديل، بحث غير منشور، ص١.

(٣٧) حمد الجاسر، جمهرة الأسر المتحضرة في نجد، ط١، ٢/ ٨٧٤.

(٣٨) حمد الحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب، ط١٢، ص١٩٦.

(٣٩) إبراهيم المسلم، المرجع السابق، ص١٢٥.

عقدين من الزمان أن يجمع المال والثروة والسمعة والشهرة، ورزقه الله بالنسل الصالح ستة من الذكور، هم: عبدالمحسن، وعبدالرزاق، ويوسف (باشا)، وعبدالوهاب، وعبداللطيف (باشا) - مترجمنا- وخالد.

اتسعت ثروة العائلة ومكانتها الاجتماعية، وامتدت إلى الهند وبغداد والبصرة، فاشتروا المقاطعات الزراعية، وبساتين النخيل في مناطق متعددة من ولاية البصرة العثمانية، فأصبحوا أغنى عوائلها[٤٠].

مولده:

ولد عبداللطيف سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٨م[٤١]، وقيل: في حدود ١٢٨٦هـ/ ١٨٧٠م[٤٢]، فهناك اختلاف في تاريخ مولده. والأرجح ما ذكره يعقوب الإبراهيم أنه من مواليد عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م؛ لأنه وثقه من جواز سفره الصادر عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م. إلا أنه عاد وذكر أن الدليل الرسمي العراقي جعله من مواليد عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٩م[٤٣].

---

(٤٠) يعقوب الإبراهيم، عبداللطيف باشا آل منديل، ص٢.

(٤١) السماري، المرجع السابق، ص٥٧٠.

(٤٢) نجدة فتحي صفوة، رحيل عبداللطيف باشا المنديل، جريدة الشرق الأوسط، ع ٦٥٧٩، ٢/١٢/١٩٩٦م، ص٢١.

(٤٣) يعقوب الإبراهيم، عبداللطيف باشا آل منديل، ص١٠.

العلاقة بآل سعود:

أ - العلاقة مع آل سعود قديماً:

ابتدأت علاقة العائلة مع آل سعود منذ العهد السعودي الأول، حينما سار الإمام عبدالعزيز بن سعود، من الدرعية على رأس جيش كبير عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٤م، ضاربًا على جلاجل حصارًا، أدى إلى الصلح وانقياد جلاجل وأهلها للدعوة، وتأييدهم للحكم السعودي(٤٤)، ومنهم آل المنديل.

وحين خرج الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود وأسرته من الرياض واستقروا في الكويت، زار الزبير وحل ضيفاً على إبراهيم المنديل، في صيف عام١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م؛ لمتابعة الأمور المالية التي رتبتها الدولة العثمانية للإمام وأتباعه.

وبعد وفاة إبراهيم المنديل عام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م بعد عمر تجاوز الثمانين عامًا، تولى ابنه الرابع عبدالوهاب مهام الاتصال وتلبية الاحتياجات ومراجعة السلطات العثمانية بتكليف من الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز(٤٥).

ب - العلاقة مع آل سعود حديثاً:

شكل استرداد الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م تاريخاً مفصليًا، فقد استعاد الملك عبدالعزيز عاصمة أجداده، وكبرت مهام آل المنديل، وكبرت معها مهام التوكيل الممنوحة لعبدالوهاب المنديل، يساعده في ذلك شقيقه الأصغر عبداللطيف - مترجمنا - وقد رتبا مع والي البصرة مخلص

---

(٤٤) المرجع نفسه، ص٢.

(٤٥) المرجع نفسه، ص٤.

باشا اجتماعًا في الزبير بعد معركة (الشنانة) التي انتصر فيها الملك عبدالعزيز على ابن رشيد في ١٨ رجب ١٣٢٢هـ. ولم يثمر الاجتماع عن شيء لرفض الملك عبدالعزيز وأبيه التدخل الخارجي في شؤونه.

لم تكن تلك الزيارة هي الأخيرة التي زار فيها الملك عبدالعزيز آل المنديل، فقد زارهم في ١٩ ربيع الآخر ١٣٢٩هـ وأقام في بيتهم البراحة، ثم زارهم في ٢١ المحرم ١٣٣٥هـ/ ١٦ نوفمبر ١٩١٦م، حيث استقبله المقيم البريطاني في البصرة بيرسي كوكس، ومنح وسام فارس الإمبراطورية البريطانية الهندية (K.C.I.E). وقد قامت المس بيل بتصوير الزيارة[٤٦].

وقد كان الملك عبدالعزيز إذا ما خاطب المنديل شفاهًا قال له: "خالي" ولعل هذه القربى تعود إلى قرابة المنديل من عائلة "السديري"، وهم أخوال الملك عبدالعزيز، فكلاهما - المنديل والسديري - ينتمون إلى قبيلة الدواسر[٤٧]. كذلك فقد أورد جبران شامية كلمة "نسيبه" في حديثه عن علاقة المنديل بالملك عبدالعزيز[٤٨].

ج - عبداللطيف المنديل وكيلا للملك عبدالعزيز:

بعد وفاة عبدالوهاب المنديل تولى أخوه عبداللطيف مهام الوكالة للملك عبدالعزيز، ونهض بها خير نهوض، وكان عونًا

(٤٦) المرجع نفسه.

(٤٧) اتصال هاتفي مع يعقوب الإبراهيم في ١٣/٨/١٤٢٣هـ (٢٠/١٠/٢٠٠٢م).

(٤٨) جبران شامية، آل سعود ماضيهم ومستقبلهم، لندن: دار رياض الريس، ١٩٨٦م، ص٢٢٤.

وساعدًا، وحظي بثقة لا حدود لها، وطالما كان الملك يستأنس برأيه ويأخذ بمشورته[٤٩]. إضافة إلى ذلك كان عبداللطيف المنديل وكيلاً تجاريًا للملك عبدالعزيز[٥٠].

وتشير رسالة أرسلها الملك عبدالعزيز إلى أهل نجد المقيمين في بغداد - والعراق - مؤرخة في ٣٠ المحرم ١٣٤٢هـ يدعوهم فيها إلى الإسهام برأسمال الشركة الشرقية للتنقيب عن الزيت (البترول)، وقد طرح ستون ألف سهم لمن أحب الاشتراك، وجعلت قيمة السهم الواحد جنيهًا إنكليزيًا واحدًا. وقد صدرت التعليمات لعبداللطيف باشا المنديل بأن يكون الاكتتاب لديه[٥١]. ويورد يعقوب الإبراهيم جزءًا من رسالة برقية من الملك عبدالعزيز، ونصها كما يلي: "فقرة ٩: بعد وفاة الكابتن شكسبير[٥٢]، أرجو تعيين ضابط مقامه؛ وإن تعذر ذلك فلتكن جميع المباحثات مع عبداللطيف باشا المنديل وكيلنا في البصرة"[٥٣]. وفي ذلك دلالة قاطعة على الثقة التي منحها الملك عبدالعزيز لعبداللطيف المنديل.

---

(٤٩) المرجع السابق، ص٥.

(٥٠) يحيى الربيعان، فيصل الدويش والإخوان، الكويت، ١٩٩٧م، ص١١٢.

(٥١) رسالة من الملك عبدالعزيز إلى عبداللطيف المنديل.

(٥٢) الكابتن شكسبير: ضابط إنجليزي برتبة نقيب، قتل خطأ في معركة "جراب" بين الأرطاوية والزلفي، وقد حدثت بين الملك عبدالعزيز وابن رشيد.

(٥٣) يعقوب الإبراهيم، عبداللطيف المنديل، ص١٢ (نقلاً عن وثيقة صادرة من المكتب العربي - قسم العراق، رقم ب ٢٥١).

مواقفه مع الملك عبدالعزيز:

أ - تأييده:

لقد كان مؤيدًا للملك عبدالعزيز، ومنافحًا عنه حتى في أصعب الظروف، فمما يروى عنه أثناء قيام الملك عبدالعزيز بضم الأحساء، وطرد الأتراك عنها - وكان وكيلاً للملك في البصرة - كتب إليه الملك قائلاً: "إذا سألك الترك: هل أنت مندوب ابن سعود؟ فقل لهم: إني عثماني"، وقد أشار عليه بذلك خشية أن يلحقه ضرر منهم. ولكن عبداللطيف المنديل لم يعمل بإشارة موكله؛ فلم ينكر أنه نجدي، ولا كونه وكيلاً للملك عبدالعزيز، وقال للأتراك: "لقد جهلتم قدر هذا الرجل، وها هو يعرفكم بنفسه". وقد حضر المنديل بعد ذلك مؤتمر الصبيحية الذي أسفر عن تحييد الأتراك واعترافهم بسيادة الملك عبدالعزيز في الأحساء(٥٤).

ويشير يعقوب الإبراهيم إلى محضر جلسات مجلس الوزراء العراقي يوم ٢٩ رجب ١٣٤٠هـ/ ٢٧ مارس ١٩٢٢م، وكيف تصدى عبداللطيف باشا المنديل (وزير التجارة في وزارة عبدالرحمن النقيب الثانية) لمحاولة الملك فيصل الأول حين أراد زج العراق في صدام عسكري ضد الملك عبدالعزيز، فقد أقنع عبداللطيف صديقه الحميم ناجي السويدي وزير العدلية، وصبح عزت باشا وزير الأشغال، والدكتور حنا خياط وزير الصحة، والحاج رمزي وزير الداخلية، ومحمد الشهرستاني وزير المعارف - بمعارضة

---

(٥٤) نجدة فتحي صفوة، رحيل عبداللطيف باشا المنديل، جريدة الشرق الأوسط، ص٢١.

الاقتراح. فنجحت المحاولة في مجلس الوزراء في تحييد العراق، وعزل المبادرة الهاشمية، ولم يستطع الملك فيصل الحصول على موافقة مجلس الوزراء، مما أثار امتعاضه، وثارت ثائرته بعد اطلاعه على محضر الجلسات، ووقوفه على ما قام به عبداللطيف باشا المنديل في إفشال تلك المحاولة.

كما رفع المندوب السامي بيرسي كوكس تقريرًا بذلك إلى تشرشل وزير المستعمرات. وبعدها استدعى الملك فيصل - ملك العراق - عبداللطيف باشا وطلب استقالته، ففعل، وتبعه الوزراء الخمسة ثم تبعهم بقية الوزراء، فسقطت الوزارة في ٦ المحرم ١٣٤١هـ/ ٢٨ أغسطس ١٩٢٢م. وحظيت استقالة المنديل أولاً بقبول الملك فيصل لما كان معروفًا عنه انحيازه إلى سلطان نجد، فقد كان المنديل يعادل فيلقًا سعوديًا في أرض العراق. بل رجل إطفاء ينزع فتيل الحرائق إذا اقتضت الضرورة[٥٥].

ب - توسطه بين العثمانيين والملك عبدالعزيز:

في ٢٧ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ٥ مارس ١٩١٣م ضم الملك عبدالعزيز الأحساء إلى نجد، وأجلى عنها الجيش العثماني وجميع الموظفين الأتراك، وجهز لهم باخرة أقلتهم إلى البصرة. ثم فشلت جهود الدولة العثمانية لاستعادة الأحساء عسكريًا، فالتمست من طالب باشا النقيب أن يتوسط بينها وبين الملك عبدالعزيز لتسوية النزاع سلميًا.

وافق الملك على طلب طالب النقيب ودعاه إلى مكان بين الكويت ونجد يدعى (الصبيحية) فتوجه النقيب على رأس وفد

(٥٥) يعقوب الإبراهيم، عبداللطيف باشا آل منديل، ص١١.

يتكون من: سامي بك، متصرف الأحساء السابق، وعمر فوزي بك، ضابط برتبة مقدم، وأحمد الصانع، وعبداللطيف المنديل.

أسفرت المفاوضات عن قبول ابن سعود بتسمية الحكومة العثمانية له واليًا على الأحساء لمدة عشر سنوات قابلة للتجديد والتمديد..، وأنعمت الدولة العثمانية على أحمد الصانع وعبداللطيف المنديل بلقب الباشوية، استجابة لرغبة طالب النقيب(٥٦).

جـ - مدير ميناء العقير:

استعان الملك عبدالعزيز في بداية تأسيسه أركان المملكة الحديثة برجالات كثر، وقد عهد إلى عبداللطيف المنديل بإدارة ميناء العقير على الخليج لتنظيم إدارته وموارده، فتضاعفت موارد الميناء من الجمارك في عهده أكثر من عشر مرات(٥٧).

د - توسطه بين حكومتي العراق ونجد:

لما توترت العلاقات بين حكومة فيصل الأول ملك العراق وحكومة نجد عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، على قضايا الحدود، حتى ساء الموقف بين الجارتين العربيتين؛ انتدبت حكومة العراق عبداللطيف باشا المنديل للوساطة، فاستطاع بحنكته السياسية أن يسوي الخلاف ويرضي الطرفين ويعيد الأمور إلى مجراها الطبيعي(٥٨).

---

(٥٦) يحيى الربيعان، المرجع السابق، ص١١٠-١١٢.

(٥٧) نجدة فتحي صفوة، رحيل عبداللطيف باشا المنديل، جريدة الشرق الأوسط، ص٢١.

(٥٨) عبدالرزاق الصانع وعبدالعزيز العلي، إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩-١٣٤٢هـ، الرياض، ١٤٠٨هـ، ٣/ ٢٣٦.

هـ - مع الملك عبدالعزيز أمام الإنجليز:

كان عبداللطيف المنديل عضواً في الوفد السعودي برئاسة الملك عبدالعزيز في مؤتمر العقير في ربيع الآخر ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، وكان له دور بارز في الوصول إلى النتائج التي تمخض عنها ذلك المؤتمر، وأهمها: الاعتراف بعبدالعزيز آل سعود سلطاناً على نجد وملحقاتها، وتعيين خط الحدود بين نجد والعراق، ونجد والكويت، وتأسيس منطقتين محايدتين، أولاهما بين نجد والعراق، والثانية بين نجد والكويت(٥٩).

و - مع الوفد الكويتي:

وكما كان مع الملك عبدالعزيز أمام الإنجليز فقد وقف هنا أمامه عضواً في الوفد الكويتي الرسمي في مؤتمر الصلح بين نجد والكويت، الذي عقد في الصبيحية في رجب ١٣٣٩هـ/ مارس عام ١٩٢١م، برئاسة الشيخ أحمد الجابر الصباح، ولي العهد الكويتي(٦٠).

أخلاقه:

حبا الله عبداللطيف المنديل بصفات وأخلاق، ميزته عن أقرانه ومعاصريه، ومنها:

---

(٥٩) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥م، ١/ ٢٩٢-٢٩٣.

(٦٠) يحيى الربيعان، المرجع السابق، ص١٠٨.

أ - الحكمة:

فإن مما ميزه الله به الحكمة والكياسة والفطنة؛ مما أهله لأن يكون وسيطًا في أكثر من مؤتمر، ولأن يكون محاورًا محنكًا، ومفاوضًا أريبًا، ومستشارًا أمينًا.

ب - التدين والصدق في التعامل:

وقد مر معنا أن الملك عبدالعزيز قد استأمنه على أموال الناس المقدمة للإسهام في التنقيب عن البترول.

وفي الخصلتين السابقتين: الحكمة والصدق لدى عبداللطيف المنديل قال معروف الرصافي يذكرهما(٦١):

عبداللطيف بفضله جعل الورى أسرى مكارم أسرة المنديل
حرٌّ الضمير مؤيد بفطانة يرمي برأي في الأمور أصيل
إن قال حقًا قاله بصراحة لم يخش لومة لائم وعذول

ج - الكرم وحسن السلوك:

وصفه عباس بغدادي في كتاب: (بغداد في العشرينات) حين ذكر باشوات العراق فقال: "ومنهم عبداللطيف باشا المنديل، ....، وكان محبوبًا لكرمه وحسن سلوكه وضيافته الباذخة"(٦٢). وهو بذلك كان محبوبًا لأهل بغداد والبصرة، بل لكل العراقيين، فضلاً عن النجديين الذين كان يستقبلهم كلما نزلوا البصرة.

---

(٦١) ديوان الرصافي، بيروت: دار المنتظر، ٢٠٠٠م، ص٥٠٥.

(٦٢) عباس بغدادي، بغداد في العشرينيات، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٨م، ص٣١٧.

المنديل والحركة الوطنية العراقية:

كان المنديل من أغنى أغنياء مدينة البصرة في العراق، إلى جانب ما كان يتمتع به من فطنة وذكاء، وحب لوطنه الذي يقيم على ترابه: العراق، الخاضع للدولة العثمانية، فكان عبداللطيف المنديل عضوًا وطنيًا فاعلاً في الحركة الوطنية ضد سياسة التتريك التي انتهجها الأتراك في أواخر حكمهم، وهي السياسة التي سار عليها حزب الاتحاد والترقي من مناوأة صريحة للعرب، وغمط لحقوقهم، وبطش بزعمائهم.

وقد كان عبداللطيف المنديل حاضرًا مع وطنيي العراق في الاجتماع الذي دعا إليه طالب باشا النقيب في بيته في البصرة، ودعاهم فيه إلى تأسيس الحزب الحر المعتدل، ترتكز مبادئه على إنصاف العرب واسترجاع حقوقهم، والمطالبة بما يعود على البلاد العربية بالخير، ويقارع حزب الاتحاد والترقي، ويكيل لهم الصاع صاعين، ويضع حدًا لمظالمهم. فوافقوا جميعًا. وقد انتخب طالب النقيب رئيسًا، وكان المنديل عضوًا في الهيئة الإدارية للحزب[٦٣]. وقد كان للحزب تأثير بالغ في الحركة الوطنية، فحقق خطوات ناجحة وكسب ثقة شريحة كبيرة من الجماهير، إلا أنه حُلّ في ٢٢ ربيع الأول ١٣٣١هـ/ ٢٨ فبراير ١٩١٣م، وتأسست بعده مباشرة الجمعية الإصلاحية في البصرة، فانضم إليها أغلبية أعضاء الحزب المنحل، وجرت انتخابات للهيئة الإدارية للجمعية، فاز برئاستها طالب باشا النقيب، وكان عبداللطيف

(٦٣) باسل سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي، بيروت: دار الساقي، ١٩٩٨م، ص١٢٠.

المنديل عضوًا في مجلس إدارتها، وكانت أهداف الجمعية هي أهداف الحزب المنحل نفسها[٦٤].

وقد كان هذا العمل الوطني مدعاة للاتحاديين الأتراك في التفكير في التخلص من طالب النقيب وبعض الشخصيات الوطنية ومنهم عبداللطيف المنديل؛ إلا أن طالب النقيب استطاع إحباط تلك المحاولة، بل قتل فيها فريد بك متصرف الناصرية[٦٥].

المنديل والمناصب الحكومية العراقية:

بعد دخول الاحتلال البريطاني إلى العراق، وفرض الانتداب على العراق، ارتأى المندوب السامي البريطاني بيرسي كوكس تشكيل حكومة وطنية تحت نظر الانتداب، وكانت أول حكومة اختير رئيسًا لها عبدالرحمن الكيلاني نقيب أشراف بغداد، واختار عددًا من الوزراء من ذوي البيوتات المعروفة، وكان إعلان الحكومة المؤقتة في ١٢ صفر ١٣٣٩هـ الموافق ٢٥ أكتوبر ١٩٢٠م.

كان عبداللطيف المنديل وزيرًا للتجارة في هذه الوزارة، وبقي وزيرًا حتى ٢١ شعبان ١٣٣٩هـ/ ٢٩ أبريل ١٩٢١م، حيث استقال من منصبه، وبقي ذلك المنصب شاغرًا حتى استقالة الوزارة النقيبية الأولى في ١٩ ذي الحجة ١٣٣٩هـ/ ٢٣ أغسطس ١٩٢١م[٦٦]. وكانت استقالته احتجاجًا على

---

(٦٤) المرجع نفسه؛ يحيى الربيعان، المرجع السابق، ص١٠٩.

(٦٥) باسل سليمان فيضي، المرجع السابق، ص١٣٢-١٣٤.

(٦٦) عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٤٠٨هـ، ١/ ١٨-٢٠.

إبعاد زميله طالب النقيب - وزير الداخلية - ونفيه إلى جزيرة سيلان بالهند؛ لأنه عارض اختيار الملك فيصل لعرش العراق(٦٧).

في ذلك اليوم كان تتويج فيصل الأول ملكًا على العراق، وفي اليوم ذاته رفع عبدالرحمن النقيب استقالة حكومته إلى الملك فيصل. وفي ٧ المحرم ١٣٤٠هـ/ ١٢ سبتمبر ١٩٢١م كلف الملك فيصل عبدالرحمن النقيب بتشكيل الحكومة الهاشمية الأولى الوزارة النقيبية الثانية، وفي اليوم التالي صدرت الإرادة الملكية بتشكيل الوزارة، وكان عبداللطيف المنديل وزيرًا للتجارة فيها.

وفي ٢٩ رجب ١٣٤٠هـ/ ٢٧ مارس ١٩٢٢م طلب الملك فيصل من مجلس الوزراء البحث في الرد على غارات الإخوان النجديين على أطراف العراق، واتخاذ الوسائل اللازمة للرد على سلطان نجد [الملك عبدالعزيز]. وخلال جلسة المجلس في اليوم المذكور ووجه اقتراح الملك فيصل بمعارضة من قبل خمسة من الوزراء، فكان رأيهم أن الغارات الحدودية لا يجوز أن تقود إلى حرب بين العراق ونجد تصفيةً لخلافات سابقة بين الأسرتين السعودية والهاشمية (بين فيصل وابن سعود).

لم يرتح الملك فيصل لموقف الوزراء الخمسة، فطلب إليهم تقديم استقالتهم في ٢ شعبان ١٣٤٠هـ/ ٣٠ مارس ١٩٢٢م، وهم: ناجي السويدي، وزير العدلية، والحاج رمزي وزير الداخلية، وعبداللطيف المنديل وزير التجارة، وعزت

---

(٦٧) المرجع نفسه، ص٤٦.

الكركوكلي وزير الأشغال والمواصلات، ومحمد الشهرستاني وزير المعارف، وحنا خياط وزير الصحة، ثم تبعهم وزير المالية ساسون حسقيل، إلا أن استقالة هذا الأخير لم تقبل(٦٨).

دخل عبداللطيف المنديل الوزارة مرة ثالثة وزيرًا للأوقاف في وزارة عبدالمحسن السعدون الأولى المشكلة في ٣٠ ربيع الأول ١٣٤١هـ/ ٣٠ نوفمبر ١٩٢٢م(٦٩)، ولم يمكث المنديل في هذه الوزارة سوى سبعة أيام فقط(٧٠).

انتخب عبداللطيف المنديل عضوًا في المجلس التأسيسي سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م(٧١). وفي عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م أصبح عضوًا في مجلس الأعيان(٧٢) واستقال في سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م، وترك العمل السياسي ليتفرغ لشؤونه الخاصة(٧٣).

المنديل والبصرة:

شكلت البصرة في وجدان عبداللطيف المنديل هاجسًا جعله يغرم به أيّما غرام، فهي مسقط الرأس ومرتع الصبا، ومهد الذكريات؛ ولذا كان للمنديل دور كبير في البصرة خاصة، فقد كان إبان الحكم العثماني عضوًا في مجلس ولاية البصرة وملحقاتها، ثم عضوًا في مجلس الإشراف خلال

---

(٦٨) المرجع نفسه، ص٨٠-٨٨ .

(٦٩) المرجع نفسه، ص١٥٥.

(٧٠) نجدة فتحي صفوة، رحيل عبداللطيف باشا المنديل، جريدة الشرق الأوسط، ص٢١.

(٧١) المرجع نفسه.

(٧٢) المرجع نفسه.

(٧٣) المرجع نفسه.

فترة الاحتلال البريطاني (١٣٣٢-١٣٣٧هـ/ ١٩١٤-١٩١٩م) وقد أسهم في تطوير المدينة، ومن الأعمال التي تذكر تزويده البصرة بمياه الشرب النقية، وذلك أول مشروع لإسالة المياه في العراق وإنارتها بالكهرباء وإصلاح وسائل الزراعة وتنشيط التجارة فيها وإعمارها[٧٤].

والشيء بالشيء يذكر فإن المنديل أطلق اسم السعودية على أحد أحياء البصرة، الواقع على ضفاف شط العرب، وهذا من مظاهر محبته لآل سعود، وللسعودية[٧٥].

المنديل وانفصال البصرة عن العراق:

نظرًا لاهتمام المنديل بالبصرة فقد أرسل عريضة وقعها هو وأحمد الصانع إلى المندوب السامي البريطاني السير برسي كوكس يدعو فيها إلى فصل البصرة عن العراق وضمها إلى التاج البريطاني، وهذا نص العريضة: "فخامة السر برسي كوكس المندوب السامي لصاحب الجلالة البريطانية في العراق، بناء على ما فهمناه من التصريحات المتكررة لسعادة القائد العام للقوات البريطانية أن من حقنا أن نختار شكل حكومتنا، ولما كنتم فخامتكم قد عدتم من مصر بعد مباحثاتٍ مع وزير المستعمرات حول شكل الحكومة التي ستؤسس في العراق، ونظرًا لما هو معروف عن إنصاف الحكومة البريطانية وعدالتها وعطفها، وهذا بالرغم من كون الإدارة بيد العسكريين، وبالنظر للتطورات المنتظرة في

(٧٤) المرجع نفسه.

(٧٥) المرجع نفسه.

تأسيس حكومة مدنية تحلّ محلها، ولما كان أمامنا نموذج للدول المستقلة التي تتمتع في ظل العلم البريطاني بما تتمتع به من راحة وعدالة وأمن على أرواحها وممتلكاتها... ولذلك فإننا نيابة عن سكان البصرة نود أن نعرض رغباتنا كما يأتي: إننا لا نرغب في أن يكون لنا أي نوع من الحكم بديلاً عن الحكومة البريطانية. إن رغبتنا هي أن نبقى إلى الأبد في حماية صاحب الجلالة البريطانية، وأن تعاملنا بنفس معاملتها للرعايا البريطانيين، وأن تشملنا بمودتها وعطفها لنعيش تحت علمها العظيم وظلها الواقي، إن هذا الرأي تم التوصل إليه بعد التأمل، وأنه أفضل أمر لمصلحتنا ومصلحة أبنائنا وأحفادنا وأملنا أن لا يرفض طلبنا هذا. أحمد الصانع - عبداللطيف المنديل".

كانت هذه الفكرة بعد ترشيح مؤتمر القاهرة(٧٦) الملك فيصل بن الحسين لعرش العراق، إلا أن فكرة الانفصال دفنت سريعًا نتيجة الجهود التي بذلها بعض الوطنيين من أبناء البصرة.

ولما حدث الخلاف في مجلس الوزراء العراقي حول غارات الإخوان السعوديين، واستقالة الوزراء الخمسة الذين منهم عبداللطيف المنديل من حكومة عبدالرحمن النقيب عادت فكرة الانفصال إلى الظهور، وكتبت عريضة جديدة وقعها

(٧٦) عقد مؤتمر القاهرة في جمادى الآخرة ١٣٣٨هـ/ مارس ١٩٢٠م، ليبحث علاقة الدولة العراقية الجديدة ببريطانيا العظمى، وشخصية من سيتولى حكم العراق، ونوع القوات فيه وشكلها، ووضع المناطق الكردية. انظر: عبدالرزاق الحسني، المرجع السابق، ٣٦/١.

أكثر من ٤٥٠٠ شخص - وكان المنديل منهم -، وقدمت إلى المندوب السامي البريطاني وتضمنت (٢٣) بندًا يدعو إلى إعطاء البصرة حكمًا ذاتيًا مع اتحادها مع العراق تحت حكم الملك فيصل[٧٧]. إلا أن الفكرة ماتت مرة أخرى.

أعماله الخيرية:

كان المنديل من أغنى أغنياء العراق؛ مما أهله لأن يقوم بالأعمال الخيرية، يدفعه إلى ذلك حبه للخير وعمله، ومن أبرز أعماله الخيرية:

أ - عنايته بالزراعة:

اهتم عبداللطيف المنديل بإصلاح وسائل الزراعة وتنشيط التجارة فيها[٧٨]. وكذلك عني المنديل بجر الماء من شط العرب إلى بلدة الزبير[٧٩]، كما كان عضو الجمعية الزراعية التي تشكلت في بغداد عام ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ) برعاية الملك فيصل الأول.

يقول سليمان فيضي في مذكراته تحت عنوان الجمعية الزراعية الملكية: "عندما زار جلالة الملك فيصل البصرة في ١٣ ديسمبر ١٩٢٨م (غرة رجب ١٣٤٧هـ)، دعاني للمثول بين يديه لبحث مشروع ري كنت قد أعددته من قبل وقدمت به اقتراحًا إلى الحكومة. ويتلخص المشروع في شق ترعة ما بين

---

(٧٧) انظر نص عريضة الانفصال في: عبدالرزاق الحسني، المرجع السابق، ١/ ١٠٢-١٠٥.

(٧٨) نجدة فتحي صفوة، رحيل عبداللطيف باشا المنديل، جريدة الشرق الأوسط، ص٢١.

(٧٩) مجلة لغة العرب، أغسطس ١٩٢٦م، ص١٠٨.

نهر كرمة علي وخور عبدالله، تروي مساحات شاسعة من الأراضي المهملة. وبعد أن فرغت من تلخيص دراساتي للمشروع، انتقلنا إلى بحث الأحوال العمرانية والاقتصادية في البصرة فقال لي جلالته: "لقد تشكلت في بغداد جمعية زراعية تحت رعايتي، وأرغب في أن تقوم أنت بتأسيس فرع لهذه الجمعية في البصرة، وإنك قد تحتاج إلى من يساعدك في تأسيسها، فانتخب واحداً من كبار الملاكين ليكون في عونك. فوقع اختياري على عبداللطيف المنديل. فأردف جلالته قائلاً:

إذن سوف أوعز إلى رشيد عالي بتوجيه كتاب رسمي إليكما للبدء بالعمل.

وهكذا تأسست الجمعية الزراعية الملكية في البصرة، وانتخب لرئاستها السيد هاشم النقيب، وانتخبت أنا للسكرتارية. وبعد عام من تأسيسها انحلت، على أثر انحلال الجمعية المركزية في بغداد"[٨٠].

ب - جمع الكتب والمخطوطات:

جاء في مجلة لغة العرب للأب أنستاس الكرملي نقلاً عن لسان عبداللطيف جلبي آل ثنيان ما يلي: "... وبعد أن تسنم سيدنا الملك المفدى عرش العراق فكر أحد وزراء الأوقاف وهو عبداللطيف باشا المنديل بإنشاء خزانة يجمع فيها شتات المصنفات المبعثرة في الجوامع، وإضافة ما يمكن إضافته إليها، وبادر للعمل وباشر تشييد هذه البناية في (باب الآغا)

(٨٠) باسل سليمان فيضي، المرجع السابق، ص٤١٤.

التي نحن فيها فانحلت الوزارة قبل إتمامها..."[٨١]. وقد أكمل البناء في عهد الوزير اللاحق له، أحمد الشيخ داود.

وفي الحديث عن مكتبة الزبير الأهلية، وذكر من تبرع للمكتبة نقدًا أو عينًا من الكتب، ذكر مؤلفا كتاب (إمارة الزبير بين هجرتين) اسم عبداللطيف المنديل في جملة المتبرعين، وجاء فيه: "وكان من باكورة عمل الهيئة الجديدة أن أرسلت كتبًا إلى شخصيات معينة مرموقة لتضعهم موضع المسؤولية أمام مؤسسة أدبية في بلدهم لإسنادها مادة وأدبًا. وبعد أيام تسلمت كتابًا من المحسن الكبير عبداللطيف باشا المنديل يقول فيه: استلمت كتابكم المرفق طيه أرسل لكم صكًا على المصرف الشرقي مؤرخًا ٣٨/١/١٩، ومرقمًا بعدد ١٦٤٥٤ بمبلغ مائة دينار كإعانة لهذا المشروع ودمتم، عبداللطيف المنديل"[٨٢].

المنديل وقتل البعير:

ثمة حادثة أو قصة طريفة يرويها هاشم الرفاعي في مذكراته تبين فكر عبداللطيف المنديل، ورؤيته الثاقبة للمستقبل الواعد الذي ينتظر الجزيرة العربية، ولا سيما المملكة العربية السعودية، وما يسرع من عملية التطور والتحديث في بدايات القرن العشرين الميلادي، فالمنديل يرى لتسريع عملية التطور والتمدن ضرورة قتل البعير!!

---

(٨١) مجلة لغة العرب، ج ٩، السنة ٦، ص٧١٨.

(٨٢) عبدالرزاق الصانع وعبدالعزيز العلي، المرجع السابق، ص٢٩٨، ٣٠٨.

ولنقرأ ما كتبه هاشم الرفاعي عن الحادثة وتعليقه عليها أثناء مؤتمر العقير سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م: "في ليلة مقمرة من ليالي الربيع الجميلة كنت ومعالي المنديل والأستاذ الريحاني في خيمة نصبت على تل من رمل العقير الذهبي نتجاذب أطراف الحديث، فجرنا البحث إلى موضع العوامل والأسباب التي من شأنها أن تنهض عرب الجزيرة من كبوتهم، فكان للريحاني آراؤه الخاصة وكنت أنا الآخر أدلي بما يعنّ لي من الآراء حول هذا الموضوع، أما الباشا فقد اقتصر رأيه على وجوب قتل البعير!!

اقتلوا البعير!! هذا ما كان يقاطعنا به الباشا كلما أدلينا برأي يخص الموضوع الذي نحن بصدده!!

اقتلوا البعير!! ولماذا نقتله يا باشا؟

لأن قتله يضطر عرب الجزيرة إلى استخدام واسطة السفر والانتقال السريعة فيزداد اتصالهم بالعالم المتمدين [المتمدن] وبهذا الاتصال يمكنهم الأخذ بأسباب رقيه وتقدمه ومجاراته في مضمار حضارته، ثم وقتل البعير ينجم منه فائدة أخرى قد تكون من العوامل القوية ذات الأثر الكبير في نهوض العرب، ذلك لأن الانصراف عن هذه الواسطة الحيوانية ذات السير الوئيد يخفف كلفة النقل فيعم الرخاء، وتقصر المسافات فتتسع الأعمال.

اقتلوا البعير!! نعم.. ها نحن نرى السيارة تغزو البعير بغية قتله، ولكن هل هذه الغزوة التي شنت غارتها عليه ففتكت به كافية بالمرام ؟! وهل هي ما كان يتمناه الباشا بمعنى أنه كان

يرغب في أن تحل السيارة محل البعير؟! ثم وهل هي رغم ما تستنزفه من ثروة البلاد كافية لقطع دابره نهائيًا وخلاصنا منه وإن كان له فضل علينا فيما مضى من الزمن؟!

إنني أعتقد - والكلام للرفاعي - أن الباشا لو كان يتصور أن الآلة الوحيدة التي سيقتل بها البعير هي السيارة لفضَّل أن يبقى البعير على قيد الحياة أبد الدهر!!

أجل إنني أعتقد ذلك إذ إنه وهو الحكيم المفكر كان يبغي قطع وريد البعير ولكن لا بعجلات السيارات التي لا تحتمل رمضاء رمال الجزيرة المحرقة وصخورها الوعرة الملتهبة بل بقضبان السكك الحديدية تنساب في نفود الدهناء ووهاد الصمان فلا تبقي عليه ولا تذر.

هذه رغبة الباشا وهي عزيزة على الملك العربي العظيم فعسى أن يحققها الله على يده فيقتل البعير، ويقتل شر قتلة، ولكن بقضبان السكك الحديدية لا بعجلات السيارات!!

إن السيارة وإن قربت بين المسافات في أواسط بلاد العرب، إلا أنها في الوقت نفسه، أضرت ثروة البلاد بما استنزفته من نقود لا عوض لها، وإذا تذكرنا أن تلك البلاد فقيرة وفي مستهل حياة نموها الاقتصادي جاز لنا أن نطلب وجوب الانصراف عن الإكثار منها والتفكير في الحصول على واسطة سريعة تحل في محل البعير الذي آن أوان إحالته على التقاعد، غير السيارة التي هي من عمل الشيطان أجار الله العرب من خسائرها العظمى في ثروة البلاد!"[٨٣].

---

(٨٣) هاشم الرفاعي، من ذكرياتي، بغداد: مطبعة الرشيد، ١٣٥٨هـ، ص٧٥-٧٧.

المنديل والشاعر معروف الرصافي:

الشاعر العراقي معروف الرصافي ١٢٩٢-١٣٦٤هـ (١٨٧٥-١٩٤٥م) ربطته بعبداللطيف المنديل علاقة صداقة حميمة جعلته يصرح أنه لا يأتمن أحدًا سوى المنديل في هذا البلد العراق[٨٤].

ويذكر الرصافي في رسالة أخرى إلى المنديل أنه تجنب طول حياته سؤال الناس بشعره، أو التكسب به، ولما ألجأته الضرورة إلى ذلك اختار لمدحه أغنى رجل في العراق، فلم يعد منه بطائل، ولما بلغ المنديل ما به، أرسل إليه حوالة بستمائة روبية، فرد يشكره على ذلك[٨٥].

كما شكره مرة أخرى لمنحه ألف روبية، بعد تعرضه للسرقة التي لم تبق له باقية[٨٦].

وكان الرصافي قد زار المنديل في البصرة، وذكر مصطفى علي شارح ديوان الرصافي - يشرح قصة تلك الزيارة - فيقول: "بعد أن استقال شاعرنا من التدريس في دار المعلمين العالية سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م ركب القطار من بغداد مظهرًا أنه يريد الذهاب إلى الحلة وهو يريد البصرة ليسافر منها إلى الهند على أن يترك العراق ولا يعود إليه، فلما جاء

---

(٨٤) رسالة من الرصافي إلى المنديل بتاريخ ٢٢ ربيع الآخر ١٣٤٧هـ/ ٧ أكتوبر ١٩٢٨م. المصدر: عادل المنديل.

(٨٥) رسالة من الرصافي إلى المنديل بتاريخ ٢٦ شوال ١٣٤٠هـ/ ٢١ يونيو ١٩٢٢م.

(٨٦) رسالة من الرصافي إلى المنديل مؤرخة في ٢١ ذو القعدة ١٣٤٠هـ/ ١٥ يوليو ١٩٢٢م.

البصرة نزل على صديقه عبداللطيف المنديل وطلب إليه أن يهيئ له أسباب السفر إلى الهند فأجابه إلى ذلك، إلا أن عبدالمحسن السعدون أبرق إلى عبداللطيف المنديل، وإلى متصرف البصرة بمنعه من السفر، فصار عبداللطيف يعرقل أمر السفر بعدما كان يهيئه ويسهله، ولما نزل الشاعر على عبداللطيف المنديل أنشده هذه القصيدة":

أبا ماجد إني عهدتك مبصرًا
خفايا أمور أعجزت كل مبصر
إذا خفيت يومًا عليك حقيقة
نظرت إليها من ذكاء بمجهر
وإن ليلة الخطب أدلهمت كشفتها
بأوضاح صبح من فعالك مسفر
وتلك مزايا فيك أعلمت الورى
بأن بني المنديل أكرم معشر
فهل أخفيت حالي عليك وقد بدا
لكل صديق أنها حال مقتر
أتيتك من بغداد لم أدر ما الذي
أتى بي إلا أنني في تحير

إلى أن قال:

وإن حديثي عنك غير مرجم
وإن مقالي فيك غير مزور

سأرحل عن ديوانك اليوم أو غدا
بعزمة لا وانٍ ولا متقهقر
وسوف ترى مني مدى الدهر شاكرًا
وإن كنت أعيا عن تمام التشكر
وأكتب للتأريخ ما أنا كاتب
ليجعله أحدوثة كل مخبر(٨٧)

بيت المنديل في البصرة:

يعد بيت المنديل في البصرة تحفة معمارية بناه عبداللطيف باشا، وقد قام بنقل الأخشاب وكل لوازم البناء والتأثيث من الهند وأوربا، ومن أهمها الباب الضخم الذي مازال إلى اليوم شاهدًا على المتانة وروعة فن العمارة.

والحديث عن ذلك البيت طويل ولا ينقضي، إلا أن أهم ما يميزه ما يلي:

١ - صغر مساحة البناء إذ لا يزيد على ٢٠م × ٢٠م = ٤٠٠م٢؛ قياسًا إلى ضخامة حجم البناء.

٢ - تناسق التصميم المتأثر بالعمارة التركية مع لمسات من الطابع الأوربي والهندي.

٣ - أرضية الفناء مبلطة بالكاشي بلونيه الأبيض والأسود كرقعة الشطرنج.

٤ - احتواؤه على أحواض الاستحمام (البانيو) منذ بنائه.

---

(٨٧) ديوان الرصافي، ٥/ ٢٠٤-٢٠٧.

٥ - خزائن الكتب التي تدور على قاعدة ثابتة تحتل زوايا المجلس.

٦- طاولة كبيرة ذات قاعدة محفورة على شكل طيور النحام (الفلامنغو) تتوسط المجلس.

٧ - خزائن الملابس ذات الخشب المحفور بألوانها الأسود الآبنوس والبني الفاقع.

٨ - تزيين الأرضيات والجدران بالسجاد العجمي الفاخر.

٩ - ثريات الكريستال المتنوعة.

استغرق البناء نحو سنتين ١٣٤٤-١٣٤٦هـ/ ١٩٢٥-١٩٢٧م[٨٨].

وكذلك كان منزل والده (إبراهيم المنديل) تحفة معمارية في الزبير[٨٩].

وفاة عبداللطيف المنديل:

استقال عبداللطيف المنديل في سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، فاعتزل السياسة، واقتصر نشاطه على الاهتمام بأعماله التجارية والزراعية الخاصة، لكن المرض دهمه في أواسط الثلاثينيات، وساءت أحواله الصحية، وأصيب بالشلل، وانتقل إلى جوار ربه في ٣ ذي القعدة ١٣٥٩هـ/ ٢ ديسمبر ١٩٤٠م[٩٠]. ودفن في مقبرة الحسن البصري بمسقط رأسه الزبير.

---

(٨٨) يعقوب الإبراهيم، "بيت الباشا" في البصرة...، جريدة الشرق الأوسط، ع٩٥٨٧، السبت ٢٠٠٥/٢/٢٦م، ص٣١.

(٨٩) محمد الحميدان، المختصر من تأريخ مدينة الزبير في صور، ص٢٥٢-٢٥٤.

(٩٠) نجدة فتحي صفوة، رحيل عبداللطيف باشا المنديل، جريدة الشرق الأوسط، ع٦٥٧٩، ص٢١.

ولا أجد رثاءً له مثل ما رثاه الشاعر معروف الرصافي، نثرًا، لا شعرًا، فقد قال: "ألقي إليَّ من البصرة كتاب سئلت فيه عن ثلاثة أشخاص عن المرحوم عبداللطيف باشا المنديل ونجله ماجد المنديل ووكيله العام عبدالعزيز المانع. وكان قد بلغني نعي الباشا المرحوم بواسطة الصحف اليومية العراقية فبكيته بكاء صامتًا بدمع جامد؛ لأنه كان صديقي الحميم تغمده الله تعالى برحمته الواسعة.

ولما كنت قد انقطعت عن الشعر لا إجبالاً بل اعتلالاً كتبت هذه الكلمة الموجزة جوابًا لذلك السؤال:

عبداللطيف باشا المنديل:

من أعجب مظاهر الإنسان وجهه فإنه مرآته الظاهرة المجلوة التي تلوح فيها صورته النفسية الباطنة، كما يلوح وميض البرق بأقصى الأفق في يوم الدجن حتى إني كتبت قصيدة في (وجه ابن آدم) ومما قلت فيها:

كل يشير إلى السريرة وجهه
فكأنه بضميره متلثم

وقد قال قبلي أحد الشعراء:

لا تسأل المرء عن خلائقه
في وجهه شاهد من الخبر

ولقد كان عبداللطيف المنديل شخصية عربية فذة، وكان ذا وجه كلما رأيته بملامحه العربية أتوسم فيه الخير كله؛ إذ كان يشف لي عما أجن في صدره من صفاء السريرة وحسن السيرة،

وكان هو - رحمه الله - يؤيد بأقواله وأفعاله ما أتوسمه في وجهه الكريم. وجه تنبعث منه الوجاهة، أسمر اللون، خفيف اللحية، صلت الجبين، يرسل إليك من عينيه نظرات تنبعث عن ذكاء متوقد وفطنة لامعة كما قلت مخاطبًا إياه في قصيدة:

إذا خفيت يومًا عليك حقيقة

نظرت إليها من ذكاء بمجهر

وإن ليلة الخطب ادلهمت كشفتها

بأوضاح صبح من فعالك مسفر

وتلك مزايا فيك أعلمت الورى

بأن بني المنديل أكرم معشر

وكان - رحمه الله - كريم الطبع، دمث الأخلاق، صادق اللهجة يؤنسك منه إذا جالسته بما ذكره لنا التاريخ عن رجال العرب الأولين من الخلال الحميدة السامية فلا يصدر منه تجاهك، إلا ما يحملك على مزيد احترامه وإعظامه. وأبرز خصاله الرائعة حرية الفكر مع الصراحة، فقد كان حرًا في أفكاره صريحًا في أقواله يقول الحق لا يخشى فيه لوم لائم، كما قلت فيه من أبيات جاء فيها:

حر الضمير مؤيد بفطانة

يرمي برأي في الأمور أصيل

إن قال حقًا قاله بصراحة

لم يخشَ لومة لائم وعذول"

المنديل والمملكة العربية السعودية:

كما كان المنديل عراقيًا وطنيًا مخلصًا، كان يكنّ لبلده الأصل المملكة العربية السعودية [نجد] حبًا وامتنانًا وولاءً وإخلاصًا، فهو وكيل مَلكها. ومن حبه للمملكة؛ أطلق اسم السعودية على أحد أحياء مدينته الأثيرة البصرة.

أما المملكة فلم تنكر جميله ومواقفه، فقد أطلقت أمانة الرياض العاصمة اسم المنديل على شارع كبير واسع في حي الربوة المعروف بالرياض، وقالت عنه: "تولى سفارة الملك عبدالعزيز في البصرة قديمًا، وكان وكيله في الشؤون السياسية في العراق في العهد التركي"[٩١].

أولاده:

تزوج عبداللطيف المنديل ثلاث زوجات، لم يبق له من أبنائه من الأولى إلا لؤلؤة، والثانية لم يرزق منها بولد، وقد تزوجها في الأحساء. أما الثالثة فقد أنجب منها: ماجدًا[٩٢].

ويذكر سبطه (ابن ابنته أديبة) عادل عبدالمحسن المنديل أن أولاده هم: ماجد، ومالك، وسعود، وأديبة، ونزيهة[٩٣].

---

(٩١) معجم أسماء شوارع مدينة الرياض وميادينها، ٨١٧/٢.

(٩٢) يعقوب الإبراهيم، بحث غير منشور، ص١٨.

(٩٣) محمد القشعمي، شخصيات: عبداللطيف المنديل ١٨٦٨-١٩٤٠م دبلوماسي من عهد التأسيس، الحلقة الثانية، المجلة العربية، ربيع الآخر ١٤٢٤هـ، ص٨٤.

٦ - فوزان السابق: معتمد الملك عبدالعزيز في مصر (١٢٧٥-١٣٧٣هـ / ١٨٥٨-١٩٥٣م):

نسبه:

هو فوزان بن سابق بن عثمان بن فوزان آل عثمان، يجتمعون مع آل سند أهل القرينة في فَطّاي بن سابق بن غانم بن ناصر بن ودعان بن سالم ابن زايد، من الدواسر، سكنوا الشماسية وبُريدة[٩٤].

مولده:

ولد فوزان في مدينة بريدة إحدى مدن القصيم بالمملكة العربية السعودية عام ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٩م[٩٥].

طلبه العلم وشيوخه وزملاؤه:

طلب العلم في بلده بريدة أولاً، ثم في الرياض، ثم سافر إلى الزبير والكويت، ثم سافر إلى الهند للدراسة على علمائها. وتلقى العلم على شيوخ، هم:

١ - الشيخ سليمان بن محمد بن سيف، وقد حفظ عليه القرآن الكريم في أثناء وجوده في بلده بريدة.

٢ - الشيخ ناصر بن سليمان السيف (ت ١٣٣٧هـ)، وتعلم منه القراءة والكتابة، في كُتّابه في بريدة.

٣ - الشيخ أمين الشنقيطي، وقد درس عليه في رحلته إلى الزبير والكويت.

---

(٩٤) حمد الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، القسم الأول، ص٣٢١.

(٩٥) السماري، المرجع السابق، ص٥٩٤.

٤ - الشيخ سليمان بن علي بن مقبل (ت ١٣٠٥هـ).

٥ - الشيخ محمد بن عمر بن سليم (ت ١٣٠٨هـ).

٦ - الشيخ محمد بن سليم (ت ١٣٢٣هـ).

٧ - الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٣٣٩هـ)، وقد درس عليه في الرياض.

٨ - الشيخ نذير حسين، عالم الهند، وقد درس عليه الحديث ومصطلحه، والتفسير في مدينة دلهي بالهند.

٩ - الشيخ سلامة الله الهندي (حسين بن حمد الأنصاري).

وفي رحلاته العلمية تلك زامل عددًا من طلبة العلم الذين صاروا من العلماء الأعلام بعد ذلك ومنهم:

١- الشيخ علي بن وادي، الذي رافقه في رحلاته إلى الرياض والزبير والهند.

٢ - الشيخ عبدالله بن مفدى، وهذان سافرا معه لطلب العلم في الرياض سنة ١٣٠٢هـ، حيث قرأ على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف.

٣ - الشيخ سليمان بن سحمان.

٤ - الشيخ عبدالله بن حسن.

٥ - الشيخ محمد بن إبراهيم.

٦ - الشيخ عبدالعزيز المرشدي. وهؤلاء الأربعة وغيرهم زاملهم في طلبه العلم في الرياض.

٧ - الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، الذي كان يدرس في الهند[٩٦].

كانت رحلاته في طلب العلم، ابتداءً من رحلته إلى الرياض، ثم إلى الزبير والكويت ثم إلى الهند، وطلبه العلم - رحلاتٍ شاقة شيقة معًا، عاد منها بحصيلة علمية طيبة.

أعماله التجارية:

بعد عودته من طلب العلم أخذ يمارس التجارة بالإبل والخيول، فكان يشتريها من أسواق نجد ويسافر بها إلى الشام والعراق ومصر، وكان أحد أفراد العقيلات الذين جابوا المناطق حول نجد بتجارتهم؛ بل إنه رأس عدة رحلات لهم أميرًا عليهم[٩٧].

أعماله السياسية واتصاله بالملك عبدالعزيز:

وكيل الملك في الشام:

اتصل بالملك عبدالعزيز بعد استرداد الرياض عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م، واشترك في موقعة جراب عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م، وأثناء ضم حائل عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م كان موجودًا في الشام وكانت سورية تحت الانتداب الفرنسي فاختاره الملك عبدالعزيز آل سعود وكيلاً له في منطقة الشام وعرف في ذلك الوقت بوكيل عظمة سلطان نجد.

---

(٩٦) إبراهيم المسلم، رجال من القصيم، القاهرة: الدار الفنية، ١٩٩٣م، ١/ ١٨٣.

(٩٧) إبراهيم المسلم، المرجع نفسه، ١/ ١٨٤.

في مصر:

وبعد ضم الحجاز عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م أذن الملك عبدالعزيز للشيخ فوزان السابق بالسفر من الشام إلى مصر، واستلام أعمال وكالة مملكة الحجاز، وأصبحت منذ تسلمها تعرف باسم وكالة مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها حتى تم توحيد المملكة وصار اسمها المملكة العربية السعودية يوم الخميس ٢٢ جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ/٢٢ سبتمبر ١٩٣٢م، فأصبحت الوكالة تعرف باسم وكالة المملكة العربية السعودية في مصر.

بعد إبرام معاهدة الصداقة وحسن الجوار بين المملكة العربية السعودية والمملكة المصرية في عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م تحولت الوكالة إلى مفوضية وأصبح الشيخ فوزان السابق وزيرًا مفوضًا للمملكة العربية السعودية في مصر، وافتتح مقر المفوضية رسميًا بحضور رئيس وزراء مصر مصطفى النحاس باشا وبحضور عدد من الشخصيات المهمة ورجال السياسة العرب والمصريين. وعين عددًا من الوكلاء لرعاية مصالح القادمين من السعودية من العقيلات تجار المواشي من الإبل والخيول في غزة بفلسطين، ومنهم عبدالعزيز بن عبيد في العريش، وعبدالعزيز بن جميعة في القنطرة الشرقية، وعبدالله وسليمان الرميح في الإسماعيلية، وحمد بن مسلم. وإن كان هؤلاء الوكلاء يتولون الأعمال شرفيًا فقد كانوا يقومون على خدمة الرعايا السعوديين بكل جد ونشاط، وكان الشيخ فوزان السابق يمثل المملكة العربية السعودية في

الاجتماعات الرسمية، وكان على رأس مستقبلي الملك عبدالعزيز في زيارتيه لمصر عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م وعام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م، وهو الوزير المفوض والمندوب فوق العادة لدى الحكومة المصرية. وعندما توسعت أعمال القنصلية عين الشيخ عبدالله بن إبراهيم الفضل قنصلاً عامًا وزودت المفوضية بعدد من الموظفين.

أعماله في مصر:

تميزت أعمال فوزان السابق في مصر بتعدد الأنشطة، الثقافية والعلمية، والسياسية، والاجتماعية، وغيرها. وكان عميد السلك الدبلوماسي في مصر لأكثر من عشرين سنة.

وقد تابع الشيخ فوزان - رحمه الله - توجيهات الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بطباعة عدة كتب مهمة مثل المغني، والشرح الكبير، وتفسير ابن كثير، وتفسير البغوي، ومجموعة التوحيد، ومجموعة الحديث، ومجموع المتون، والرسائل والمسائل النجدية، والبداية والنهاية في التاريخ لابن كثير، ونحوها من الكتب، ولقد تولى طبع هذه الكتب والإشراف عليها العالم الشهير الشيخ محمد رشيد رضا، وطبعت طباعة جيدة متقنة ونفع الله بها إذ طبعت ووزعت على نفقة الملك عبدالعزيز - رحمه الله -.

وكان الشيخ فوزان مدة إقامته بالقاهرة إذا علم بين أحد من أهل نجد نزاعًا أو خلافًا حل مشكلتهم برأيه وماله، وله هيبة عظيمة وتقدير في نفوس الرعايا السعوديين، إذ كان عقيل تجار الخيل والإبل يرتادون مصر بالألوف سنويًا،

ويقيم بعضهم هناك عدة شهور للتجارة بالخيل والإبل والأغنام[٩٨].

كذلك فقد نسخ بخط يده عددًا من الكتب في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، كما طبع كتاب "قواعد ابن رجب"، وعمل لتلك القواعد فهرسًا منظمًا ومصوغًا صياغة فقهية مفيدة، وطبع كذلك عددًا من الكتب على نفقته. وأسس كذلك مكتبة في مدينة بريدة، ثم وضعها في جامعها، وقد ضمت هذه المكتبة إلى المكتبة العامة في مدينة بريدة[٩٩].

وقد ألف الشيخ فوزان كتابًا سماه "البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار"، وهو كتاب يرد به على مطاعن وجهها مختار بن أحمد المؤيد العظمي إلى حنابلة نجد في كتاب سماه "جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام"، قال فوزان في مقدمة الرد عليه: كان حقه أن يسمى "حالك الظلام بالافتراء على أئمة الإسلام"، وقد نشر كتابه بعد وفاته[١٠٠].

وقد جاء في مقدمته في سبب تأليفه: "أما بعد: فإني لما كنت في دمشق الشام. وذلك في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف من هجرة المصطفى، جمعتني فيها مجالس مع أناس ممن يدعون العلم، وآخرين ممن ينتسبون إليهم. فكانوا لا يتورعون عن الاعتراض على أهل نجد والطعن

(٩٨) صالح السليمان العمري، علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم، الرياض، ١٤٠٥هـ، ٢/ ٤٣٠، ٤٣١.

(٩٩) إبراهيم المعارك، أعلام القصيم، ١/ ٥٣.

(١٠٠) علي جواد الطاهر، معجم المطبوعات العربية، ٢/ ١٠٤٤؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دمشق: مطبعة الترقي، ١٣٧٨هـ، ٧/ ٨٢.

عليهم في عقيدتهم، وتسميتهم بالوهابية، وأنهم أهل مذهب خامس، والغلاة من هؤلاء يكفرونهم... وقد جرت بيني وبين من ذكرتهم مباحثات عديدة في هذه المسائل التي هي أصل أصول الدين، وهي التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، ليكون الدين كله لله وحده لا شريك له... ثم إني توجهت إلى مصر وأقمت فيها، وفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة: تلقيت كتابًا من الشام ومعه رسالة، ولما فتحت الكتاب وجدته من بعض الذين اجتمعت بهم في الشام. وحصل البحث بيني وبينهم في هذه المسائل التي أشرت إليها، يقولون لي فيه: "قد أرسلنا إليك بهذه الرسالة كي ترد عليها، إن كان عندك جواب"؛ فعرفت من كتابهم هذا وتحديهم لي فيه بطلب الجواب عن تلك الرسالة: أنهم قد استعظموها في نفوسهم، معتقدين أنها الغاية القصوى في فصل الخصام بيني وبينهم في هذه المسائل التي دار فيها البحث. فلما اطلعت على هذه الرسالة المذكورة إذا هي لرجل من المعاصرين من أهل الشام يسمى (الحاج مختار بن الحاج أحمد باشا المؤيد العظمي)، سماها (جلاء الأوهام، عن مذاهب الأئمة العظام) وهذا من الأسماء المقلوبة، فحقها أن تسمى (حالك الظلام، بالافتراء على أئمة الإسلام)؛ لأنها تنادي على جهل مؤلفها ومن أرسل بها إلينا، لأنها بضاعة مزجاة، تلقي من تروج عنده في هوة سحيقة، لا ترجى لمن يقع فيها النجاة. فإنه يقرر فيها عبادة غير الله تعالى، واتباع غير رسوله ﷺ، ويرد فيها على جميع علماء أهل السنة المعاصرين له، ومن تقدمهم من الأئمة المجتهدين المتبعين

لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، المقتدين بسلف الأمة وأئمتها. وقد جمع في رسالته هذه من الخلط والتناقض، وتحريف الكلم عن مواضعه شيئًا كثيرًا مما سنجيب عليه في محله إن شاء الله تعالى"(١٠١).

حبه للخيل:

اشتهر فوزان السابق إلى جانب عمله الرسمي، بتربية الخيول العربية، وكان عميد مربي الخيول العربية في مصر(١٠٢).

وهناك قصة الجواد "مهلهل" الذي كان من مقتنيات إسطبل الشيخ فوزان السابق في المطرية بمصر، وشهرة هذه القصة لارتباط اسم الجواد بقصة اكتشاف البترول في المملكة العربية السعودية، والقصة يرويها محمد الفوزان، نجل الشيخ فوزان السابق فيقول: القصة وقعت في سنة ١٩٢٧م (١٣٤٦هـ)، حضر المستر كراين(١٠٣) لزيارة الوالد بتوصية من المفوض الأمريكي بالقاهرة وطلب أن يرى الجياد العربية التي يمتلكها الوالد، وقد استعرضت أمامه الجياد الموجودة في الإسطبل وعندما وقف أمامه أحد الجياد صاح

(١٠١) فوزان السابق، البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٢هـ، ص٣، ٤، ٥.

(١٠٢) إبراهيم المسلم، شخصيات من الذاكرة، ص١٨٠.

(١٠٣) تشارلز ر. كراين: رجل أعمال أمريكي، كان أحد أعضاء لجنة الرئيس الأمريكي ودرو ولسن، التي قدمت توصياتها الخاصة بسورية والعراق لمؤتمر الصلح المنبثق عن الأمم المتحدة، الذي عقد في فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى، وقد سميت تلك اللجنة باسم: لجنة (كنج – كراين). انظر: عبدالله بن ناصر الوليعي، الشماسية، ص٢٤٨. وانظر فيه تفاصيل زيارة كراين للمملكة.

بأعلى صوته "يا إلهي، ما هذه العظمة؟" هذا الجواد اسمه مهلهل ناصع البياض وآية من آيات الله، جمال وقوة، فاز بجميع السباقات التي اشترك فيها، لم يتمالك نفسه وهو يخرج دفتر شيكات من جيبه يوقع أحدها على بياض تاركًا للشيخ فوزان تقدير القيمة. قال الشيخ فوزان للمترجم قل للمستر كراين: "هو لك" وليدخل دفتر شيكاته في جيبه، فإن الحصان هدية مني له، لقد دهش المستر كراين لهذا التصرف من الشيخ فوزان. ولم يمض أيام حتى كان الحصان "مهلهل" على ظهر أحد المراكب المتجهة إلى أمريكا من ميناء الإسكندرية.

وفي ١٠ يوليو سنة ١٩٢٨م (٢٢ المحرم ١٣٤٧هـ) تلقى الشيخ فوزان رسالة من المستر تشارلز كراين وصورة للجواد وترجمة الرسالة:

عزيزي الشيخ فوزان

أرسلت إليك صورة لجوادك الجميل، وعلى الرغم من أن ولاية فرجينيا تشتهر بالجياد الممتازة، إلا أن هواة الفروسية الذين سمعوا عن جوادك يسافرون لمسافات شاسعة فقط ليروا جوادك ثم يبدون الإعجاب به.

أضمن هذا الخطاب سلامي لزعيمكم العظيم عبدالعزيز آل سعود ولك وأمانيَّ لكم ولبلدكم بالرفاهية.

المخلص لك

تشارلز - ر - كراين.

في إحدى زيارات كراين للشرق الأوسط قام بزيارة لمقر المفوضية أبدى رغبته في زيارة المملكة، وقد تمت هذه الزيارة ووصل المستر تشارلز كراين إلى ميناء جدة يوم الخميس ٢٧ ذو القعدة ١٣٤٩هـ/ ١٦ إبريل ١٩٣١م وكان يرافقه الأستاذ جورج أنطونيوس مؤلف كتاب "يقظة العرب" بصفته مترجمًا. كانت رغبة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - البحث عن مصدر للمياه في المملكة العربية السعودية بصفة عامة، ومناطق الحج بصفة خاصة، وكان عطاء الله أكبر.

كان الجيولوجي المستر كارل إس تويتشل أحد العاملين لدى المستر كراين في اليمن في مهمة للبحث عن المياه فأوعز له بالحضور إلى السعودية ووضع خدماته تحت تصرف الملك عبدالعزيز على أن تتكفل المملكة بتأمين تنقلاته وتأمين إقامته ومعيشته، فكان البحث عن مصادر المياه يتم بطريقة علمية كثر الحديث عنها، ولعل كتاب المستر تويتشل عن المملكة العربية السعودية أهم مصدر لعلم طبقات الأرض ومصادر المياه[١٠٤].

ولكن بدلاً من اكتشاف المياه، وفِّقَ تويتشل إلى اكتشاف البترول في المملكة العربية السعودية.

صفاته:

١ - سخاؤه:

كان الشيخ فوزان - رحمه الله - من رجال الدين والدنيا ومن أهل الفضل، فقد كان منزله بمصر أكثر من أربعين عامًا موئلاً وملجأ لأهل نجد، ولم يكن يجهل أحوال المقيمين

(١٠٤) إبراهيم المسلم، المرجع السابق، ١/ ١٨٦-١٩٠.

هناك، بل كان يتفقد أحوالهم ويساعد المحتاجين منهم، وكان يخصص للفقراء والمحتاجين منهم مخصصات شهرية، ولما توفي أتوا للسفير بعده يظنون أنها من السفارة. فقال لهم السفير الذي بعده: ليس عندنا لأحد منكم شيء. فعرفوا أنها من مال فوزان، وليست من السفارة.

وكان إذا علم على أحد من الرعايا السعوديين ما يوجب نصحه استدعاه ونصحه، وربما أمره بمغادرة القاهرة.

٢ - حكمته وعزة نفسه:

أورد ناصر السليمان العمري في كتابه: ملامح عربية قصة بعنوان "تقديم المال دون العرض"، وهي تدل على حكمة فوزان السابق وعزة نفسه، جاء فيها: "كان فوزان السابق الفوزان وجماعة من عقيل مسافرين في بادية الشام فنزلوا ضيوفًا لدى رجل من البادية وأقاموا ليلة في ضيافة البدو. وفي الصباح الباكر تحرك ركب عقيل وفي مقدمتهم فوزان السابق الفوزان وأخذوا طريقهم مغربين، وبعد ساعة من تحركهم لحق بهم رجل يركب فرسًا وشعر به هؤلاء الرجال، فقال فوزان السابق لرفاقه: تقدموا وأنا أنتظر صاحب الفرس. وصل صاحب الفرس إلى فوزان السابق وسلم وقال لفوزان: بتم عندنا ففقدنا كيس ذهب. فسأله فوزان عن مقداره، فقال: كذا جنيه. وكان فوزان السابق يضع جنيهات في محزم يخفيه تحت ثيابه فعد جنيهات تقابل جنيهات البدوي وسلمها له وقال: هذا بعدد جنيهاتكم ولا حاجة لسؤال جماعتي عن الذهب. فأخذها البدوي ورجع ومضى

فوزان وجماعته في رحلتهم التجارية. وبعد أيام جاء شاب بدوي من أهل الذهب إلى أهله ومعه عدد من الإبل، فسأله أبوه: من أين هذه الإبل؟ قال: اشتريتها من العراق، وقال: ومن أين لك قيمتها؟ قال: الذهب الذي عندنا. فعرف الأب أن ولده هو آخذ الذهب، ولكن ما العذر من الشيخ فوزان السابق وجماعته. فركب الرجل في أثر فوزان السابق فسلم وبادر إلى تقبيل أنف الشيخ فوزان السابق يعتذر ويطلب العفو والمسامحة، وقص القصة على الشيخ فوزان وجماعته، فقبل فوزان عذره واستعاد ذهبه"(١٠٥).

٣ - حبه للخير:

عندما قدمت الشيخ فوزان لبريدة اشترى بيتًا كبيرًا مجاورًا لمسجد الملك عبدالعزيز بالجردة الشهير بمسجد حسين العرفج إمامه السابق، فأشار الشيخ عمر بن سليم على الشيخ فوزان بإدخال البيت في المسجد، وإعادة بنائه فوافق - رحمه الله - ، وقد تولى الشيخ عمر - رحمه الله - الإشراف على بنائه، وبني أحسن بناء وأقواه، ثم إن وزارة الأوقاف أعادت تجديد المسجد في عام ١٤٠٠هـ بالمسلح على الطراز الحديث(١٠٦).

تقاعده:

عندما تقدمت به السن، طلب فوزان السابق مرارًا من الملك عبدالعزيز أن يعفيه من منصبه، لكن الملك لم يوافق إلا

---

(١٠٥) ناصر السليمان العمري، ملامح عربية، الرياض: دار الشبل، ١٤١١هـ، ص٧٥.

(١٠٦) صالح العمري، المرجع السابق، ص٤٣٢.

بشرط أن يختار من يحل مكانه، وأن يدربه على أعمال المفوضية، فاختار الشيخ عبدالله بن إبراهيم الفضل، بوصفه أحد الرجال الموثوق بهم، وبعد أن تمرس بالعمل، وافق الملك عبدالعزيز على إحالة الشيخ فوزان إلى التقاعد عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م. وكان عمره آنذاك تسعين عامًا.

وعندما أحيل إلى التقاعد تساءل بعضهم عن موعد خروج فوزان السابق من دار المفوضية، فكان رد الملك عبدالعزيز: تخرج المفوضية إلى مكان آخر، ولا يخرج فوزان؛ فالبيت هدية له مني، وبالفعل كلف فوزان بالبحث عن مكان آخر، ووقع الاختيار على (فيلا) مبنى في ميدان الرماحة بشارع الجيزة الرئيس، فكانت مقر المفوضية ثم السفارة بعد ذلك[١٠٧].

وفاته:

كان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - قد شمل الشيخ فوزان السابق بعنايته، وكان دائم السؤال عنه في كل مناسبة، وقبل أن يتوفى الملك عبدالعزيز في شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ، كان فوزان قد حج وقابله في الطائف، وكان آخر لقاء بينهما؛ إذ لم يمض أكثر من ثلاثة أشهر حتى انتقل فوزان إلى جوار ربه في ٥ جمادى الأولى ١٣٧٣هـ/٩ يناير ١٩٥٤م، ودفن بالقاهرة[١٠٨]. وقد مات وعمره (٩٨) سنة[١٠٩].

(١٠٧) عبدالله الوليعي، الشماسية، ص٢٣٩.

(١٠٨) المرجع نفسه.

(١٠٩) صالح العمري، المرجع السابق، ص٤٣٣.

أبناؤه:

ولد لفوزان السابق عدة أولاد، ماتوا جميعًا قبل البلوغ، وبعد أن كبرت سنه ولد له ولد في غرة صفر ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩/٣/٢٢م سماه محمدًا، فلما بلغ الخبر الملك عبدالعزيز فرح لذلك، وأراد أن يداعب الشيخ فوزان، فأرسل له رسالة فيها: "سبحان من يحيي العظام وهي رميم".

تخرج محمد في المدرسة الإبراهيمية الثانوية عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، وفي كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، والتحق بوزارة الإعلام بجدة. ابتعث للدراسات العليا في الولايات المتحدة، حيث حصل على درجة الماجستير في القانون الدولي من جامعة جورج واشنطن عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

بعد عودته إلى وزارة الإعلام تدرج في مناصبها، حتى وصل إلى منصب كبير مستشاري الوزارة، وبقي فيه حتى وفاته في ٣ رمضان ١٤١٩هـ (١٩٩٨/١٢/٢١م)، رحمه الله(١١٠).

وبعد؛ فإن المصادر والمراجع التي تناولت حياة الشيخ فوزان السابق كثيرة؛ لكنها - مع الأسف - مكررة، يأخذ اللاحق عمن قبله؛ وحاولنا جهدنا أن تخرج معلوماتنا عن الشيخ فوزان السابق مبوبة، غير مكرورة، غنية؛ حتى تغدو مصدرًا لحياته، وخدمته وطنَه.

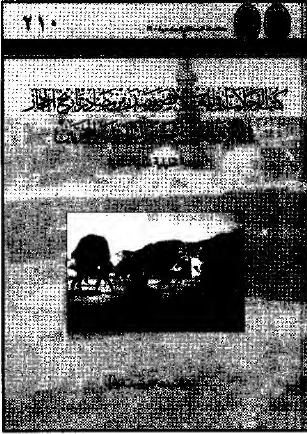
(١١٠) عبدالله الوليعي، الشماسية، ص٢٥٧.

كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين

إعداد

د. عواطف بنت محمد يوسف نواب

٧٤٨ صفحة



يدرس هذا الكتاب كتب الرحلات في المغرب الأقصى إلى الحجاز التي تعد موسوعات علمية مصغرة تتضمن معلومات مهمة عن جميع أحوال المسلمين، وقد أظهرت تلك الكتب المكانة العلمية التي كانت مزدهرة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف، ومن ضمنها وجود علماء مخترعين في علم الميكانيكا، إلى جانب وفرة الكتب وسهولة نسخها وتجليدها ونشرها.

وقد أبرز الكتاب من خلال كتب الرحلات تلك الحالة الدينية في الحجاز، وتناول تعدد الأجناس في مجتمعه وتنوع تركيبته السكانية، ودرس أيضًا الاضطراب السياسي الذي عم أرجاءه في زمن الدراسة، وعرض الجانب الاقتصادي الذي كان يغذى بالأعطيات والصدقات، يضاف إليها إتقان بعض أهل الحجاز مهنًا متنوعة مثل الصياغة والزراعة والبناء.





ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٠١١٩٩٩/٤٠١٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧

بريد إلكتروني info@darah.org.sa

مجموعة القاضي محمد عصمت الجلالي الموقوفة على مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت

د. راشد بن سعد القحطاني
قسم دراسات المعلومات - كلية علوم الحاسب والمعلومات - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحديث عن مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت(١) - رحمه الله - حديث شائق وجميل، وهي أول مكتبة عامة في المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، ولكن قد سبق الباحث إلى دراستها مجموعة من الباحثين، وكان للباحث دراسة سابقة بعنوان: "وقفية مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت"، وقد نشرت ضمن بحوث ندوة المكتبات الوقفية(٢)، ونشرتها مجلة العقيق(٣).

(١) في ترجمته يمكن الرجوع إلى محمود بن عبدالله الألوسي، عارف حكمت حياته ومآثره، أو "شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم" تحقيق وتعليق محمد العيد الخطراوي، دمشق: مؤسسة علوم القرآن، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٢) بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية المنعقدة في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة في المدة من ٢٥-٢٧ المحرم سنة ١٤٢٠هـ، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٧٧٥-٨٢٥.

(٣) مجلة العقيق، مج١٤، ع٢٧، ٢٨، رمضان - ذي الحجة ١٤٢٠هـ/ ديسمبر - مارس ٢٠٠٠م، ص٢٣١-٢٥٠.

وقد سافر الباحث إلى المدينة المنورة أكثر من مرة؛ من أجل البحث المباشر في فهارس المكتبة محاولاً الاطلاع على كثير من المخطوطات ذات الصلة بالفترة الزمنية لتاريخ النسخ أو التوزيع الموضوعي. وهنا لا أنسى أن أدعو بحسن الجزاء لمن قام بإعداد تلك الفهارس الموجودة بالمكتبة، لإضافته تاريخ النسخ الذي كان له الأثر الطيب في تتبع مخطوطات الفترة الزمنية للنسخ، وكذلك إضافة اسم الناسخ، ومع ذلك فقد عانيت جهدًا جهيدًا لأن العناوين المذكورة في الوثيقة مجرد تسميات مختصرة، فمن ذلك -على سبيل المثال- "عرياني على النونية"، والمراد: "خير القلائد لشرح جواهر العقائد" لعثمان بن زاده الكليسي العرياني(٤).

مشكلة الدراسة:

يعد الوقف من الأعمال الخيرية التي اهتم بها الإسلام منذ بدء الرسالة المحمدية، وانتشر على مدى العصور الإسلامية، وأصبح ظاهرة مميزة يشارك فيها الغني والفقير، وكان من أنماط الوقف التي انتشرت انتشارًا واسعًا في العالم الإسلامي وقف الكتب لكي تكون متوافرة لطلبة العلم والدارسين. وأغلب المعلومات المتعلقة بوقف الكتب تركز على موقفين أوقفوا كتبًا شعروا بأهميتها لطلبة العلم، ولكن هناك

---

(٤) من لا يشكر الناس لا يشكر الله، لذا أرى من الواجب شكر كل من المدير العام لمكتبة الملك عبدالعزيز الدكتور/ عبدالرحمن بن سلميان المزيني، وأمين مكتبة الشيخ عارف حكمت عبدالصمد محمد جان، وكل من محمد الحجيلي، ومرزوق بن فائز الرحيلي، وجميع العاملين بالمكتبة على ما قدموا من مساعدة للباحث.

ظاهرة لم تحظ بالعناية في تاريخ وقف الكتب، وهي المنسوخات، أي الكتب التي يقوم بنسخها شخص بعينه، ثم يوقفها على مكتبة بعينها. وتسعى هذه الدراسة إلى تناول هذه الظاهرة من خلال منسوخات القاضي محمد عصمت الجلالي، التي وقفها على مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت، وتسعى الدراسة إلى حصر عددها، ومعرفة اتجاهاتها المعرفية.

أسئلة الدراسة:

سوف يعمل الباحث على عرض مجموعة من الأسئلة، التي يسعى إلى الاجابة عنها من خلال المقابلة والتقصي الدقيق، وهذه الأسئلة هي كما يأتي:

١ - ما الاتجاهات الموضوعية لمنسوخات الجلالي؟.

٢ - ما الاتجاهات الزمنية لمنسوخات الجلالي؟.

٣ - ما الخطوط التي استخدمها الجلالي في نسخ المخطوطات؟.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية دراسة تلك المجموعة من أنها سوف تكشف عن مجموعة من الكتب التي نسخها فرد واحد، وأودعها في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت، وسوف تظهر أنماطاً من الثقافة التي كانت سائدة في أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجريين، كما أنها سوف تدعم عناية العلماء بتوفير أوعية العلم لطلابه.

حدود الدراسة:

ركز الباحث في الوثيقة الخاصة بوقف كتب الجلالي المحفوظة بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة، ومطابقة المجموعة على نص الوثيقة. وقد قام الباحث بزيارات متكررة للمكتبة ومراجعة فهارسها، وقد استطاع بتوفيق من الله، ثم بجهود القائمين على تلك المكتبة الاطلاع على جميع الكتب المذكورة في الوثيقة.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسة واحدة تناولت شخصية القاضي الجلالي، أو تحدثت عن ناسخ وقف كتبه على نمط القاضي الجلالي، ومن ثم فلا توجد دراسة تسبق هذه الدراسة في هذا الموضوع إلا ما قام به الباحث من تحقيق لنص الوثيقة، وتم نشر ذلك في مجلة عالم المخطوطات والنوادر(٥).

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الاستقصائي، حيث اقتصر في المادة العلمية على المنسوخات المذكورة في الوثيقة والمحفوظة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت مع تنظيمها وتحليلها إحصائيًا باستخدام الرسوم البيانية والمدرج التكراري، وكذلك استخدام الأساليب الإحصائية البسيطة في إظهار المتوسط الحسابي، والنسب المئوية، ومن أجل التأكد

---

(٥) مجلة عالم المخطوطات والنوادر، المجلد العاشر العدد الأول (المحرم - صفر ١٤٢٦هـ/ مارس - أغسطس ٢٠٠٥م) ص٢٧٧-٢٨٥.

من وجود المخطوطات المشار إليها في الوثيقة قام الباحث بزيارات متكررة للمكتبة، ومراجعة فهارسها وهذا ما مكنه من الاطلاع على جميع الكتب التي نسخها الجلالي، ومن ثم فإن نتائج دراسته ستكون معتمدة على الجانبين النظري والعملي.

مسار الدراسة:

سوف تتوزع الدراسة على النحو الآتي:

١ - ترجمة الجلالي.

٢ - الاتجاهات الموضوعية.

٣ - التوزيع الزمني.

٤ - النتائج والتوصيات.

ترجمة الناسخ:

هو محمد عصمت الجلالي الإسلامبولي بن خواجة مسود علي إبراهيم بن محمد، ولا توجد معلومات عن حياة القاضي محمد عصمت الجلالي إلا نبذة قصيرة ذكرها الزاحم تحت عنوان "بيان بأسماء القضاة الذين لهم صكوك في سجلات محكمة المدينة المنورة، ولم نعثر لهم على تراجم، ولم نعرف تاريخ توليهم القضاء، ولا عزلهم، ولا الولادة ولا الوفاة"، إذ أشار تحت رقم التسلسل ٤٢٧ إلى السيد محمد عصمت محمد علي، وذكر تاريخ السنة التي كان فيها قاضيًا: ١٣٠٠هـ و ١٣٠٤هـ[٦]،

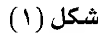
---

(٦) عبدالله بن محمد بن زاحم، كتاب قضاة المدينة المنورة منذ عام ٩٦٣هـ إلى عام ١٤١٨هـ، مج٢، ق٣، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٥٧١.

ولم يورد أي معلومات أخرى تعين على تتبع مراحل حياته وعمله ومكانته العلمية، ولكن من خلال الوثيقة الخاصة بالكتب التي وقفها، وجميعها مكتوبة بخط يده، نستطيع القول إنه كان عالمًا موسوعيًا يأخذ من كل فن بطرف، فالقائمة الخاصة بمنسوخاته تشمل أعمالاً في النحو والصرف والبلاغة والفقه والمنطق والمواعظ.

وعند البحث في منهج الجلالي في النسخ لم يجد الباحث أي دليل على توثيقه للمخطوطات التي نسخ منها تلك المجموعة أو بعضاً منها، ولكن له مجموعة من العبارات التي تدل على نسخه لها بقوله: "أتممت تنميق هذا الكتاب"، أو "كتبه الفقير"، أو "تم تنميق هذا الكتاب".

واهتم الجلالي بتثبيت تاريخ النسخ، وكتبه في كثير من المرات بالأرقام والحروف، ولم يغفله فيما كتب إلا مرة واحدة، وتلك المرة واضحة التاريخ؛ لأنها ضمن مجموع، وكذلك في أحد المنسوخات أرّخ بطريقة ابن كمال باشا، أو طريقة الكسور، فهو يقول: "السدس الخامس من النصف الأول من السبع الخامس من العشر الأول من الثلث الثالث من السدس الأخير من النصف الثاني من شهور سنة ست وثمانين ومائتين وألف"، وهو بذلك قسم السنة إلى نصفين، وكل نصف إلى أسداس، وقسم الشهر إلى أثلاث، وكل ثلث إلى أعشار، وقسم الأسبوع إلى أسباع، وقسم اليوم إلى أنصاف، وهو بذلك يشير إلى وقت الضحى يوم الأربعاء واحد وعشرين من ذي الحجة. (انظر الشكل ١)



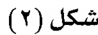
شكل (١)

التاريخ بالكسور أو طريقة ابن كمال باشا (خاتمة شرح البردة/ علي السهروري الرقم العام ١٠٢٢ رقم التصنيف ٢٤٣/١٩)

ومن الطرائق المتبعة في كتابة التاريخ اختصار أسماء الشهور، فقد كتب المحرم (م)، وجمادى الأولى (جا)، ورجب (ب)، وشعبان (ش)، وذو القعدة (ذا)، وذو الحجة (ذ)، وهو المتبع في الوثائق الرسمية بالدولة العثمانية، (انظر الشكل ٢).

متعلق بالتقسيم وخلاصة تمام البحث من قوله اعلم الى ههنا اشارة
الى قياس مركب على هيئة الشكل الاول وجعل قوله ولان كل علم كثرة
الى قوله جرى عادة العلماء اشارة الى صغراه واعلم ان من حق كل
طالب الخ اشارة الى كبراه قدمه رعاية التعليم على ماذكرنا وصورة القياس
هكذا كل علم كثرة تضبطها جهة وحدة الخ وكل كثرة تضبطها جهة وحدة
حقها ان يعرف بها وان يعرف غايتها قبل الشروع فينتج ان كل علم حقه
ان يعرف بها وان يعرف غايتها قبل الشروع فيها وقوله جرى عادة
العلماء كانه تفريع على هذه النتيجة من حيث المعنى فكانه قال اذا جرى عادة
العلماء الخ لكنه نبه انه لم يندرج في القياس المذكور للتصديق بموضوعه الموضوع
فيكون متعرض لذلك فيما فرعه على النتيجة فالحق اندراجها فيه ليكون الكلام
على وتيرة واحدة وتلائم اطرافه ولما كان قوله جرى عادة الخ من حيث
المعنى متفرعا على النتيجة اخره على ما يدل على صغرى القياس
وهذه هي النكتة الموعودة سابقا في تقديم
الطرف على متعلقه هذا ما وفقه
الله لي في حل المقام
والله خير
الميسر
يت
م

كتبه الفقير محمد عصمت الجلالي عفي عنه سنة ١٢٨٦ ب ليلة الثلثا



شكل (٢)

اختصار أسماء الشهور

(خاتمة حاشية الطرسوسي على رسالة الموسوية/ محمد الطرسوسي.
مجموع رقم ٤٢٣ رقم التصنيف /٨٠ ١-٧ (٤))

وكان عندما ينتهي من نسخ كثير من منسوخاته يذكر التاريخ، والوقت المحدد للانتهاء، مثلاً: يوم الخميس وقت العشاء أو بعد صلاة المغرب أو وقت الضحى، (انظر الشكل ٣).

شكل (٣)

توقيت الانتهاء من النسخ

(خاتمة حاشية على نتائج الأفكار شرح إظهار الأسرار/ علي جلبي.

الرقم العام ٢٥٤٩، رقم التصنيف ٤١٥/٦٦)

وكما اعتاد أن يؤرخ باليوم العربي إلا أنه استخدم يومين من أيام الأسبوع باللغة التركية، وهما يوم (صالي) ليوم الثلاثاء، ويوم (جهار شنبه) ليوم الأربعاء، (انظر الشكل ٤).



ترتب الحسنة ولا يعاقب عليه الا ان يكون طريق
الصواب بينا وهو لا يتجزى هو الصواب
الحمد لله على التمام وللرسول
افضل السلام وعلى اله
الكرام واصحابه
العظام
م م م

كتبه الفقير المحتاج الى رحمة ربه القدير محمد عصمت
الجلالي الشهير بابن خواجه محمد على عليهما رحمة
الهادي سنة ١٠٨٣ ثلث وثمانين ومائتين
والف من هجرة من له العز والشرف
ذي الحجة ٤ يوم صالي بعد
صلوة الظهر م م

شكل (٤)

كتابة الأيام باللغة التركية

(خاتمة مرقاة الوصول إلى علم الأصول/ ملا خسرو.

الرقم العام ١١١٠ رقم التصنيف ٢٥١/٥١)

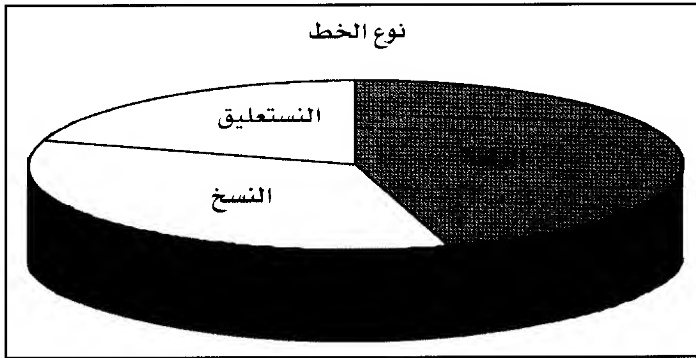
والملحوظ على منهج الجلالي في النسخ أنه لم يهتم بكتابة العناوين، بل لم يهتم بصفحة العنوان إجمالاً، ولم يميزها لا بحرف ولا بلون، وهذا ما يدل على أن الناسخ كان ينسخ تلك المنسوخات لنفسه.

وكتب الجلالي بثلاثة أنواع من الخطوط العربية، هي: النسخ، والرقعة، والنستعليق، وقد جود في بعض منسوخاته وخلط بين خطين، وبالرجوع إلى الجدول رقم (١)، والشكل رقم (٥) نجد أنه قد كتب بخط الرقعة أربعة وثلاثين

جدول (١)

يبين نوع الخط

نوع الخط	العدد	النسبة
الرقعة	٣٤	٤٥٪
النسخ	٢٦	٣٥٪
النستعليق	١٥	٢٠٪
المجموع	٧٥	١٠٠٪



شكل رقم (٥)

نوع الخط

مخطوطًا، وبالنسخ ستة وعشرين مخطوطًا، أما بالنستعليق فقد كتب خمس عشرة نسخة، وبذلك نجد أن خط الرقعة يمثل ما نسبته ٤٥٪ من المخطوطات، والنسخ ٣٥٪، والنستعليق ٢٠٪، والنسب السابقة كلها تقريبية.

الاتجاهات الموضوعية:

قام القاضي محمد عصمت الجلالي بنسخ ثمان وأربعين مجلدًا تحتوي على خمسة وسبعين عنوانًا، وقد نسخ في اثني عشر موضوعًا، توضح ميوله العلمية، وكلها في تخصصه. والجدول رقم (٢) يبينها. ويتضح من الجدول والشكل رقم (٦) أن الصرف والمنطق في المركز الأول برصيد أحد عشر عنوانًا، وبنسبة ١٥٪ لكل منهما، وتأتي أصول الفقه في المركز الثاني بعشرة عناوين، ونسبة ١٣٪، أما المركز الثالث فكان من نصيب آداب البحث بتسعة عناوين ونسبة ١٢٪، وفي المركز الرابع العقائد بثمانية عناوين ونسبة ١١٪، وكان المركز الخامس لكل من الفتاوى والمدائح النبوية برصيد ستة عناوين، ونسبة ٨٪ لكل منهما، أما الفقه والنحو فكانا في المركز السادس برصيد خمسة عناوين، ونسبة ٧٪ لكل منهما، ثم التفسير في المركز السابع بعنوانين، ونسبة ٣٪، أما المركز الثامن والأخير فقد كان للحساب والفهارس بعنوان واحد لكل منهما ونسبة ١٪ تقريباً.

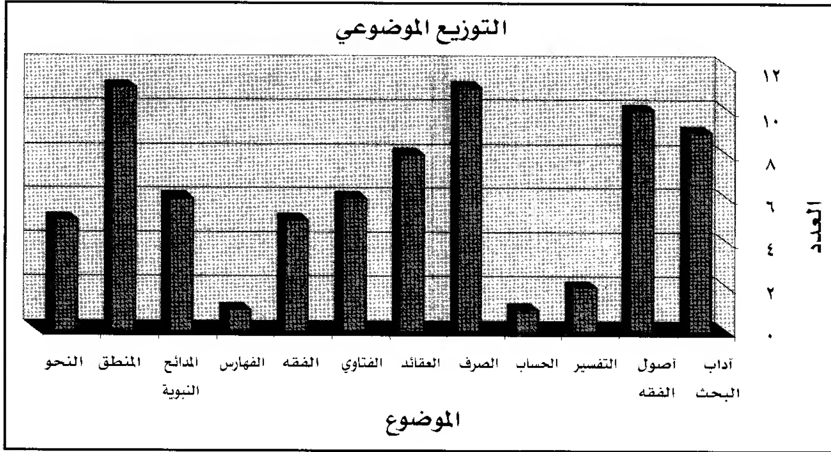
جدول (٢)

يبين توزيع المخطوطات التي نسخها

القاضي محمد عصمت الجلالي حسب الموضوع

الموضوع	العدد	النسبة
آداب البحث	٩	٪١٢
أصول الفقه	١٠	٪١٣
التفسير	٢	٪٣
الحساب	١	٪١
الصرف	١١	٪١٥
العقائد	٨	٪١١
الفتاوي	٦	٪٨
الفقه	٥	٪٧
الفهارس	١	٪١
المدائح النبوية	٦	٪٨
المنطق	١١	٪١٥
النحو	٥	٪٧
المجموع	٧٥	٪١٠٠

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثاني ربيع الآخر ١٤٣٠هـ، السنة الخامسة والثلاثون
الدارة



شكل (٦)
التوزيع الموضوعي

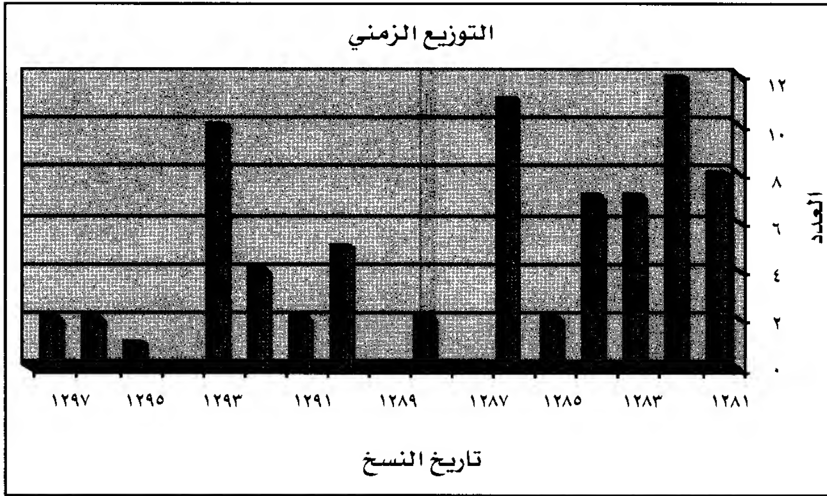
التوزيع الزمني:

بالنظر إلى الجدول رقم (٣)، والشكل رقم (٧) يتضح من تاريخ النسخ حصول عام ١٢٨٢هـ على المركز الأول باثني عشر عنواناً، ونسبة ١٦٪، وفي الثاني يأتي عام ١٢٨٦هـ برصيد أحد عشر عنواناً، ونسبة ١٥٪، أما الثالث فكان لعام ١٢٩٣هـ، برصيد عشرة عناوين، ونسبة ١٣٪، والرابع لعام ١٢٨١هـ بثمانية عناوين، ونسبة ١٠٪، وفي الخامس كان من نصيب عامي ١٢٨٣-١٢٨٤هـ بسبعة عناوين، ونسبة ٩٪ لكل منهما، أما عام ١٢٩٠هـ فكان في السادس بخمسة عناوين، ونسبة ٧٪، وعام ١٢٩٢هـ يقع في المركز السابع، بأربعة عناوين، ونسبة ٦٪، أما الأعوام (١٢٨٥، ١٢٨٨، ١٢٩١، ١٢٩٦، ١٢٩٧هـ) فهي مشتركة في الثامن بعنوانين لكل منهم، ونسبة ٣٪، أما المركز التاسع فكان لعام ١٢٩٥هـ، بعنوان واحد ونسبة ١٪ تقريبًا، أما الأعوام (١٢٨٧، ١٢٨٩، ١٢٩٤هـ) فلا يوجد في أي منها عنوان.

جدول (٣)

يبين التوزيع الزمني لمنسوخات القاضي محمد عصمت الجلالي

تاريخ النسخ	العدد	النسبة المئوية
١٢٨١هـ	٨	١٠٪
١٢٨٢هـ	١٢	١٦٪
١٢٨٣هـ	٧	٩٪
١٢٨٤هـ	٧	٩٪
١٢٨٥هـ	٢	٣٪
١٢٨٦هـ	١١	١٥٪
١٢٨٧هـ	--	--
١٢٨٨هـ	٢	٣٪
١٢٨٩هـ	--	--
١٢٩٠هـ	٥	٧٪
١٢٩١هـ	٢	٣٪
١٢٩٢هـ	٤	٥٪
١٢٩٣هـ	١٠	١٣٪
١٢٩٤هـ	--	--
١٢٩٥هـ	١	١٪
١٢٩٦هـ	٢	٣٪
١٢٩٧هـ	٢	٣٪
المجموع	٧٥	١٠٠٪



شكل (٧)

التوزيع الزمني

النتائج والتوصيات:

وقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة التي تركزت حول الجلالي ومنسوخاته التي وقفها على مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت إلى النتائج الآتية:

١ - أن الجلالي كان ينسخ لنفسه.

٢ - تنوع ثقافة الجلالي، وتميزه في ذلك، وتم الوقوف على هذا من خلال أنماط الكتب والرسائل التي نسخها والتي بدون شك أمدته بثقافة واسعة، وتنوع معرفي.

٣ - أن الواضح من خلال منسوخاته تركيزه على نسخ كتب العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، وما يتصل بهما.

ويوصي الباحث بعد أن خلص إلى النتائج السابقة بالتركيز على الآتي:

١ - الاهتمام بوثائق وقف الكتب.

٢ - الاهتمام بدراسة المكتبات الوقفية.

٣ - إظهار جهود النساخ من خلال نشر الدراسات عن أولئك الجنود المجهولين.

المنسوخات حسب ورودها في الوثيقة مقرونة بأرقام تصنيفها في المكتبة

لقد حاولت التعرف على المجموعة الموقوفة في المكتبة، وقد تمكنت بفضل الله سبحانه من التعرف على المجموعة كاملة، فقد أشار صاحب الوقف بقوله: "بيان أسماء الكتب الموقوفة وهو:

- صدر الشيرازي على البيضاوي، مجلد واحد، الرقم العام ١٧٦، رقم التصنيف ٨٤/ ٢٢٨: (حاشية على تفسير البيضاوي/ صدر الحسيني الشيرازي).
- وحواشي على المقدمات الأربعة، مجلد واحد، الرقم العام مجموع ٣١٦، رقم التصنيف ٨٠/ ١-٦: (حاشية على المقدمات الأربع/ محمد بن عبدالرحمن الرومي، حاشية على المقدمات الأربع/ محيي الدين محمد بن إبراهيم بن الخطيب، حاشية على المقدمات الأربع/ محمد بن الحاج حسن، حاشية على المقدمات الأربع/ علاء الدين الحلبي، حاشية على المقدمات الأربع/ محمد الكستلي، حاشية على المقدمات الأربع/ مصلح الدين القسطلاني).
- شرح على المقدمات الأربعة ليوسف القنوي، مجلد واحد، الرقم العام ١٠٩٢، رقم التصنيف ٣٣/ ٢٥١ (شرح المقدمات الأربعة/ حافظ بن إسماعيل القونوي).
- شرح المقدمات الأربعة لقاز ابادي، مجلد واحد، الرقم العام ١٠٧٣، رقم التصنيف ١٤/ ٢٥١: (حاشية الأصول وغاشية الفصول/ أحمد بن محمد القازابادي).

- متن المرقات، مجلد واحد، الرقم العام ١١١٠، رقم التصنيف ٢٥١/٥١: (مرقاة الوصول إلى علم الأصول/ ملا خسرو).
- شرح على خاتمة المجاميع، مجلد واحد، الرقم العام مجموع ٣٩٩، رقم التصنيف ٨٠/١-٢: (شرح على خاتمة المجاميع/ ثلاثة أسئلة وأجوبتها في وقت صلاة العشاء/ محمد عمر الدارند).
- القول الحسن في جوابات القول لمن، لعطاء الله افف (أفندي)، مجلد واحد، الرقم العام ١٥٢٤، رقم التصنيف ٢٥٨/٨١: (القول الحسن في جواب القول لمن/ عطاء الله بن يحيى الشهير بنوعي زاده).
- منتخب التاتارخانية، مجلد واحد، الرقم العام ١٥٢١، رقم التصنيف ٢٥٨/٧٨: (فوائد منتخبة من الفتاوى التارخانية/ علي القاري).
- أدب الأوصيا، مجلد واحد، الرقم العام ١١٢٢، رقم التصنيف ٢٥٤/٦: (أدب الأوصيا في الفروع/ المولوي علي بن أحمد الجمالي).
- عبدالرزاق على المرأة، مجلد واحد، الرقم العام ١١١١، رقم التصنيف ٢٥١/٥٢: (مفتاح الأصول/ عبدالرازق بن مصطفى الأنطاكي).
- أحكام ناطفي، مجلد واحد، الرقم العام ١١٢١، رقم التصنيف ٢٥٤/٥: (أحكام النساء/ الناطفي).

- فتاوى الصيرفية، مجلد واحد، الرقم العام ١٤٩٨، رقم التصنيف ٥٥/٢٥٨: (الفتاوى الصيرفية/ أسعد بن يوسف الصيرفي البخاري).
- اللآلي الدرية على جامع الفصولين لخير الدين الرملي، مجلد واحد، الرقم العام ١٥٢٧، رقم التصنيف ٨٤/٢٥٨: (اللآلئ الدرية في الفوائد الخيرية/ نجم الدين بن خير الدين).
- أبو بكر افف (أفندي) على معدل الصلاة، مجلد واحد، الرقم العام ١٢٦٤، رقم التصنيف ١٤٨/٢٥٤: (شرح معدل الصلاة/ أبو بكر الأرضرومي).
- عرياني على النونية، مجلد واحد، الرقم العام ٦٧٤، رقم التصنيف ١٢٦/٢٤٠: (خير القلائد لشرح جواهر العقائد/ عثمان زاده الكليسي العرياني).
- اقسراي على النونية، مجلد واحد، الرقم العام ٨١١، رقم التصنيف ٢٦٣/٢٤٠: (معراج الدراية في عقيدة خضر بك في العقائد/ علي بن عبدالله الحامد، تحفة المسترشد في بيان مذاهب فرق المسلمين/ علي بن عبدالله الحامد).
- ساجقلي زادة على الخيالي، مجلد واحد، الرقم العام ٦٤٤، رقم التصنيف ٩٦/٢٤٠: (حاشية على الخيالي/ محمد المرعشي الشهير بساجقلي زاده).
- عبدالرحمن على الخيالي، مجلد واحد، الرقم العام ٦٣٣، رقم التصنيف ٨٥/٢٤٠: (حاشية على حاشية الخيالي على شرح السعد على العقائد النسفية/ عبدالرحمن الكردي).

- عبدالرحمن الكردي على الخيالي ورسائل أخر، مجلد واحد، الرقم العام مجموع ٢٣، رقم التصنيف ٨٠/ ١-٤: (رسالة في البسملة/ محمد الأفكرماني (تفسير)، تعليقات على حاشية الخيالي/ عبدالرحمن الكردي (عقائد)، عقد اللآلي في بيان علمه تعالى الغير متناهي/ محمد الأفكرماني (عقائد)، شرح الأرجوزة في علم عقد الأصابع/ محمد الأفكرماني (حساب)).
- وحدة الوجود للكلنبوي، مجلد واحد، الرقم العام ٦٨٧، رقم التصنيف ١٣٩/٢٤٠: (رسالة في وحدة الوجود/ إسماعيل الكلنبوي).
- شرح قصيدة البردة لبعض الأفاضل، مجلد واحد، الرقم العام ١٠٢٣، رقم التصنيف ٢٠/٢٤٣: (شرح البردة/ محمد عصمت الشهير بابن خواجة).
- مصنفك على البردة، مجلد واحد، الرقم العام ١٠٢٢، رقم التصنيف ١٩/ ٢٤٣: (شرح البردة/ علي بن مجد الدين الشهير بمصنفك).
- العصام على البردة، مجلد واحد، الرقم العام ١٠٢١، رقم التصنيف ١٨/٢٤٣: (شرح البردة/ عصام الدين الأسفرائي).
- علي القاري على البردة، مجلد واحد، الرقم العام ١٠١٧، رقم التصنيف ١٤/٢٤٣: (الزبدة في شرح البردة/ علي القارئ).

- الدرة المضيئة على البردة، مجلد واحد، الرقم العام ١٠١٤، رقم التصنيف ٢٤٣/١١: (الدرة المضيئة في شرح الكواكب الدرية/ محمد بن ملا السهراني).
- محمد خجندي على البردة، مجلد واحد، الرقم العام ١٠٢٧، رقم التصنيف ٢٤٣/٢٤: (شرح البردة/ للخجندي).
- عونية على طاشكبري، مجلد واحد، الرقم العام ٢٢٥٥، رقم التصنيف ١٦٢/٩: (الحاشية العونية على الرسالة الطاشكبرية/ محمد بن محمود السيوسي الأدرنوي).
- تقرير القوانين لصاجقلي زادة، مجلد واحد، الرقم العام ٢٢٥٣، رقم التصنيف ١٦٢/٧: (تقرير قوانين المناظرة/ محمد المرعشي الشهير بساجقلي زاده).
- عزي شرحي لخليل افف (أفندي)، مجلد واحد، الرقم العام ٢٤٥١، رقم التصنيف ٤١٤/٢٦: (شرح تصريف العزي/ خليل بن حسن الكماردوري).
- عناية المتقي على كفاية المبتدي، مجلد واحد، الرقم العام ٢٤٧٠، رقم التصنيف ٤١٤/٤٥: (عناية المتبقي في شرح كفاية المبتدئ/ أحمد قوشي اطه لي افندي، رسالة قند نبات/).
- بضاعة المكتفي شرح كفاية المبتدي، مجلد واحد، الرقم العام ٢٤٢٨، رقم التصنيف ٤١٤/٣: (بضاعة المكتفي شرح كفاية المبتدئ/ محمد بن مصطفى البلوي).

- شرح الأبيات للرضي لشرح الشافية، مجلد واحد، الرقم العام ٢٤٤٦، رقم التصنيف ٤١٤/٢١: (شرح شواهد شرفي الشافية وفوائدها لرضي الدين الجاربردي/ عبدالقادر البغدادي) (فهرست تراجم شعراء شواهد الشافية/).
- لمح المسائل على العوامل وسائره، مجلد واحد، الرقم العام مجموع ٤٥٦، رقم التصنيف ٨٠/١-٣: (لمح المسائل النحوية في شرح العوامل البركوية/ حاشية الكلنبوي على شرح الكافية للجالي/ إسماعيل الكلنبوي، حاشية على حاشية العصام/ إسماعيل بن محمد أفندي).
- مجموعة منطق، مجلد واحد، الرقم العام مجموع ٤٢٣، رقم التصنيف ٨٠/١-٨: (التهذيب على رسالة التهذيب/ عبدالله بن فضل الله الخبيصي، حاشية على ديباجة قول أحمد/ عبدالله بن فضل الله الخبيصي، تعليقات على وجهة نظر الفنار/ ملا زين الدين، حاشية الطرسوسي على رسالة الموسوية/ محمد الطرسوسي، حاشية على ديباجة إيساغوجي/ محمد الطرسوسي، حاشية على ديباجة السيلكوتي على التصورات/ عثمان القونوي، حاشية على ديباجة رسالة السعدية على التصورات/ برهان الدين بن كمال الدين بن حميد، تحفة مزجاة إلى طلاب كل زمان/ برهان الدين بن كمال الدين بن حميد).
- ديوركلي على العوامل، مجلد واحد، الرقم العام ٢٤٤٤، رقم التصنيف ٤١٤/١٩: (شرح جسر العلوم (عوامل البركوي)/ محمد بن إبراهيم بن عثمان الدويكي).

- مرتب فوائد الزينية، مجلد واحد، الرقم العام ١٥٣٦، رقم التصنيف ٢٥٨/٩٣: (مرتب الفتاوى الزينية/ حافظ محمد الكدوسي) (معروضات أبي السعود أفندي/).
- شرح البناء لمصلح الدين، مجلد واحد، الرقم العام ٢٤٧٥، رقم التصنيف ٤١٤/٥٠: (فوائد بيان مراح الأرواح/ عبدالرحمن بن محمد، مرشد الفنا شرح أمثلة البناء/ مصلح الدين).
- اطه لي حاشية سي لعلي جلبي، مجلد واحد، الرقم العام ٢٥٤٩، رقم التصنيف ٤١٥/٦٦: (حاشية على نتائج الأفكار شرح إظهار الأسرار/ علي جلبي) .
- بناء شرحي دينكوز، مجلد واحد، الرقم العام ٢٤٥٠، رقم التصنيف ٤١٤/٢٥: (شرح البناء/ دنقور أفندي).
- مصرح على الأمثلة، مجلد واحد، الرقم العام ٢٤٨١، رقم التصنيف ٤١٤/٥٦: (المصرح/).
- متن ولدية، مجلد واحد، الرقم العام مجموع ٤٣٦، رقم التصنيف ٨٠/١-٣: (الرسالة الولدية في المناظرة/ محمد المرعشي الشهير بساجقلي زاده، رسالة في آداب البحث/ محمد المرعشي الشهير بساجقلي، رسالة ملخصة في آداب البحث والمناظرة/ محمد عصمت الجلالي).
- الأنوار المضيئة في بيان أصول الأفعال المجهولة، مجلد واحد، الرقم العام ٤٢٧، رقم التصنيف ٤١٤/٢: (الأنوار المضيئة في بيان أصول الأفعال المجهولة/ حسين بن أحمد زيني زاده).

- تصديقات حاشية سي لحافظ افف (أفندي)، مجلد واحد، الرقم العام ٢١٨٨، رقم التصنيف ١٦٠/٤٢: (حاشية على التصديقات/ الحافظ الكبير المارذني).

- كفوي على الطاشكبري، مجلد واحد، الرقم العام مجموع ٤٣٠، رقم التصنيف ٨٠/١-٣: (تعليقات على شرح الرسالة في علم المناظرة لطاش كبري زاده/ محمد بن الحاج حميد الكفوي، حاشية على رسالة طاش كبري زاده/ لم يعرف بعد، حاشية على طاش كبري زاده/ لم يعرف بعد).

- رسالة سائرة وقياس موسوي، مجلد واحد، الرقم العام ٢٢١٧، رقم التصنيف ١٦٠/٧١: (شرح على الرسالة القياسية لموسى البهلواني/ محمد بن مصطفى الأرضرومي).

- قوش أطه لي على العوامل، مجلد واحد، الرقم العام ٢٤٤٣، رقم التصنيف ٤١٤/١٨: (شرح جسر العلوم (عوامل البركوي)/ محمد بن إبراهيم بن عثمان الدويكي).

- آمدي على الولدية، مجلد واحد، الرقم العام ٢٢٧٨، رقم التصنيف ١٦٢/٣٢: (شرح الرسالة الولدية في علم الآداب/ عمر بن حسين بن علي الأمدي).

- مطارحية على الموسوية، مجلد واحد، الرقم العام ٢٢٤١، رقم التصنيف ١٦٠/٩٦: (المطارحية على الموسوية/ ولي الدين عثمان البركوي)، صح جميع الكتب المذكورة ثمانية وأربعون مجلد".

قائمة بعناوين الكتب المشار إليها في الوقفية مرتبة موضوعياً

أدب البحث والمناظرة:

- الحاشية العونية على الرسالة الطاش كبرية/ محمد بن محمود السيوسي الأدرنوي.
- تقرير قوانين المناظرة/ محمد المرعشي الشهير بساجقلي زاده.
- الرسالة الولدية في المناظرة/ محمد المرعشي الشهير بساجقلي زاده.
- رسالة في آداب البحث/ محمد المرعشي الشهير بساجقلي.
- رسالة ملخصة في آداب البحث والمناظرة/ محمد عصمت الجلالي.
- تعليقات على شرح الرسالة في علم المناظرة لطاش كبري زاده/ محمد بن الحاج حميد الكفوي.
- حاشية على رسالة طاش كوبري زاده/ لم يعرف بعد.
- حاشية على طاش كوبري زاده/ لم يعرف بعد.
- شرح الرسالة الولدية في علم الآداب/ عمر بن حسين بن علي الآمدي.

أصول الفقه:

- حاشية على المقدمات الأربع/ محمد بن عبدالرحمن الرومي.
- حاشية على المقدمات الأربع/ محيي الدين محمد بن إبراهيم بن الخطيب.
- حاشية على المقدمات الأربع/ محمد بن الحاج حسن.
- حاشية على المقدمات الأربع/ علاء الدين الحلبي.
- حاشية على المقدمات الأربع/ محمد الكستلي.
- حاشية على المقدمات الأربع/ مصلح الدين القسطلاني.
- شرح المقدمات الأربعة/ حافظ بن إسماعيل القونوي.
- حاشية الأصول وغاشية الفصول/ أحمد بن محمد القازابادي.
- مرقاة الوصول إلى علم الأصول/ ملا خسرو.
- مفتاح الأصول/ عبدالرازق بن مصطفى الأنطاكي.

التفسير:

- حاشية على تفسير البيضاوي/ صدر الحسيني الشيرازي.
- رسالة في البسملة/ محمد الافكرماني.

الحساب:

شرح الأرجوزة في علم عقد الأصابع/ محمد الأفكرماني.

الصرف:

- شرح تصريف العزي/ خليل بن حسن الكماردوري.
- عناية المتبقي في شرح كفاية المبتدئ/ أحمد قوشي اطه لي أفندي.
- رسالة قند نبات/
- بضاعة المكتفي شرح كفاية المبتدئ/ محمد بن مصطفى البلوي.
- شرح شواهد شرفي الشافية وفوائدها لرضي الدين الجاربردي/ عبدالقادر البغدادي.
- شرح جسر العلوم (عوامل البركوي)/ محمد بن إبراهيم بن عثمان الدويكي.
- فوائد بيان مراح الأرواح/ عبدالرحمن بن محمد.
- مرشد الفنا شرح أمثلة البناء/ مصلح الدين.
- شرح البناء/ دنقور أفندي.
- المصرح/
- الأنوار المضيئة في بيان أصول الأفعال المجهولة/ حسين بن أحمد زيني زاده.

العقائد:

- خير القلائد لشرح جواهر العقائد/ عثمان زاده الكليسي العرياني.

- معراج الدراية في عقيدة خضر بك في العقائد/ علي بن عبدالله الحامد.
- تحفة المسترشد في بيان مذاهب فرق المسلمين/ علي بن عبدالله الحامد.
- حاشية على الخيالي/ محمد المرعشي الشهير بساجقلي زاده.
- حاشية على حاشية الخيالي على شرح السعد على العقائد النسفية/ عبدالرحمن الكردي.
- رسالة في وحدة الوجود/ إسماعيل الكلنبوي.
- تعليقات على حاشية الخيالي/ عبدالرحمن الكردي.
- عقد اللآلي في بيان علمه تعالى الغير متناهي/ محمد الافكرماني.

الفتاوى:

- القول الحسن في جواب القول لمن/ عطاء الله بن يحيى الشهير بنوحي زاده.
- فوائد منتخبة من الفتاوى التارخانية/ علي القاري.
- الفتاوى الصيرفية/ أسعد بن يوسف الصيرفي البخاري.
- اللآلئ الدرية في الفوائد الخيرية/ نجم الدين بن خير الدين.
- مراتب الفتاوى الزينية/ حافظ محمد الكدوسي.
- معروضات أبي السعود.

الفقه الحنفي:

- شرح على خاتمة المجاميع/
- ثلاثة أسئلة وأجوبتها في وقت صلاة العشاء/ محمد عمر الدارند.
- أدب الأوصيا في الفروع/ المولوي علي بن أحمد الجمال.
- أحكام النساء/ الناطفي.
- شرح معدل الصلاة/ أبو بكر الأرضرومي.

الفهارس:

- فهرست تراجم شعراء شواهد الشافية.

المدائح النبوية:

- شرح البردة/ محمد عصمت الشهير بابن خواجة.
- شرح البردة/ علي بن مجد الدين الشهير بمصنفك.
- شرح البردة/ عصام الدين الأسفرائي.
- الزبدة في شرح البردة/ علي القارئ.
- المضيئة في الدرة شرح الكواكب الدرية/ محمد بن ملا السهراني.
- شرح البردة/ محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني (لا للخجندي).

المنطق:

- التهذيب على رسالة التهذيب/ عبدالله بن فضل الله الخبيصي.

- حاشية على ديباجة قول أحمد/ عبدالله بن فضل الله الخبيصي.
- تعليقات على وجهة نظر الفنار/ ملا زين الدين.
- حاشية الطرسوسي على رسالة الموسوية/ محمد الطرسوسي.
- حاشية على ديباجة إيساغوجي/ محمد الطرسوسي.
- حاشية على ديباجة السيلكوتي على التصورات/ عثمان القونوي.
- حاشية على ديباجة رسالة السعدية على التصورات/ برهان الدين بن كمال الدين بن حميد.
- تحفة مزجاة إلى طلاب كل زمان/ برهان الدين بن كمال الدين بن حميد.
- حاشية على التصديقات/ الحافظ الكبير المارذني.
- شرح على الرسالة القياسية لموسى البهلواني/ محمد بن مصطفى الأرضرومي.
- المطارحية على الموسوية/ ولي الدين عثمان البركوي.

النحو:

- لمح المسائل النحوية في شرح العوامل البركوية/.
- حاشية الكلنبوي على شرح الكافية للجالي/ إسماعيل الكلنبوي.

- حاشية على حاشية العصام/ إسماعيل بن محمد أفندي.
- حاشية على نتائج الأفكار شرح إظهار الأسرار/ علي جلبي.
- شرح جسر العلوم (عوامل البركوي)/ أحمد قوشي أطه لي أفندي.

رسالة السيد روسو، قنصل فرنسا العام في حلب إلى السيد جوانان قنصل فرنسا العام في ميمل عن الخيول العربية

ترجمها وقدَّم لها وعلَّق عليها: أ. د. محمد خير محمود البقاعي

قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

مقدمة المترجم:

نتابع في هذه الترجمة نشر تراث آل روسو، وعلى وجه الخصوص جان باتيست روسو (١١٩٤-١٢٤٧هـ/ ١٧٨٠-١٨٣١م) الذي يلقب بجوزيف، فننشر رسالته إلى قنصل فرنسا العام في ميمل[١] Memel السيد جوانان[٢] M. Jouannin عن

---

(١) ميمل: ميناء قديم على بحر البلطيق، أنشأه فرسان التيونيك الألمان عام ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م. وأطلق عليه عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م اسم كاليبيدا Kalaipeda. وهو اليوم ضمن جمهورية ليتوانيا. انظر: معجم لاروس، مج١٢، ص٥١٩٢. Larousse, T.12, P.5192. [المترجم].

(٢) جوزيف - ماري جوانان Joseph-Marie Jouannin، ولد في منطقة سان-بريوك St-Brieuc عام١١٩٧هـ/١٧٨٣م وتوفي في باريس عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م، مستشرق ودبلوماسي فرنسي، عمل سكرتيرًا أولا ومترجمًا للملك في اللغات الشرقية، وكان من أفراد بعثة غاردان إلى بلاد فارس، ومارس العمل الدبلوماسي في فينًا. من أعماله كتاب بعنوان: تركيا بالاشتراك مع جول فان غافر Jules Van Gaver نشر في باريس عام ١٨٤٠م. وترجم أشعارًا فارسية، وأسهم في إتمام معجم الأكاديمية الفرنسية (المجمع الفرنسي) الذي نشرته دار الإخوة =

الخيول العربية؛ وهي رسالة نشرت في مجلة "مناجم الشرق" Les mines de l'orient التي نشرها هامر M. Hammer في فينا منذ ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)، مج٣، ١٨١٣م، ص ٦٥-٦٩.

ونشر روسو في المجلة نفسها البحوث الآتية:

١ - وصف ولاية حلب، أو تذكرة إحصائية تضم معلومات دقيقة عن الحالة القديمة والحديثة لهذه المدينة، حدودها، وملحقاتها الحالية، سكانها، حكومتها وتجارتها، مج ٤، ١٨١٤م (١٢٢٩هـ)، ص ١-٩٣.

٢ - نبذة عن الوهابيين[٣]، مج١، ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)، ص١٩١-١٩٨.

٣ - قائمة بالبلاد التابعة للأمير سعود، الأمير الحالي للوهابيين، وبالقبائل الرئيسة الخاضعة لنفوذه، وبشيوخ تلك القبائل التابعين له في مختلف الأقاليم والمدن الخاضعة له. يتلوها نبذة قصيرة تخص الأمير سعودًا وعاصمته كتبناها في حلب نقلاً عن إمام مسجده الخاص. مج٢، ١٨١١م (١٢٢٦هـ) ص١٥٥-١٦٠.

= ديدو Didot في باريس بين ١٨٢٣-١٨٤٧م. أقام في إستانبول بين عامي ١٨٠٣-١٨١٠م، و ١٨١٧-١٨٢٦م. وكان عضوًا في الجمعية الجغرافية في باريس. انظر:

Nouvelle Biographie Générale, depuis les temps les plus reculés Jusqu'à nos jours, publiée par MM. Firmin Didot frères, Paris, 1852.

السيرة العامة الجديدة من أقدم العصور حتى عام ١٨٥٢م، باريس، ١٨٥٢م. [المترجم].

(٣) الوهابية ليست عقيدة أو مذهبًا كما قد يظن بعض الكُتَّاب، وإنما هي دعوة للعودة إلى الدين الصحيح كما ورد في الكتاب والسنة. [المترجم].

وقـد اسـتل روسـو من مـذكـراته اليـومـيـة نبـذته عن [الوهابيين] وأرسلهـا بصـفـة تقـارير إلى وزارة الخـارجيـة الفـرنسيـة (مذكرات ووثائق: تركيا ١٢٢٣-١٢٣٤هـ/ ١٨٠٨-١٨١٩م). وظهـرت هذه النبـذة في عـام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ) في ذيل كـتـابه: وصـف ولاية بغـداد(٤) الذي نشـره في باريس سلفيستر دو ساسي عام ١٨٠٩م.

عَدَّل روسو تلك النبذة تعديلاً جذريًا، ونشـر تعديلاته في مجلة "مناجم الشرق" كما هو موضح أعلاه، ثم ضـمنها في كـتـابه: التـذكرة في ثلاث طوائف مـشـهـورة في الإسـلام: الوهابيين والنصـيريين والإسـماعيليين(٥)، باريس - مرسيليا ١٨١٨م (١٢٣٣هـ).

وقـد رأيت من تمام الأمـر أن أنشـر بـين يدي رسـالة روسـو عن الخـيـول العـربيـة سـيـرة آل روسـو التـي كـتـبـهـا لويس

---

(٤) ترجمنا هذا الكتاب بتكليف من دارة الملك عبدالعزيز وتشجيع من معالي أمينها العام معالي الدكتور/ فهد بن عبدالله السماري، وهو قيد النشر.

(٥) العنوان الفرنسي:
Mémoire sur les trois plus fameuse sectes du Musulmanisme, les Wahabis, les Nosairis et les Ismaélis, par M. R***, Correspondant de l'Institut Royal et Associé de l' Académie des Science, Belles-Lettres et Arts de Marseille, A Paris chez A. Nepveu, Libraire, passage des Panoramas N.o 26. Et à Marseille Chez MASVERT, libraire, sur le Port,1818.

وانظر عن هذا الكتاب بحثنا: (من هو مؤلف كتاب "كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب"؟)، مجلة الدارة، ع٣، السنة الثالثة والثلاثون ١٤٢٨هـ، ص١٣٣-١٥٣.

بوانسو Louis poinssot في مقدمة كتاب جان باتيست لويس جاك روسو "رحلة من بغداد إلى حلب ١٨٠٨م"[٦] لتكون مقدمة لهذه الرسالة القصيرة التي ورد ذكرها ضمن مؤلفات روسو، وظنها بعضهم كتابًا عن الخيل العربية فوصفوها وصفًا مبهمًا[٧].

---

(٦) العنوان الفرنسي:

J.-B. Louis Jacques Rousseau, Voyage de Bagdad a Alep 1808, publié d'après le manusecrit inédit de l'auteur, par Louis poinssot, J. André Éditeur, Paris, 1899.

وقد سبق للباحث أن نشر في مجلة "الدرعية" السنة التاسعة، العدد ٣٣، ربيع الأول ١٤٢٧هـ/ إبريل ٢٠٠٦م، ص١٤٣-١٧٣ بحثًا بعنوان: آل روسو وصفحات مطوية من تاريخ المخطوطات العربية. قدم له بمقدمة عن آل روسو مقتبسة من مصادر عدة لم يكن بينها ما كتبه لويس بوانسو. ولما كان ما كتبه بوانسو يقدم معلومات لم ترد في المصادر التي نشرناها من قبل رأينا فائدة في نشرها مع هذه الرسالة. [المترجم].

(٧) من هؤلاء نجيب العقيقي في كتابه: "المستشرقون" الذي ترجم لروسو ترجمة مختصرة إذ قال في ج١، ص١٧٦: روسو (١٧٨٦-١٨٣١م/ ١٢٠٠-١٢٤٧هـ) من قناصل فرنسا في المشرق. آثاره: رحلة من بغداد إلى حلب (باريس ١٨٠٨م) وشؤون الوهابيين (١٨١٨م) والخيول العربية. وفي هذا تعميم مضلل واختصار مخل. إذ المقصود هنا روسو الابن، وهو جان باتيست-لويس-جاك روسو Jean-Baptiste-Louis-Jacques Rousseau الذي ولد في مدينة "أوكسير" في ١٠ ديسمبر ١٧٨٠م (١٤ ذي الحجة ١١٩٤هـ)، وتوفي في طرابلس الغرب ١٨٣١م (١٢٤٧هـ). أما والده جان فرانسوا كزافييه روسو Jean-François-Xavier Rousseau، دبلوماسي فرنسي، ولد في أصفهان في ١٦ أكتوبر ١٧٣٨م (٣ رجب ١١٥١هـ) وتوفي في بغداد في ١٢ مايو ١٨٠٨م (١٧ ربيع الأول ١٢٢٣هـ). وليس لروسو الابن كتاب عن شؤون الوهابيين، وإنما هي رسالة ملحقة بكتابه "وصف ولاية بغداد". أما عن الخيل فليس له كتاب، وإنما هي الرسالة الصغيرة التي ننشرها هنا ولا تتجاوز الصفحات الثلاث.

وتتبع أهمية الرسالة من أنها تكشف عن حركة الانتقال بين الجزيرة العربية والبادية الشامية التي كانت مجال تنقل قوافل العقيلات، وعرب قبيلة عنزة، كما تكشف عن جانب من جوانب النشاط العسكري للدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود (١٢١٨-١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣-١٨١٤م) رحمهم الله أجمعين. والرسالة تكشف أيضًا عن وجه من وجوه اشتغال القناصل والمبعوثين الغربيين بتجارة الخيل العربية واهتمامهم بأنسابها وسلالاتها وأماكن وجودها وأسعارها، وحفظت لنا نسخة مما يسمى "حجة حصان" يُثْبَتُ فيها نسبه واسمٍ أمه وأبيه، ويشهد على ذلك شهود شهدوا ولادته نجيبًا أصيلا.

وكل ما أرجوه أن تكون هذه الرسالة إسهامًا في نشر تراث آل روسو، وخدمة لتاريخ الخيل العربية وأنسابها.

علقت في الترجمة على كل ما ظننت أن به خفاء على القارئ العربي، وميزت تعاليقي بكلمة المترجم بين معقوفتين [المترجم]، وحرصت على سهولة العبارة ووضوحها، ولعلي أفلحت في ذلك. والله من وراء القصد.

١ - ترجمة آل روسو كما وردت في مقدمة كتاب: جان باتيست لويس جاك روسو (١٧٨٠-١٨٣١م) "رحلة من بغداد إلى حلب ١٨٠٨م":

يقول لويس بوانسو Louis Poinssot عضو الجمعية الجغرافية في باريس في مقدمة رحلة جان باتيست لويس جاك روسو التي نشرها في باريس، ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، بعنوان "رحلة من بغداد إلى حلب ١٨٠٨م" ص٧: "لنتحدث بإيجاز عن أصل أسرة روسو، التي أدت لفرنسا خدمات جليلة في الشرق، تلك الأسرة التي كانت بولائها لفرنسا، وبشجاعة أفرادها، وبمعارفهم فخرَ سلكنا الدبلوماسي.

تنحدر الأسرة من أنطوان روسو Antoine Rousseau الذي كان في بداية حياته صاحب مكتبة في باريس بداية القرن السادس عشر. ولما اعتنق ولده ديدييه Didier البروتستانتية اضطر إلى اللجوء إلى جنيف حيث عمل بائع كتب حتى موته نحو ١٥٧٠م (٩٧٧هـ). وكان حفيد ديدييه جاك روسو Jacques Rousseau جد مؤلفنا - وهو أيضًا عمُّ جان جاك روسو، فيلسوف جنيف[٨] - كان بائع مجوهرات، وعاد إلى فرنسا لممارسة مهنته. ولكن ولعه بالأسفار والمغامرات أغراه بتتبع السفارة التي أرسلها لويس الرابع عشر (١٠٥٢-١١٢٧هـ/ ١٦٤٣-١٧١٥م) إلى شاه بلاد فارس حسين[٩] عام ١٧٠٥م (١١١٦هـ).

---

(٨) الأديب والفيلسوف الفرنسي المعروف Jean-Jacques Rousseau (١١٢٤-١١٩٢هـ/ ١٧١٢-١٧٧٨م). وروسو، الأب والابن، تربطهما علاقة قربى بالفيلسوف المذكور.

(٩) الشاه سلطان حسين بن الشاه سليمان، أحد ملوك الصفويين حكم إيران بين عامي ١٦٩٣-١٧٢٢م (١١٠٥-١١٣٥هـ).

أسندت قيادة تلك المهمة إلى فابر[١٠] Fabre من مدينة مرسيليا، وأخذ معه مغامرة اسمها ماري بُتي Marie Petit، وقد قام مؤخرًا السيد مولد دو لا كلافيير M. Maulde de la Clavière بسرد الرحلة المثيرة لتلك البعثة في كتاب طريف[١١].

ظل جاك روسو - بعد إخفاقه - في بلاد فارس فأصبح كبير جواهرجيي العرش؛ وتزوج عام ١٧٣٧م (١١٤٩هـ) رُنيه ليتوال Renée L'Estoile ابنة أحد تجار مدينة ليون المولودة في أصفهان. وتوفي روسو في عام ١٧٥٨م (١١٧١هـ) عن عمر يناهز الرابعة والسبعين، وترك وراءه ولدًا وحيدًا هو: جان فرانسوا كزافييه روسو Jean-Francois-Xavier Rousseau الذي رباه تربية كاثوليكية على أنه كان هو نفسه بروتستانتيًا[١٢].

---

(١٠) جان باتيست فابر Jean Baptiste Fabre تاجر فرنسي من مرسيليا، أقام مدة طويلة في إستانبول، وفي عام ١٧٠٥م (١١١٧هـ) قرر لويس الرابع عشر إرساله في بعثة إلى بلاد فارس ومنحه لقب سفير فوق العادة. وعادت البعثة في عام ١٧١٤م. وانظر قصته مع ماري بُتي الوارد ذكرها بعد قليل في كتاب إيراج أميني Iraj Amini نابليون وبلاد فارس، العلاقات الفرنسية الفارسية إبان الإمبراطورية الأولى، ١٩٩٩م.

Napoleon and Persia, Franco-Persian Relations Under the First Empire,1999. [المترجم]

(١١) ر. دو مولد دولا كلافيير، ألف ليلة وليلة في سيرة سفيرة لويس الرابع عشر. هاشيت، ١٨٩٦م.

R. de Maulde de la Clavière, Les mille et une nuits d'une Ambassadrice de Louis XIV, Hachette, 1896.

(١٢) قال المؤرخ الفرنسي "جوزيف فرانسوا ميشو" في كتابه "التراجم الكونية" عن هذه الأسرة: "أما والده جاك روسو Jacques Rousseau، من أقرباء فيلسوف جنيف (يقصد جان جاك روسو)، فقد وُلد =

ولجأ كزافييه روسو بعد موت والده إلى مدينة بندر عباس[١٣] وأجرى صفقات تجارية رابحة عوضت عليه ثروته التي فقدها، ثم انتقل إلى البصرة ليكون في خدمة فرنسا، وأصبح هناك نائب رئيس مكتب شركة الهند[١٤]، ومن عام ١٧٦٢م (١١٧٥هـ) إلى عام ١٧٧٠م (١١٨٣هـ) كلفته الحكومة الفرنسية بعدد من المهمات التجارية والسياسية فأنجزها بنجاح. وفي عام ١٧٧٢م (١١٨٥هـ)، كُلف مؤقتًا بإدارة القنصلية في بغداد والبصرة، وتزوج هناك آن-ماري ساهيد Anne-Marie Sahid، ابنة أحد قدماء المترجمين الذين كانوا يعملون لدى الهولنديين، ولمَّا استولت القوات الفارسية

= في أصفهان، وانتقل إلى فرنسا في عام ١٧٠٣م (١١١٥هـ) ليعمل في بيع المجوهرات. وفي عام ١٧٠٥م (١١١٧هـ)، رافق السفير الذي أرسله "لويس الرابع عشر" إلى آسيا ليكون سفيرًا لدى الشاه "حسين"، ملك فارس، وعاش كل المضايقات والمغامرات التي عانت منها تلك البعثة الدبلوماسية. ولم يصل جاك روسو إلى أصفهان إلا في عام ١٧٠٨م (١١٢٠هـ). ولما عُيِّن أولاً جواهرجي ملك فارس، ثم أصبح كبير جواهرجيي العرش الفارسي، اكتسب حظوة كبيرة لدى العاهل الفارسي المذكور، وحافظ على مهنته في عهود كل الأمراء الذين تتابعوا في خضم الثورة التي شهدتها تلك البلاد قبل وبعد أن يغتصب الحكم "نادر شاه" المشهور. وقد كُلف بصفته كبير جواهرجيي العرش بتقييم الكنوز، وبصقل الجواهر التي غنمها "نادر شاه" من الهند وتنسيقها. وفي عام ١٧٣٧م (١٢٥٠هـ) تزوج "رُينه دو ليتوال" Reinée de l' Estoile، ابنة أحد التجار من أصل ليوني، ولدت في أصفهان. ولم يرزق منها إلا بولد واحد، هو الذي نترجم له هنا. وانظر بحثنا: آل روسو وصفحات مطوية من تاريخ المخطوطات العربية، "الدرعية"، م.س، ص١٤٣-١٧٣. [المترجم].

(١٣) مدينة فارسية على الخليج العربي. [المترجم].

(١٤) يقصد فرع شركة الهند الفرنسية في البصرة. [المترجم].

على البصرة في عام ١٧٧٦م (١١٨٩هـ) عاد إلى فرنسا ليطالب بمستحقاته، وبتعويض عن الخسائر التي حلت به.

كان هو وزوجته يرتديان خلال سفرهما الزي الشرقي، ووضعت زوجته في عام ١٧٨٠م (١١٩٤هـ) في مستشفى أوكسير[١٥] Auxerre غلامًا هو مؤلفنا الذي نتحدث عنه.

وقد حظي ظهوره في البلاط الملكي باهتمامٍ الفضوليين، وكان حدثًا مشهودًا. وتلقى مع أمر تعيينه قنصلاً لفرنسا في البصرة تكريمًا قدره (١٠٠) ألف فرنك، وعاد إلى بغداد فوصل إليها عام ١٧٨٢م (١١٩٦هـ)، ومنها إلى البصرة عام ١٧٨٤م (١١٩٨هـ)، وكان يقيم في بغداد تارة، وفي البصرة تارة أخرى. وفي عام ١٧٩٦م (١٢١٠هـ) عينه مجلس إدارة حكومة المديرين[١٦] قنصلاً عامًا في البصرة. وفي عام ١٧٩٨م (١٢١٢هـ) عرَّضَتْه الحملة الفرنسية على مصر[١٧] لغضب الأتراك، فاعتقل، وقُيِّد بالسلاسل، وحمل إلى سجن ماردين[١٨]. ورفض أن يشتري حريته بالتخلي عن جنسية

(١٥) مدينة تقع جنوب شرق باريس، تبعد عنها ١٧٠كم، معجم لا روس (بالفرنسية) ٢/ ٧٤٨ Larousse, T. 2, P.748. [المترجم].

(١٦) حكومة تشكلت في فرنسا بعد الثورة من خمسة أعضاء يختارهم مجلس الشيوخ المكون من ٥٢٠ عضوًا لمدة خمس سنوات. [المترجم].

(١٧) حملة نابليون بونابرت. وقد كتب هنري دوهيران في مجلة سورية ١٩٢٢م (١٣٤٠هـ)، ص٣٣٨-٣٤٩ بحثًا بعنوان: "المآسي التي تعرض لها فرنسيو حلب في أثناء الحملة الفرنسية على مصر" فذكر أن كل الفرنسيين المقيمين في تركيا اعتقلوا في سبتمبر، وأكتوبر ١٧٩٨م (ربيع الآخر وجمادى الأولى ١٢١٣هـ). وتعرض جان فرانسوا روسو لمصير الآخرين نفسه، إذ اعتقل في بغداد، ونقل إلى ماردين حيث ظل سجينًا أحد عشر شهرًا. [المترجم].

(١٨) مدينة تركية قرب الحدود السورية. [المترجم].

بلده الأصلي، ويعلن نفسه مواطنًا فارسيًا، ومكث في السجن هناك أحد عشر شهرًا حتى أفلح صديقه الباشا سليمان[١٩] في إطلاق سراحه.

وقد عينته حكومة القناصل[٢٠] في عام ١٨٠٣م (١٢١٧هـ) وكيلاً دبلوماسيًا وتجاريًا في بغداد، وكُلِّف في العام التالي ببدء الاتصالات مع حكومة فارس لتجديد التحالف القديم بينها وبين فرنسا، والتوطئة في البلاط الفارسي لبعثة م. جوبير[٢١] M. Jaubert والجنرال روميو[٢٢] Romieu. وعين

---

(١٩) يقصد سليمان آغا الذي كان متسلم البصرة وأسر عند احتلالها، ثم أطلق سراحه وأصبح باشا بغداد. ولقِّب بالكبير تمييزًا له من ابن أخت علي باشا الذي سمي بالصغير أو القتيل. انظر كتاب: وصف ولاية بغداد لروسو. [المترجم].

(٢٠) تلت حكومة المديرين، وتألفت من ثلاثة قناصل أحدهم نابليون، وقد انفردوا بكتابة الدستور وحكم فرنسا. [المترجم].

(٢١) جوبير، اسمه بيير أميدي إميليان بروب جوبير Pierre-Amédée-Emilien-Probe Jaubert، مستشرق فرنسي ولد عام ١٧٧٩م (١١٩٣هـ)، ومات عام ١٨٤٧م/١٢٦٣هـ، من تلامذة سلفستر دوساسي، اشترك في حملة نابليون على مصر، ثم أصبح أستاذًا للغة التركية، وأرسل في عام ١٨٠٥م (١٢٢٠هـ) إلى بلاد فارس لمناقشة اتفاقية تحالف مع الشاه، ولكنه أوقف في الطريق وتعرض للسجن أربعة أشهر، له من الكتب رحلة إلى أمريكا وبلاد فارس بين ١٨٠٥-١٨٠٨م، مبادئ قواعد اللغة التركية، ١٨٢٨-١٨٣٤م، جغرافية الإدريسي، ترجمة من العربية إلى الفرنسية (١٨٣٦-١٨٤٠م). انظر معجم لاروس القرن العشرين، مج٤، ص١٦٠ (Larousse, T.,4 P.160). وانظر بحثًا بعنوان: Gardane Mission على موقع Iranica.com. [المترجم].

(٢٢) روميو، ورد ذكره ضمن بعثة جوبير، ولم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر. انظر بحثًا بعنوان: Gardane Mission على موقع Iranica.com. [المترجم].

ولده قنصلاً في البصرة (في الثامن والعشرين من ذي القعدة ١٢١٩هـ، الموافق السابع والعشرين من فبراير ١٨٠٥م)، وألحق ببعثة جوبير ورميو. وفي هذه المدة كتب "رحلة من حلب إلى الموصل عبر الجزيرة"؛ وهي رحلة بدأت في ١٠ إبريل ١٨٠٧م (٢ صفر ١٢٢٢هـ)، وانتهت في مايو (ربيع الأول) من السنة نفسها. وأصبح في (٧ ربيع الأول ١٢٢٢هـ/ ١٤ مايو ١٨٠٧م) سكرتيرًا للملحقية الفرنسية في طهران، وكتب كعادته "رحلة إلى فارس عبر بغداد"[٢٣]. وفي سنة ١٨١٣م (١٢٢٨هـ) نشرت المجلة الموسوعية (مج٢) قطعة من وصف كرمنشاه[٢٤] وطاق بستان[٢٥] (من ٤-٦ شعبان ١٢٢٢هـ/ ٦-٨ أكتوبر ١٨٠٧م)[٢٦].

---

(٢٣) ظهرت قطعة من هذه الرحلة في مجلة الأسفار (مج١٤، ص٢٧٣؛ الإصدار الخمسون، ديسمبر ١٨٢٢م).

(٢٤) مدينة فارسية، عاصمة ومحافظة تحملان الاسم نفسه في شرق إيران وجنوب شرقها. تسكنها غالبية كردية مسلمة.[المترجم].

(٢٥) قرية في غرب إيران شمال مدينة كرمنشاه معروفة بتماثيل منحوتة في الصخر من عصر الساسانيين تعد من أجمل ما أنتجه الفن الفارسي.[المترجم].

(٢٦) بعنوان قطعة من رحلة إلى بلاد فارس عبر بغداد، مستلة من المجلة الموسوعية، عدد إبريل ١٨١٣م (ذي الحجة ١٢٢٨هـ). ٢٣ صفحة. ولدي صورة منها. بدأت في ٦ أكتوبر ١٨٠٧م (٤ رجب ١٢٢٢هـ) بالحديث عن كرمنشاه. وقال الناشر: إن القطعة التي ينشرونها أرسلها إليهم البارون سلفيستر دو ساسي. وكان يمكن أن تكون أكثر طولاً ولكننا رأينا الاقتصار على نشر ما يتعلق بأوابد كرمنشاه. وقد كانت تلك الأوابد موضوعًا لتذكرتين للسيد سلفستر دو ساسي. نجد الأولى في تذكرته عن أوابد مختلفة في بلاد فارس المنشورة عام ١٧٩٣م (١٢٠٨هـ)، والثانية ألقيت في شعبة التاريخ والأدب القديم من المعهد، ونشرت في المجلد الثاني من تذكرة تلك الشعبة التي لن يتأخر صدورها.[المترجم]

وفي عام ١٨٠٨م (١٢٢٣هـ) أرسل مؤلفنا إلى الحكومة الفرنسية "مخططًا لعبور القوات الفرنسية عبر تركيا وبلاد فارس [لمهاجمة بريطانيا في الهند](٢٧) مع ملاحظات حول الأماكن والسكان؛ قُدِّم ذلك المخطط إلى الجنرال السفير غاردان(٢٨) Gardanne". وما زالت مخطوطته موجودة اليوم في أرشيفات وزارة الخارجية الفرنسية (وثائق بلاد فارس ١٨٠٦-١٨٢٩، رسالة مؤرخة في ١٨ يناير ١٨٠٨م (٢٠ ذي القعدة ١٢٢٢هـ)، ومكتوبة على ورق أزرق)(٢٩).

---

(٢٧) إضافة توضيحية من المترجم.

(٢٨) قاد البعثة التي أرسلها نابليون إلى بلاد فارس لمساعدة فتح علي شاه في حربه مع روسيا، ولتمهيد الطريق لهجوم محتمل على الهند البريطانية عبر فارس، ووصلت البعثة إلى طهران في ٤ ديسمبر ١٨٠٧م (٤ شوال ١٢٢٢هـ)، وكان من أعضائها القنصل جوزيف روسو، وضابط المدفعية جان ريمون. وقد كتب روسو قصة رحلته هذه وطبعت في باريس عام ١٨٩٩م. [وغاردان هو كلود ماتيو دو غاردان Claude-Mathieu-De Gardane، ضابط ودبلوماسي فرنسي ولد في مرسيليا عام ١٧٦٦م (١١٨٠هـ) ومات عام ١٨١٨م (١٢٣٤هـ)، وكانت بعثته إلى فارس عام ١٨٠٧م (١٢٢٢هـ) للحصول على تحالف الشاه ضد البريطانيين. لاروس القرن العشرين، ٣/ ٧١٠ Larousse, T. 3, P.710. انظر بحثًا بعنوان: Gardane Mission (بعثة غاردان)، منشورًا على موقع http://www.iranica.com.المترجم].

(٢٩) انظر كتاب: نجديون وراء الحدود، "العقيلات" ودورهم في علاقة نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق والشام ومصر (١٧٥٠-١٩٥٠م) لعبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، دار الساقي ١٩٩١م، ص١٥. وقد أخطأ في كتابة اسم روسو فكتبه: تارنس بارون روسو المولود في عام ١٧٧٣م (١١٩٧هـ) (الصواب ١٧٨٠م/ ١١٩٤هـ) ابن جاك روسو الذي عمل في مناطق الشرق المختلفة بالسياسة والتجارة حتى تعين في عام ١٨٠٣م (١٢١٨هـ) وكيلاً لفرنسا في بغداد، وفي الوقت نفسه (الصواب ١٨٠٥م/ ١٢٢٠هـ) تعين ابنه الذي استعنا بتقريره قنصلاً لفرنسا في البصرة. كتب روسو تقريره استجابة لطلب بونابرت وقدم =

يثبت هذا المخطط أن نابليون فكر في "مهاجمة بريطانيا في إمبراطوريتها الآسيوية" في وقت يسبق بزمن طويل الرسالة الشهيرة المؤرخة في ٢ فبراير ١٨٠٨م (٥ ذي الحجة ١٢٢٢هـ)، التي يعرض فيها على القيصر الروسي ألكسندر غزو الهند "بجيش مكون من خمسين ألف جندي، روس وفرنسيين، وربما بعض النمساويين". وقد عطلت حروب البرتغال وإسبانيا تنفيذ هذا المخطط الضخم الذي ينبغي الاعتراف بأنه لم يلق الحماسة اللازمة في سان بطرسبورغ.

لقد رأى القيصر، ولم يكن مخطئًا، في ذلك المخطط وسيلة مخترعة لتأخير اقتسام الإمبراطورية العثمانية، واستيلاء الجيش الروسي على المناطق الدانوبية(٣٠).

فجأة أنهى الجنرال غاردان مهمته، وقد أحبطته مرارة الخيبة بسبب التغيير في سياسة نابليون. وغادر طهران وعاد إلى فرنسا دون أن يتلقى الأمر بذلك. ولم يبق جان باتيست

= في عام ١٨٠٨م (١٢٢٣هـ) إلى الجنرال غاردان موضحًا به دروب المنطقة ومساراتها لتتمكن الجيوش الفرنسية من الاستعانة بها في زحفها المخطط له عبر الأراضي العثمانية. وقد رأينا مؤلف الكتاب يقتبس في عدد من المواضع (انظر على سبيل المثال الفصل الرابع، ص١٤٤) ينقل عما يسميه روسو، عربستان - سياحتي (انظر ص١٥٢). ولعل هذا عنوان التقرير.[المترجم].

(٣٠) بخصوص مخططات نابليون في آسيا نتذكر البعثة التي أُسندت بعد ذلك إلى السيد لاسكاريس، وهي البعثة التي سرد حكايتها لا مارتين سردًا مأساويًا في رحلته إلى الشرق بعنوان "حكاية فتح الصايغ". ونستطيع الاستنتاج من ذلك أن هذه المخططات شغلت باله زمنًا طويلًا أيضًا. [وكلفت دارة الملك عبدالعزيز الدكتور عبدالله العسكر وكاتب هذه السطور بإعداد طبعة جديدة من حكاية فتح الله الصايغ الحلبي وإعداد دراسة عن لاسكاريس هي قيد الإنجاز.المترجم].

روسو في فارس بعد مغادرة السفير إلا زمنًا قصيرًا. وفي ١٢ مايو ١٨٠٨م (١٧ ربيع الأول ١٢٢٣هـ) توفي والده اكزافييه روسو في حلب، ولكي يلتحق بأمه بدأ الرحلة التي ننشر قسمًا منها وهو مذكراته اليومية (من ٣ رمضان - ٦ ذي القعدة ١٢٢٣هـ/ ٢٢ أكتوبر - ٢٣ ديسمبر ١٨٠٨م)[٣١].

عُيِّن جان باتيست روسو في التاسع والعشرين من أكتوبر (العاشر من رمضان) من السنة نفسها قنصلاً عامًا مكان والده، وقد ظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ) عندما استُدعي بالوظيفة نفسها إلى قنصلية بغداد.

وفي هذه المدة أظهر كتابه "نبذة عن فارس القديمة والحديثة، يتلوها عدد من القوائم المتعلقة بجغرافية تلك الإمبراطورية وأحداثها التاريخية" (مارسيليا، ١٨١٨م)، كما أصدر كتابه "أمشاج في التاريخ والأدب الشرقي" (باريس ١٨١٧م)[٣٢].

---

(٣١) واستل روسو من مذكراته اليومية هذه "نبذته عن الوهابيين" التي ما زالت مخطوطتها محفوظة في أرشيفات وزارة الخارجية الفرنسية (مذكرات ووثائق. تركيا ١٨٠٨-١٨١٩م). وظهرت في عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ) في ذيل كتابه "وصف ولاية بغداد" كما أدرجها من جديد بعد أن عدلها تعديلاً جذرياً في كتابه "التذكرة في ثلاث طوائف مشهورة في الإسلام: الوهابيون، والنصيريون والإسماعيليون، باريس-مرسيليا، ١٨١٨م.

(٣٢) ذكره جوزيف - ماري كيرار Joseph-Marie Quérard في كتابه "فرنسا الأدبية أو معجم العلماء والمؤرخين والأدباء في فرنسا"، المجلد ٨.[المترجم].

La France littré ou dictionnaire bibliographique des savants, historiens et gen de littres de la France.

ولم نجد أثرًا لهذا الكتاب في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس ولا في غيرها من المكتبات الفرنسية وغيرها.[المترجم].

والقسم الأساسي(٣٣) في هذا الكتاب الأخير هو القسم المعنون: وصف ولاية حلب، وهو قسم يعد على وجه من الوجوه تتمة للرحلة التي ننشرها، وقد سبق لهذا القسم أنْ نُشِر في مجلة "مناجم الشرق" (التي نشرها هامر M. Hammer في فينا)(٣٤). ثم أصدر بعد ذلك خريطة بلاد آسيا الصغرى التي سبق له وصفها(٣٥).

في الخامس عشر من ديسمبر ١٨٢٤م (٢٤ ربيع الآخر ١٢٤٠هـ) عُيِّن جان-باتيست-لويس-جاك روسو قنصلاً عامًا وقائمًا بالأعمال لدى حكومة الحماية في طرابلس الغرب. وفي عام ١٨٢٦م (١٢٤٢هـ)، وبعد نقاش حاد مع الباي غادر

---

(٣٣) كما يذكر ذلك جوزيف - ماري كيرار في كتابه المذكور أعلاه، وتقع القطعة المشار إليها في العدد الثالث من مجلة "مناجم الشرق"، ١٨١٣م (١٢٢٨هـ) التي أصدرها هامر في فينا ص٦٥-٦٩. [المترجم].

(٣٤) وقد أشار بوركهارت في كتابه: ملاحظات عن البدو والوهابيين، ترجمة غاندي المهتار، نشر مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٦١ إلى رسالتين لروسو عن الوهابيين، وجاء في حاشية الصفحة أن الرسالة الأولى "وصف ولاية بغداد" والأخرى "مناجم الشرق؟". قلت: وفي الكلام تعميم كبير وخطأ في الترجمة: فوصف ولاية بغداد مذيل بنبذة عن الوهابيين، و"مناجم الشرق" مجلة نشرها هامر M. Hammer في فينا، اسمها: Les mines de l 'orient، نشر روسو فيها بحثين عن الوهابيين عدل فيهما ما كان نشره من قبل سلفيستر دو ساسي في ذيل كتاب روسو وصف ولاية بغداد، ١٨٠٩م؛ كما نشر فيها بحثه وصف ولاية حلب، وقد ظهر وصف ولاية حلب بعد ذلك في كتاب روسو، أمشاج في التاريخ والأدب الشرقي، باريس، ١٨١٧م.
Mélanges d'histoire et de littérature orientale, Paris, 1817. [المترجم].

(٣٥) "خريطة الشام (سورية) أو الجزيرة (بلاد الرافدين) والعراق العربي (بابل). تحتوي على الولايات الثلاث: حلب، والرها أو أورفا، وبغداد" نشرتها الجمعية الجغرافية في عام ١٨٢٥م (١٢٤١هـ).

العاصمة واعتكف على ظهر بارجة فرنسية كانت ترسو في ميناء المدينة فخاف الباي واستجاب لإرادته(٣٦).

وفي نهاية عام ١٨٢٧م (١٢٤٣هـ) انتشرت شائعة موته في فرنسا، بل قرئت ترجمته في الجمعية الجغرافية، وعين الملك خليفة له هو السيد ميشان Méchain قنصل فرنسا في قبرص. وقد حدثت هنا حادثة كانت في واقع الأمر غريبة كل الغرابة؛ إذ توجه السيد فاتييه دو بوفيل Vattier de Bouville المكلف بإدارة القنصلية مؤقتًا إلى طرابلس الغرب، بيد أنه لما وجد روسو حيًا يرزق رأى أن من واجبه أن ينفذ الأوامر التي تلقاها تنفيذًا حرفيًا، فاستقر في القنصلية بالقوة، ولم يخرج منها إلا بأمر صريح من الوزير الذي أزالت شكوكه رسائل روسو وتأكيدات الباي.

---

(٣٦) جاء في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي تأليف د. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م، ٦/٤٩٣: وتذكر المصادر الفرنسية أن خلافًا حدث بين طرابلس وفرنسا بمناسبة حفل عيد شارل العاشر ملك فرنسا. فاشترط القنصل - واسمه روسو - عزل وزير الخارجية حسونة دغيز باعتباره المتسبب الرئيسي في الإهانة التي لحقت بفرنسا، كما اشترط على الباي نفيه (أي دغيز) من طرابلس. تجنبًا للإهانة الشخصية قدم دغيز استقالته من الخارجية بنفسه. وتراجع القنصل روسو عن اشتراط النفي لعدة اعتبارات، منها تدخل عثمان ابن باشا طرابلس، وتدخل قنصل إسبانيا (هيرادور). لقد كان ابنا باشا طرابلس متزوجين من أختي دغيز. وكان والد دغيز ذا حظوة كبيرة باعتباره من الأعيان والأشراف. وذلك ما دفع بقنصل إسبانيا إلى إقناع زميله الفرنسي أن يتنازل عن شرط النفي، رغم أن روسو كان يعرف أن حسونة دغيز كان يكره الفرنسيين كرهًا شديدًا. ونجد تفاصيل هذا الخلاف في بحث هنري دوهيران المعنون: القنصل المستشرق جوزيف روسو (١٧٨٠-١٨٣١م)، المنشور في جورنال دي سافان "مجلة العلماء" Journal des savents ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)، ص٢٦٨-٢٧٤، و ١٩٣٦م (١٣٥٥هـ)، ص٢٦-٣٥، ٧٢-٨٢.[المترجم].

أسس روسو في يوليو ١٨٢٧م (ذي الحجة ١٢٤٢هـ) في طرابلس الغرب صحيفة "المحقق الإفريقي L'Investigateur Africain"، وكتب فيها عددًا من المقالات، أعيد نشر بعضها مثل: "حملة متوقعة من باشا طرابلس ضد عرب الجبل(٣٧). معلومات عن هؤلاء العرب"، ومثل: "أصل تمبكتو حسب المؤلفين العرب. تفاصيل عن القبائل التي تسكن هذه المدينة" في نشرة الجمعية الجغرافية (قياس ٨، رقم ٥٤، أكتوبر ١٨٢٧م).

ونشرت له الجمعية نفسها التي كان روسو عضوًا مراسلاً مشاركًا فيها رسائل غريبة كتبها في طرابلس الغرب عن إفريقيا الوسطى، وعن موت لينج Laing وكلابرتون(٣٨) Clapperton (نشرة الجمعية الجغرافية عام ١٨٢٨م).

ومن الجدير بالذكر أن روسو كان في هذه المدة لا يزال يسعى وراء المخطوطات العربية القديمة، شأنه عندما قام برحلته من بغداد إلى حلب. مع أنه كان قد مر زمن طويل على قيام أوفاروف Ouvaroff بشراء (٥٠٠) مخطوطة من

(٣٧) في الأصل: (جبل Ilssatou): لعله الجبل الأخضر في ليبيا، ولعله سمي كذلك: "جبل السطو"؛ لأن العرب الذين يسكنونه يسطون على فيالق الباشا.[المترجم].

(٣٨) الماجور ألكسندر غوردون لينغ Alexander Gordon Laing: مستكشف اسكوتلندي ولد عام ١٧٩٣م (١٢٠٨هـ) ومات عام ١٨٢٧م (١٢٤٣هـ). وكان من أوائل المستكشفين الغربيين الذين وصلوا إلى مدينة تمبكتو في مالي الحالية. أما هوغ كلابرتون Hugh Clapperton: فهو مستكشف من بلد السابق نفسها ولد عام ١٧٨٨م (١٢٠٣هـ) ومات عام ١٨٢٧م (١٢٤٣هـ) بالحمى الزنطارية بعد رحلة قام بها في داخل إفريقيا عام ١٨٢٠م (١٢٣٥هـ) عاد منها عام ١٨٢٥م (١٢٤١هـ).[المترجم].

روسو باسم قيصر روسيا. وهي مخطوطات كان قد جمعها في آسيا الصغرى، وتمتلكها الأكاديمية القيصرية في سان بطرسبورغ(٣٩).

مات روسو في عام ١٨٣١م (١٢٤٧هـ) بارونًا، وعضوًا في أكاديمية النقوش والفنون الجميلة. وخلف عددًا من الأبناء، أحدهم: أنطوان فرانسوا نابليون Antoine-Francois Napoléon ولد في حلب، في الخامس من إبريل ١٨١١م (١٢ ربيع الأول ١٢٢٦هـ)، وعمل مترجمًا رئيسًا للجيش التابع لمكتب المارشال بوجو(٤٠) Bugeaud، وبعده الدوق

---

(٣٩) الفهرس المرتب لهذه الـ ٥٠٠ مخطوطة نشره روسو في عام ١٨١٨م (١٢٣٣هـ). قلت: ولدي صورة من هذا الفهرس الذي نشر كما على غلافه عام ١٨١٧م (١٢٣٢هـ)، وأنا بصدد ترجمته. وانظر بحثنا المنشور في مجلة الدرعية، "آل روسو وصفحات مطوية من تاريخ المخطوطات العربية"، م.س، ص١٤٣-١٧٣. [المترجم].

(٤٠) توماس روبير بوجو دو لا بيكونري Thomas R. Bugeaud de la Piconnerie، جنرال ثم مارشال فرنسي. ولد في ليموج عام ١٧٤٨م (١١٦١هـ)، ومات في باريس عام ١٨٤٩م (١٢٦٥هـ). وطد للاستعمار الفرنسي في الجزائر عندما أرسل إليها في عام ١٨٣٦م (١٢٥٢هـ)، وحارب الأمير عبدالقادر بلا هوادة في الثلاثينيات الميلادية في إقليم وهران، ووقع معه معاهدة التافنة في ٣٠ مايو عام ١٨٣٧م (٢٥ صفر ١٢٥٣هـ)، ثم أصبح من دعاة القضاء عليه واتباع سياسة الأرض المحروقة في الجزائر. عين في عام ١٨٤٠م (١٢٥٦هـ) حاكمًا عامًا للجزائر. وله كتابان: حرب إفريقيا ١٨٣٩م (١٢٥٥هـ)؛ تأملات وذكريات عسكرية ١٨٤٥م (١٢٦١هـ). استقال وعاد في عام ١٨٤٧م (١٢٦٣هـ). أي قبل نهاية مقاومة الأمير بنصف سنة تقريبًا. ودارت بينه وبين الأمير عبدالقادر مراسلات عندما كان هذا الأخير أسيرًا في فرنسا. انظر كتاب: بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، للدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٢٣-٣٢٤. [المترجم].

دومال[٤١] duc d'Aumale. وكان عضوًا في بعثة المغرب التي قادها السيد جاجير سميث Jagersmidt، وأصبح قنصلا فخريًا في بورصة[٤٢]، ثم عين قنصلاً من الدرجة الثانية في جدة، مع مهمة تقضي بأن يبقى في دمشق بجوار الأمير عبدالقادر".

٢ - رسالة السيد روسو عن الخيول العربية:

من وادي الجباب، الإثنين ٥ ديسمبر "كانون الأول" ١٨٠٨م

تكثر الأرانب في الصحراء، وهي طيبة المذاق في الأكل؛ وقد خرج اليوم من مخابئه أكثر من عشرين منها، أطلقنا عليها صقرًا وكلب صيد اشتريتهما لأيام خلت من رجل من عنزة[٤٣]. ولكنهما لم يستطيعا اللحاق بالأرانب على الرغم من الجهد والحماسة اللذين بديا عليهما. ولكن العقيلات[٤٤]

---

(٤١) عسكري وسياسي فرنسي ولد في باريس عام ١٨٢٢م (١٢٣٧هـ) وتوفي في صقلية ١٨٩٧م (١٣١٤هـ). ذهب إلى الجزائر في عام ١٨٤٠م (١٢٥٦هـ) وغادرها لأسباب صحية في عام ١٨٤١م (١٢٥٧هـ)، ثم عاد إليها في عام ١٨٤٢م (١٢٥٨هـ) وشارك في عدد من المعارك ضد الأمير عبدالقادر الجزائري. اهتم بالتاريخ وله فيه عدة مؤلفات، وكان عضوًا في الأكاديمية الفرنسية.[المترجم].

(٤٢) مدينة تركية تكتب بالتركية Bursa وبالفرنسية Brousse.[المترجم].

(٤٣) في الأصل: عنزي، نسبة إلى عنزة، وهي قبيلة عربية معروفة.

(٤٤) يشكلون قبيلة حضرية تعمل بالتجارة. [قلت: والعقيلات ليسوا قبيلة وإنما هم تجمع أسر تعمل في التجارة، شكلوا وحدة متجانسة سميت العقيلات. انظر حولهم كتاب عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، نجديون وراء الحدود، العقيلات ودورهم في علاقة نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق والشام ومصر (١٧٥٠-١٩٥٠م)، دار الساقي، ١٩٩١م.المترجم].

كانوا أكثر مهارة فقتلوا بعضها بعصيِّهم كما حدث في الأمس(٤٥).

ولما اقتربت الظهيرة رأينا رجال طلائع قافلتنا يتراجعون فجأة، وأخبرونا بظهور جماعة غزو، وأعربوا عن ظنهم بأنهم لمحوا على رأس تلك الجماعة البرج(٤٦) El-berdje، وهو عبد ضخم الجثة، يقود حرس زعيم الوهابيين(٤٧). وقد أشاع هذا الخبر حالة من الاستنفار بين أفراد القافلة، فما لبث كل واحد أن استعد للمعركة، ورفعت الأعلام، وأشعلت فتائل البنادق، واصطف الخيالة المسلحون بالرماح واتخذوا هيئة الحرب، وضجت الصحراء بأغاني الحرب المسماة حروبي. ولكن عدد الغزو كان قليلاً فلم يتجرؤوا على شن الهجوم، فرأيناهم يهربون مسرعين من المكان، وما لبث أن عاد كل شيء إلى الهدوء الذي كان سائدًا قبل الحدث.

لقد حدثتك عن الطلائع، وينبغي أن أخبرك بخبرهم، وأي ضرب من الناس هم. يقال إن أصلهم من الشامية (بادية

---

(٤٥) تحدثت آن بلنت في رحلتها غير مرة عن الأرانب وكثرتها وطريقة صيدها في رحلتها التي ترجمها محمد أنعم غالب، نشر دار اليمامة، الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٨م، انظر: ص١٢٧ وفهرس المحتويات.

(٤٦) لم نجد اسم هذه الشخصية في الكتب التي أرخت للدولة السعودية الأولى. ولا في النبذة التي كتبها روسو، ولا في كتابه عن الطوائف الإسلامية الثلاث. ولعلها (فرج).

(٤٧) هذا في أيام الدولة السعودية الأولى. وكان رأس الدولة السعودية الأولى – زمن الرسالة ١٨٠٨م (١٢٢٣هـ) – الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد رحمهم الله أجمعين.[المترجم].

الشام) نفسها. يعرفون جوانب الصحراء معرفة تامة، ويمكننا اعتمادًا على ذلك تسميتهم: قادة الأرض الصلبة. لذلك لا يستطيع العقيلات التخلي عنهم، يستأجرونهم ليمشوا أمام القوافل، وليقودوها عبّر طرق آمنة، فيها موارد ماء كافية. هؤلاء العرب الذين يسمون الأدلاء إذ يتمتعون بنظر حاد، ويمتطون مطايا سريعة، تسمى: العماني أو الذلول، وهي كما أعتقد الهجن. وهذه الإبل هي مخلصة لمن يهتمون بها، يتفادون على ظهورها اللقاء بجامعي رسوم المرور الباهظة عبر الإشارات المضللة التي يعطونها لهؤلاء، أو عبر منعرجات خفية يأخذون المسافرين عبرها.

ولما التحق بالقافلة نفر من قبيلة عنزة، كانوا أصدقاء العقيلات الذين نسافر معهم استعرضوا الخيل التي أملكها. ولم يعجبهم إلا حصان واحد منها، إنه الأشهب الذي رأيته في بلاد فارس، وهو حصان ذو نسب أصيل. ثم أرادوا بعد ذلك امتطاءه لتجربته، واستجبت لرغبتهم. وقد نجحت سرعته وانقياده وخفة حركاته، ناهيك عن جمال مظهره في خطف إعجابهم به. وعرضوا عليَّ شراءه، ولكنك تعلم حق العلم أن ليس لي رغبة في التخلي عنه. وقد طلبت منهم بدوري إذا كان لديهم أفراس جميلة للبيع؟ "فسألوني عن المبلغ الذي يمكن أن أدفعه؟ فأجبت: ألف قرش. فانفجروا ضاحكين، وأكدوا لي أنني لن أجد الفرس الذي أرغب فيه بأقل من ثلاثة آلاف قرش.

ولست تجهل على أي حال يا صديقي مدى تعلق العرب بأفراسهم؛ فنحن نستطيع القول: إنهم يحبونها حبهم زوجاتهم، وليس هناك بينهم من لا تنام فرسه في خيمته، في وسط أسرته، وليس هناك بينهم من لا يهتم بها اهتمامه بولده المدلل.

يقول بوفون Bufon: "إن أنبل فتح حققه الإنسان هو ترويض ذلك الحيوان الأنوف، الجامح (الحصان) الذي يتقاسم معه التعب والحروب والانتصار في المعارك".

ولكن العرب يتميزون عن كل شعوب الأرض بأنهم يمتلكون كثيرًا من الخيول الجميلة، ويقدرونها حق قدرها، وهم يعرفون أكثر من غيرهم ترويضها على خوض السباقات. ولكي يكون الحكم على أصالة أنساب خيولهم منصفًا ينبغي التنقل في قلب صحرائهم، واكتساب خبرات التعرف عليها وتقديرها حق قدرها. لذلك كان أمراء فارس والهند على مر العصور يحرصون على تناسل الخيل الأصيلة في مناطق نفوذهم، ومنذ بضع سنوات تولد لدى الأوروبيين ميل إلى اقتناء الخيول العربية الأصيلة وصاروا يرسلون المندوبين إلى كل مكان للحصول على أكثر السلالات شهرة.

إن الخيول العربية هي على وجه العموم رشيقة، ولكنها قادرة على تحمل تعب سير المسافات الطويلة، وهي متناسقة الأعضاء، ممشوقة، خفيفة الحركة سريعة العدو في السباق. ويُحمد في الخيل أن تكون ضامرة البطون، صغيرة الآذان، قصيرة الهوادي؛ وهي صفات تُعرف بها الخيل الأصيلة.

ونكاد على الدوام نجدها خالية من العيوب، منقادة حتى إن المرأة والطفل يستطيعان التعامل معها، وترعى بهدوء في المراعي مختلطة مع بقية المواشي. ويمتطيها فرسانها بلا سروج، ويقودونها بمجرد لجام بسيط. ناهيك عن أنها تصبر على العطش، وتشرب على وجه العموم حليب الخلفات. وآخر ما تجدر ملاحظته أن أصحابها لا يعطونها إلا قليلاً من العلف، وليست بحاجة إلى الحدوة؛ لأن مجال ركضها، الصحراء، وهي على العموم أرض سهلية وخالية من الحجارة.

وأورد فيما يلي الشروط المتعارف عليها بين العرب لكي يقولوا عن حصان ما إنه جواد: أن يكون مقوس العنق، ذا أذنين مستقيمتين طويلتين حتى تكاد أطرافهما تتلامسان، ورأس صغير ولكنه متطاول، وعينين واسعتين مستديرتين، ولحيين عريضين، وخطم مستقيم، ومنخرين كبيرين، وبطن صغير، وقوائم رفيعة، ورسوغ قصيرة، وحوافر كبيرة وصلبة، وصدر عريض، وكفل ضيق. ويعبر عرب عنزة عن هاتين الميزتين الأخيرتين بقولهم: (أحبوا واحرصوا على الجواد الذي له صدر الأسد وأرداف الذئب). وهم مع ذلك يحبون في الفرس أن تكون أردافها عريضة فيها بعض الطول. زبدة الكلام أن العرب يعدون الحصان كامل الصفات إذا كان يجمع المحاسن الثلاثة في الرأس والعنق والردف. وهذا ما عبر عنه هوراس[٤٨] Horace باقتضاب في هذا البيت:

(٤٨) هوراس شاعر لاتيني (٦٥-٨ ق.م)، انظر المعجم الأدبي، جبور عبدالنور، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م، ص١٩٨-١٩٩.

أما الأرداف فجميلة، وأما الرأس فصغير،
وأما العنق فطويل منتصب(٤٩)

ولكنه ينبغي في الوقت نفسه أن يكون الحيوان فتيًا ليحوز على إعجابهم، وليولوه اهتمامًا مميزًا. ونجد هذا الشعور عند فيرجيل(٥٠) Virgile عندما يتحدث عن هذا الموضوع في قصائده المسماة جيورجيك Géorgiques قائلاً:

ولكنْ، سواء كان الحصان يجر عربة، أو يُقاد بلجام
أحب أن يكون حصان السباق فتيًا، نشيطًا، سريعًا
لأن الحصان يقصر إذا وهن وشاخ حتى لو أن أصله
من إيبير(٥١)

ونجد في الجواد سمات يرى العرب أنها من العيوب التي تؤثر في سعره تأثيرًا ملموسًا مثل: النجمة المزدوجة في الجبهة، والتجعيد في شعر العجز، والبقع السوداء على الحواشب إلخ(٥٢). وينبغي يا صديقي أن تعلم فضلاً على ما

---

(٤٩) البيت لهوراس وهو في الأصل باللاتينية ونصه كما يأتي:
Quod pulchrae clunes, breve quod caput, ardua cervix

والمثبت هو الترجمة العربية التي زودني بها مشكورًا الزميل الدكتور مصطفى بوشارب.[المترجم].

(٥٠) فرجيل: شاعر لاتيني (٧٠-١٩ق.م)، انظر: المعجم الأدبي، م. س، ص٥٦٩.[المترجم].

(٥١) Epire: منطقة في شمال غرب اليونان على الحدود مع ألبانيا. ويبدو أنها اشتهرت بالخيول النشيطة.[المترجم].

(٥٢) قال بوركهارت فيما ترجمه عنه الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين في كتاب: من حديث بوركهارت عن الخيل والإبل العربية قبل ١٨٠ عاماً، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١١هـ، ص٢٩-٣٠: وهناك ما يزيد =

ذكرت لك أن العرب معتادون على العناية عناية كبيرة بأنساب مختلف سلالات خيولهم، وأنهم يدبجون في ذلك حججًا ليتثبتوا من الأصالة والعراقة. وأورد إليك فيما يلي نموذجًا من تلك الحجج(٥٣) حصلت عليه لتوي، لعله، كما أظن، يرضي رغبة حب الاستطلاع لديكم.

= على عشرين علامة شؤم من هذا النوع لها أثر سيِّئ في تخفيض قيمة الحصان أو الفرس بنسبة الثلثين أو أكثر. وقارن بما في ترجمة غاندي المهتار بعنوان: ملاحظات عن البدو والوهابيين لبوركهارت، م.س، ص٧٤-٧٨.[المترجم].

(٥٣) سميت في كتاب: نجديون وراء الحدود "العقيلات" ودورهم في علاقة نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق والشام ومصر (١٧٥٠-١٩٥٠م)، عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، م.س، ص٢٥٢: حجة حصان. قارن بين النص هنا والنص هناك. وقال بوركهارت: وقد جرت العادة أن يجتمع عدد من الشهود عند ولادة كل مهر أصيل فتكتب حجة أو شهادة توضح فيها صفاته المميزة، واسما أبيه وأمه. ولا يذكر في هذه الحجة النسبية عادة اسما جدَّيه وما قبلهما... وغالباً ما كتبت شجرة النسب في قطعة صغيرة من الجلد وغُطيت بقماش مشمع، وعلقت برقبة الحصان أو الفرس. ويمكن أن يؤخذ ما يلي مثالاً للشهادة على الخيل عند العرب. قارن بالحجة التي أوردها بوركهارت في كتاب: من حديث بوركهارت عن الخيل والإبل العربية قبل ١٨٠ عاماً، ترجمة الدكتور العثيمين، م.س، ص١٨-٢٠. والشهادة التي أوردها كتبت في سنة ١٨٠٨م. قال الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - في كتابه عن الخيول: إنه أورد شهادة مؤرخة في صفر ١٢٢٣هـ[١٨٠٨م]. قارن بما في الصفحة٢١ من الكتاب الذي ترجمه الدكتور العثيمين. وفي الصفحة ٧٤ من ترجمة غاندي المهتار، م.س.[المترجم].

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال صاحب الرسالة: إن أمتي لا تجتمع على الضلالة[٥٤].

سبب تحرير هذا الكتاب المرضي الخطاب هو أنه نقول - نحن الفقراء إلى الله تعالى الغني المدونة أسماؤنا بذيل هذه الحجة - إننا نشهد بخطنا وبختمنا وبجزمنا بأن الفرس الحمراء التي بقصعتها نجمة سيالة بيضاء محجلة من اليد والرجل وهي بنت الفرس السقلاوية[٥٥] الكزران النجد وأبوها شويمان الصباح[٥٦] مسلسلة من أبوها (كذا) وأمها عن ثلاثة ظهور وثلاثة بطون وهي من أصل الخيل الذي قال عنهم النبي المكرم ﷺ: إن بطونهم كنز وظهورهم عز[٥٧] ونشهد على ما شهدوا الأقدمين (كذا) بشهادة في خطنا وبختمنا بأن الفرس المذكورة هي أصيلة الفصل والأصل وهي

(٥٤) هذا مأخوذ من نص حديث شريف (لا تجتمع أمتي [أو قال "أمة محمد"] على ضلالة...)، أخرجه أهل السنن بألفاظ مختلفة إلا النسائي: انظر سنن الترمذي، الحديث ٢٠٩٣؛ وسنن ابن ماجة، الحديث ٣٩٤٠؛ وسنن أبي داود، الحديث ٣٧١١. وأخرجه أحمد في مسنده (مسند القبائل)، الحديث ٢٥٩٦٦. [المترجم].

(٥٥) الصواب: الصقلاوية بالصاد. [المترجم].

(٥٦) الصواب: شويمان الصباح. انظر كتاب حمد الجاسر، ص٥٠٧-٥٠٨. [المترجم].

(٥٧) كذا في الأصل بطونهم... وظهورهم. وهو خطأ صوابه: بطونها وظهورها... وتمام الكلام: (عليكم بإناث الخيل، فإن ظهورها عز وبطونها كنز). وهو ينسب إلى النبي ﷺ. انظر المستطرف للأبشيهي (ط. إبراهيم صالح، دار صادر، ١٩٩٩، ٢/٤٧٦. ولم أجده في التسعة. وينسب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح بن محمد المقدسي، عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ، ٣/ ١٤٦. [المترجم].

أصفى من الحليب وممدوحة بالغارات وفي السباق صبورة على الضماء[٥٨] والكد والهد ونحن نشهد بما رأينا والله خير الشاهدين.

شهدوا بما فيه الشهود[٥٩]

ويمتلك العرب الذين يعشقون الخيل كتبًا عديدة في فن تربية الخيول وعلاجها من الأمراض التي تصيبها. وأشهر تلك الكتب هو الكتاب الذي عنوانه: قواعد الفروسية وعلم مداواة الخيل Principes d'équitation et de la science vétérinaire وينسبونه لعلي[٦٠] [بن أبي طالب رضي الله عنه] صهر النبي [صلى الله عليه وسلم]. وقد حصلت على نسخة منه بعد بحث طويل. وأنوي ترجمته

(٥٨) كذا في الأصل والصواب: الظمأ. [المترجم]

(٥٩) أورد صاحب الرسالة ترجمة للرسالة إلى الفرنسية. ولم يرد اسم الشهود كما هو الحال في الوثيقة المنشورة في كتاب: نجديون وراء الحدود. [المترجم].

(٦٠) ما بين معقوفتين من إضافة المترجم. ولم أجد على طول البحث والتسآل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتابًا في الخيل. وفي أمر هذه النسبة احتمالان: أولهما أن يكون روسو خلط بينه وبين الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر الرسولي صاحب كتاب: الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل (تحقيق: د. يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). وثانيهما أني وجدت كتابًا بعنوان: سياسة الخيل والأدوية وطريقة... والأوصاف العلامات والعلاجات والأصيل والخسيس والرديء والطيب ونحو ذلك لقنبر، يقال إنه فتى علي بن أبي طالب، مخطوط في دار الكتب المصرية. فلعل خلطًا وقع في نسبة الكتاب الذي حصل عليه روسو. انظر: مقال المرحوم أحمد تيمور باشا في مجلة الهلال، السنة ٢٨، ١٩١٩م (١٣٣٧هـ) بعنوان: نوادر المخطوطات العربية وأماكن وجودها، ومقدمة كتاب الأقوال الكافية...، م. س، ص٢٣-٢٤. [المترجم].

إلى الفرنسية، وإذا سمحت لي أعمالي الكثيرة ببعض الوقت فإنني أرجو أن أنشره قريبًا.

وبانتظار ذلك لن أجد بالتأكيد، يا صديقي، شيئًا أنهي به هذه الرسالة أفضل من أن أذكر لك هنا أسماء خيل العرب الأكثر اشتهارًا.

١ - كحيل(٦١).

٢ - جلفي(٦٢).

٣ - سعدي(٦٣).

٤ - معناقي(٦٤).

---

(٦١) كذا، والصواب: كحيلان. انظر أصول الخيل العربية الحديثة، تأليف حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٣٤١-٣٤٥، ٥٣٢-٥٣٣. وكتاب: جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير لأبي بكر بن بهرام الدمشقي، ترجمه وحققه وعلق عليه د. مسعد بن سويلم الشامان، إصدارات مركز حمد الجاسر الثقافي، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. ص٣٤٠.[المترجم].

(٦٢) في كتاب ابن بهرام وحمد الجاسر المذكوران أعلاه ص٣٤٠ و ٢٢٠-٢٢٢ على الترتيب: الجلفة. وترد جلفان.[المترجم].

(٦٣) كذا في الأصل العربي. ويبدو أن الأصل: سعيدي. ووردت في كتابي ابن بهرام: ص٣٤٠؛ وحمد الجاسر ص٢٦٩، ٥٠٢: السعدة. وترد سعدان. والصواب سعدي قال عبيد بن رشيد:

أصبحت منهن خالي كود ثنتين

سعدي ومصقول يداوي الغلايل.[المترجم].

(٦٤) في كتابي ابن بهرام ص٣٤٠؛ وحمد الجاسر ص٤٤١-٤٤٣، ٥٣٩-٥٤٠: المعنقية. وترد معنقي.[المترجم].

٥ - صقلاوي(٦٥).

٦ - دعيجان(٦٦).

٧ - حمداني(٦٧).

٨ - ريشان(٦٨).

٩ - صويتي(٦٩).

١٠ - عبيان(٧٠).

١١ - بهذان(٧١).

١٢ - فريجان(٧٢).

---

(٦٥) في أصل كتاب ابن بهرام ص٣٤٠: كتبت بالسين سقلاوية. وكتبها محقق الكتاب ومترجمه بالصاد: صقلاوية اعتمادًا على ما جاء في كتاب الجاسر ص٢٨٢-٢٨٥. [المترجم].

(٦٦) في كتاب ابن بهرام ص٣٤١؛ وفي كتاب الجاسر ص٢٣٥: الدعجانية. [المترجم].

(٦٧) في كتاب ابن بهرام ص٣٤١؛ وكتاب الجاسر ص٢٢٤-٢٣١: الحمدانية. [المترجم].

(٦٨) ورد في كتاب ابن بهرام: ص٣٤٢: الريشا. وانظر كتاب حمد الجاسر، ص٢٦٨ و ٤٩٧ و ٤٩٨. وكتاب: الخيل العربية الأصيلة، تأليف أ. غ. شيرباتوف، س. أ. ستروغانوف، مترجم عن الروسية، تحرير د. عوض البادي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٢٤٠. [المترجم].

(٦٩) في كتاب حمد الجاسر، ص٣٠١: الصويتية. [المترجم].

(٧٠) في كتاب ابن بهرام، ص٣٤٢؛ وفي كتاب حمد الجاسر، ص٣٠٣-٣٠٤: العبيان. [المترجم].

(٧١) لم أجد فرسًا بهذا الاسم، ولعله تصحيف. [المترجم].

(٧٢) في الأصل فريدان تصحيف. [المترجم].

١٣ - هدبان(٧٣).

١٤ - طويسان(٧٤).

١٥ - وذنان(٧٥).

١٦ - شويمان الصباح(٧٦).

---

(٧٣) في كتاب حمد الجاسر، ٤١٥: والهدباء من جياد الخيل عندهم، ويقسم إلى بيوت، ولا يزال إلى اليوم معروفًا، والذكر أهدب والأنثى هدباء. وذكر صاحب عقد الأجياد أن من خيل الشام صنفًا يسمى (هدابة) وينقسم خمسة أقسام: جلفة ومِعْنقية ودَعجانية وجُعْثية وفُريحة. انتهى. وجاء في كتاب دراسة "حماية الخيول العربية" عن الهدب، ص٢٤: هدبان أنزحي، هدبان الفرت، هدبان مشيلح. ... قال الشيخ حمد الجاسر رحمه الله في هامش صفحة ٤٥١: والأسماء غير صحيحة. انزحي: النزحي (انظر بوركهارت، ص٥٠)، والفرت: الفرد، وكوبيشان: كبَيْشان. والباقي لم يتضح لي صوابه، والكلام منقول عن مصدر أعجمي. وذكر الرحالة الإيطالي كارل غوارماني في كتابه عن الخيل المسمى: الخمسة (نشر عام ١٨٦٤م/ ١٢٨٠هـ، وأهداه إلى ملك إيطاليا فكتور عمانويل الثاني): كحيلان وعُبيان والصقلاوي والحمداني وهدبان. انظر كتاب حمد الجاسر، ص٥٠ الهامش.[المترجم].

(٧٤) وردت في كتاب ابن بهرام، ص٣٤١؛ وكتاب حمد الجاسر، ص٣٠٢، ٣٢٤، ٤٠٣: الطويسة.[المترجم].

(٧٥) جاء في كتاب ابن بهرام، ص٣٤١: دون. ولم يعرفه المحقق، ولعل ما ذكره تصحيف ما في متن الرسالة التي ننشرها. انظر كتاب حمد الجاسر ص٤٤٥ حيث سماها الوذناء ونقل عن الأصول أنها سميت بذلك لأن الكُحيلة أتت بمهرة أذنها منثنية (منصفطة) ولهذا سميت الوذناء. ونقل عن ولفرد سكاون في تقريره الملحق بكتاب بدو الفرات أنه قال: وذنان: وذنان خرسان.[المترجم].

(٧٦) رُسِم في الأصل: Choueiman El-sebbah. انظر رحلة إلى بلاد نجد، تأليف آن بلنت، م. س، ص٢٧٨: سويمان صباح: ذو قوة كبيرة، رأس كبير ممتاز... من نتاج نجد. وصوابه بالشين كما أثبتناه. انظر كتاب حمد الجاسر، ص٢٧٥ وما بعدها.[المترجم].

١٧ - مشرف[٧٧].

١٨ - أبو عرقوب[٧٨].

(٧٧) لعلها نسبة إلى مشرف مهنا ابن عم محمد العريعر من شيوخ بني خالد. وقد ورد الحديث عنه وعن خيله في كتاب حمد الجاسر، ص٤٤٥ وما بعدها في الحديث عن الوذناء الخرْسَانية.[المترجم].

(٧٨) هناك نص عربي لهذه السلالات ونص فرنسي. وليس في النص العربي ما جاء في رقم ١٨ في النص الفرنسي. وأثبته. وقد ورد الاسم في كتاب ابن بهرام ص٣٤٢؛ وكتاب حمد الجاسر ص٢١٥، ٣٦٦، أم عرقوب. وفي ص٤٧٠: أبو عرقوب: حصان كحيلان من خيل غانم بن مضيان من حرب.[المترجم].

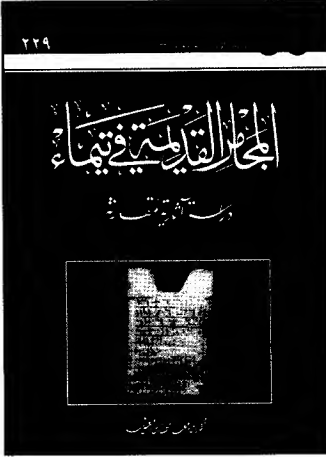
المجامر القديمة في تيماء

دراسة آثارية مقارنة

إعداد

محمد بن معاضة بن معيوف

٢٦٥ صفحة



يدرس هذا الكتاب المجامر الفخارية والحجرية القديمة المكتشفة في تيماء خلال مواسم التنقيب التي قام بها قطاع الآثار بالهيئة العامة للسياحة والآثار في المملكة العربية السعودية، ويقدم عرضًا موجزًا عن الاكتشافات الأثرية في هذه المدينة المتميزة بغناها التاريخي حيث كانت ملتقى الطرق التجارية في المنطقة منذ قديم الزمان، ويحصر المجامر الموجودة في متاحف الرياض، ويصنفها من حيث الشكل والعجينة والزخرفة، ويبين الخاصية التي تتميز بها، ويقارن بينها وبين غيرها من المجامر الأخرى في البلدان المجاورة لمعرفة مدى التشابه والاختلاف بينها، كما يصف المجامر الفخارية من حيث عجينتها ولونها وصلابتها وشواؤها وطريقة صناعتها والزخارف التي عليها والألوان المستخدمة في زخرفتها، ويشير إلى أحجام المجامر الحجرية ويقرأ الكتابات الواردة عليها.

ويتضمن الكتاب أيضًا ثبتًا لصور المجامر المدروسة فيه، وخرائط طبوغرافية لتيماء، وخرائط كنتورية لبعض المواقع.





ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa

تاريخ الراية السعودية

أعلام وأوسمة وشارات وطنية

تأليف: عبدالرحمن بن سليمان الرويشد

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

د. ناصر بن محمد الجهيمي
دارة الملك عبدالعزيز

تأتي أهمية هذا الكتاب من أنه رصد توثيقي لتاريخ الراية السعودية، كما قدم إضافات مهمة تتعلق بتطور العلم السعودي، والأوسمة والشارات الوطنية.

وتأتي أهمية توثيق هذا الرمز الوطني السعودي لصلته بإنجاز تاريخي مهم، يعبر عن التحول الذي حدث في المملكة العربية السعودية من التفكك والتفرق إلى أن يسَّر الله لها على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود - رحمه الله - نقلها من دويلات وقبائل تفتقد الأمن والحضارة والثقافة والتعليم إلى دولة واحدة تعمها نعمة الأمن والنهضة الحضارية والعمرانية والتعليم والصحة.

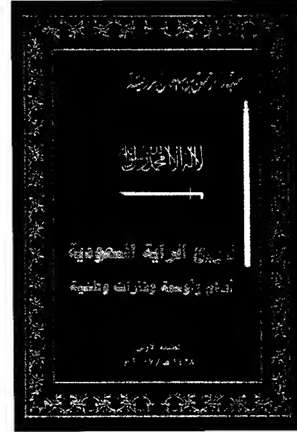
بل أصبحت مهوى أفئدة المسلمين في كل أنحاء العالم؛ لما حبا الله هذه البلاد من شرف خدمة الحرمين الشريفين، ولما تحقق من إنجازات حضارية أسهمت في وصول الحجاج

والمعتمرين والزوار المسلمين من جميع أنحاء العالم بكل يسر وسهولة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

كما أن هذه البلاد أصبحت محط أنظار العالم بما توافر لها من النفط والموقع الإستراتيجي المهم، وتنوع التضاريس وسعة المساحة.

ومما لا شك فيه أن موقع المملكة السياسي أهّلها لدور مهم في أحداث العالم العربي والإسلامي بل العالم كله.

ومؤلف الكتاب الأستاذ عبدالرحمن بن سليمان الرويشد ولد في الرياض عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م، وتلقى علومه الأولية فيها، وحفظ القرآن الكريم، وتلقى العلوم الشرعية على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - يرحمه الله - بالرياض، ثم ذهب إلى الطائف والتحق بدار التوحيد، ثم عاد إلى الرياض والتحق بالمعهد العلمي بعد افتتاحه، ثم التحق بكلية اللغة العربية منتظمًا، وكلية الشريعة منتسبًا، ونال شهادتيهما معًا عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م. وحصل على دبلوم في التربية المقارنة والتخطيط التربوي، ودبلوم في اقتصاديات التعليم والتربية من مركز هيئة الأمم المتحدة ببيروت. وعين مدرسًا بالمعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٦١م، ثم مفتشًا في وزارة المعارف بالرياض، فمساعدًا لمدير التعليم الابتدائي، فمديرًا لإدارة الكتب والمقررات المدرسية، ثم نقل عام



١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م إلى وزارة الداخلية، ثم أعيرت خدماته عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٠م؛ ليرأس تحرير جريدة الدعوة (مجلة الدعوة حاليًا) حتى عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م؛ حيث عاد إلى وزارة الداخلية مرة أخرى مستشارًا لمجلس الأمن الوطني، كما عين مساعدًا للأمين العام لمجلس الأمن الوطني، كما أنه يعمل مستشارًا لدارة الملك عبدالعزيز، وهو كاتب وله مشاركات أدبية في الصحف والمجلات المحلية، كما شارك في تأليف ووضع عدد من المقررات المدرسية. وأسس مجلة (الشبل) للأطفال التي صدر العدد الأول منها في غرة صفر عام ١٤٠٣هـ/ نوفمبر ١٩٨٢م، كما أنه حائز على وسام الملك عبدالعزيز من الطبقة الأولى؛ لإسهامه في الاحتفال بمئوية المملكة عام ١٤١٩هـ، ونال جائزة الأمير سلمان بن عبدالعزيز التقديرية للرواد في مجال الدراسات التاريخية للجزيرة العربية عام ١٤٢٨هـ. ومن أعماله العلمية:

- الوهابية وحركة الفكر والدولة الإسلامية ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- الجذور الأصلية للتعليم في وسط الجزيرة العربية.
- الرياض في مئة سنة.
- شروح وتعليقات على العقيدة الواسطية.
- عبدالله العجيري.
- قصر الحكم في مدينة الرياض.
- الجداول الأسرية لسلالات العائلة المالكة السعودية.
- الستون رجلاً خالدو الذكر.

- عبدالله السليمان الحمدان صفحة مشرقة في تاريخ المملكة العربية السعودية.

- محمد بن عبدالعزيز .. أمير الأمراء وسليل الملوك.

أما كتابه "تاريخ الراية السعودية - أعلام وأوسمة وشارات وطنية"، فقد تناول فيه بإيجاز لمحة تاريخية عن العلم ونشأته في التاريخ القديم والإسلامي حتى العصر الحديث، وأبرز خلال هذه اللمحة التاريخية الراية في عهد الرسول ﷺ، وأنه عليه الصلاة والسلام كان يعقد الراية بيده الكريمة على رمح، ويسلمها للسرايا المقاتلة، وأن أول لواء عقده عليه الصلاة والسلام كان لواءً أبيض عقده لحمزة، وحمله مرثد بن أبي مرثد - رضي الله عنهما - ليعترض عيرًا لقريش مقبلة من الشام.

واستطرد في ذكر أعلام الدول العربية وتطورها إلى أن وصل إلى العلم السعودي الذي أشار إلى أنه حمل شهادة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وأنه علم متوارث ثابت منذ عهد الدولة السعودية الأولى.

والمؤلف بحكم تخصصه في تاريخ الدولة السعودية لم يفته أن يعطي نبذة تاريخية وافية عن آل سعود في التاريخ؛ فذكر معلومات موثقة عن نسبهم، وأن عشيرتهم الدروع تعد أشهر الفروع المنتسبة إلى حنيفة من قبائل بكر بن وائل، وتحدث عن قدوم مانع المريدي عام ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م على ابن عمه ابن درع رئيس بلدة حجر (الرياض والجزعة) فأقطعه المليبيد وغصيبة اللتين عرفتا فيما بعد بالدرعية.

كما أضاف فائدة أخرى لا تقل أهمية عن ذكر نسب الأسرة المالكة الكريمة، وهي الألقاب التي أطلقت على ملوكهم بدءًا بلقب الأمير، ثم الإمام، ثم الملك، وصولاً إلى خادم الحرمين الشريفين، الذي تأكد استعماله بإعلان الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م بأن هذا اللقب أحب الألقاب إليه.

وأفاد بإيجاز عن التطور التاريخي للمملكة العربية السعودية من خلال عرض لتاريخ الدولة السعودية الأولى والثانية والمملكة العربية السعودية حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله، وهذا أعطى الكتاب أهمية تاريخية تعود بالفائدة على القارئ، ليصل إلى معلومات موثقة عن تاريخ المملكة العربية السعودية.

ثم بدأ الحديث عن علم الدولة السعودية، وذلك بالإشارة إلى أهميته بصفته رمزًا رسميًا له دلالة على العمق الحضاري والبعد التاريخي، وأنه رمز متوارث مرت به تطورات في شكله وتصميمه إلى أن وصل إلى ما نراه اليوم يرفرف عاليًا في أنحاء المملكة العربية السعودية.

وعلى رغم صعوبة مثل هذا البحث لعدم وجود مصادر أو نصوص تتعلق بتطوره، فإن الباحث الأستاذ عبدالرحمن الرويشد، بخبرته التاريخية وكفاءته البحثية استطاع أن يجمع مادة من أفواه الرواة المعاصرين، والمصادر المطبوعة، والوثائق التاريخية وما دونه الرحالة والصور الفوتوغرافية؛ ليقدم لنا مادة علمية موثقة لتاريخ العلم السعودي.

ومن النصوص المهمة التي تعود إلى فترة مبكرة أوردها الأستاذ عبدالرحمن الرويشد في كتابه ما ذكره عثمان بن بشر في تاريخه "عنوان المجد في تاريخ نجد" بقوله: "إن الإمام سعودًا قد أعطي السعادة في مغازيه؛ فلم تهزم له راية، وكان يحدد للناس موضعًا؛ فتنصب الراية فيه، ويسارع الجميع قبله بيومين أو ثلاثة أيام، وفي اليوم التالي تقف للإمام كتائب الخيل في اليوم المحدد لخروجه من الدرعية، وعندما يخرج من قصره يسارع بالدخول إلى المسجد المجاور له، ويطيل الصلاة والدعاء فإذا فرغ ركب جواده ثم سار".

وقد أشار المؤلف إلى حَمَلة الراية في الدولة السعودية الثانية؛ فذكر أنهم أسرة آل سلمة، وأن أبناءها استمروا في حملها حتى زمن الإمامين عبدالله وسعود أبناء الإمام فيصل بن تركي، وأن آخر من حملها منهم محمد بن عبدالعزيز آل سلمة الذي قتل في موقعة جودة عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م.

كما أورد معلومات مهمة عن تاريخ العَلَم في عهد الملك عبدالعزيز؛ فأشار إلى أن العلم السعودي كان أخضر اللون، مصنوعًا من الحرير، به جزء قليل أبيض يلي السارية وبرأس السارية، قرص من النحاس تعلوه حربة.

وإضافة إلى هذا الوصف التفصيلي فإن من المعلومات الجيدة والجديدة في هذا المصدر ما ذكره مؤلفه من أسماء من تولوا خياطة الرايات، وهذا يدل على أهمية العلم والعناية بخدمته؛ فقد أشار إلى أن ممن تولوا خياطة الرايات في

عهد الملك عبدالعزيز عبدالله بن محمد بن شاهين، ثم أوكل الأمر بعده إلى الشيخ سعد بن سعيد وابنه عبدالمحسن، ثم آل الأمر إلى جهات الاختصاص الرسمية بعد ذلك.

كما أورد مؤلف الكتاب نظام رفع العلم، وأنه صدر في يوم ١٢ المحرم ١٣٥٧هـ الموافق ١٣ مارس ١٩٣٨م بالأمر السامي رقم ١/٤/٧، ونشر في صحيفة أم القرى في العدد ٦٩٣ الصادر في ١٧ المحرم ١٣٥٧هـ.

وبعد هذا الرصد التاريخي لتطور العلم السعودي جاء المؤلف بمادة طريفة ذات علاقة مهمة بالعلم السعودي، وهي المعلومات عن الرجال الذين كانوا يحملون العلَم، ويسمون (البيارقيين) نسبة إلى حمل البيرق، وأن لحَمَلة العلَم مكانة تفوق غيرهم من سائر الجند لأنهم يحملون الرمز الذي يلتف حوله الجميع، وهو المستهدف ساعة اللقاء؛ سعيًا وراء إسقاط هذه الراية التي يلتف حولها المقاتلون؛ لذلك لابد أن يكون البيارقي متصفاً بالشجاعة والثبات، وحسن التدبير في المعارك، كما فصل ذلك المؤلف في كتابه.

وذكر من حَمَلَة العلم إبراهيم بن طوق في عهد الإمام عبدالعزيز بن سعود، وعبدالله أبو نهية في عهد الإمام عبدالله بن سعود، والحميدي بن سلمة وصالح بن عبدالله بن هديان وإبراهيم الظفيري في مراحل متأخرة من تاريخ الدولة السعودية الثانية وبداية عهد الملك عبدالعزيز.

كما أشار إلى أن من اشتهروا في حمل الراية في عهد الملك عبدالعزيز عبداللطيف بن حسين المعشوق، ومنصور بن

عبداللطيف المعشوق، وعبدالرحمن بن مطرف، ثم ابنه منصور، ثم حفيده مطرف، وقد بقيت الراية في يد هذه الأسرة من آل مطرف إلى الوقت الحاضر.

وبعد هذه التطورات التاريخية والمعلومات الموثقة لتاريخ العلم السعودي اتجه المؤلف إلى التعريف بالعلم السعودي من حيث وصفه، ومقاساته، وتطور أنظمته إلى أن صدر النظام الأساسي للحكم الصادر بالأمر السامي رقم أ/٩٠ في ٢٧ شعبان ١٤١٢هـ (١٩٩٣م) في مادته الثالثة التي نصت على أن يكون علم الدولة السعودية كالآتي:

- لونه أخضر.
- عرضه يساوي ثلثي طوله.
- تتوسطه كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) تحتها سيف مسلول، ولا ينكس العلم أبدًا (نظرًا لوجود الشهادتين فيه).

كما نصت المادة الرابعة على أن يكون شعار الدولة: سيفين متقاطعين مع نخلة، توضع وسط فراغهما الأعلى، أي بينهما من أعلى.

وبعد ذلك تحدث المؤلف عن وصف العلم الوطني من خلال المواصفات الخاصة به، والمواد القانونية المنظمة لشكله واستعمالاته، والأصول المتعلقة برفعه من خلال اثنتين وعشرين مادة ذكرها كاملة بنصوصها.

وتحقيقًا لمقتضيات المنهجية العلمية التاريخية قدم المؤلف نصوص المراسيم الملكية، وقرارات مجلس الوزراء، واللوائح

التنفيذية لنظام العلم، والأحكام العامة المتعلقة بالعلم السعودي، وهذا بلا شك يمنح الباحث في هذا الموضوع توفيرًا للوقت والجهد، ويمده بمصدر وثائقي مهم.

كما أورد المؤلف تفصيلات مهمة في نظام استعمال العلم واللائحة التنظيمية لنظام العلم؛ مما يعني أن هذا الكتاب يعد مصدرًا تاريخيًا مهمًا في هذا المجال.

وبعد هذا الرصد التاريخي والوثائقي في تاريخ العلم السعودي وتطوره تحدث المؤلف عن الأعلام الخاصة المتفرعة عن العلم السعودي للجهات الرسمية السعودية؛ مثل: علم القوات المسلحة السعودية، وعلم القوات البرية الملكية السعودية، وعلم القوات البحرية السعودية، وعلم القوات الجوية السعودية، وعلم قوات الدفاع الجوي السعودي، وأورد صورًا لها، وتعريفات وافيةً بها.

وختم المؤلف كتابه بعدد من الفصول المهمة ذات العلاقة بالعلم، مثل: أهمية خدمة العلم الوطني، وآداب التعامل مع الأعلام وقوانينها، وأشكالها وألوانها وأنواعها ومكوناتها والمصطلحات الأساسية للعلم.

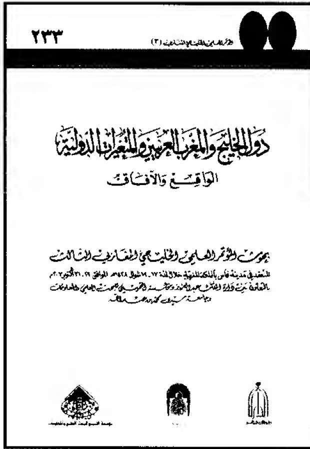
كما لم يفت المؤلف الحديث عن الأوسمة والميداليات والرتب العسكرية في المملكة العربية السعودية، والأنظمة التي صدرت بشأنها، وهذا أعطى الكتاب إضافة علمية مميزة بجانب توثيق هذه المعلومات بالصور الفوتوغرافية والنصوص الوثائقية المهمة.

دول الخليج والمغرب العربيين والمتغيرات الدولية

الواقع والآفاق

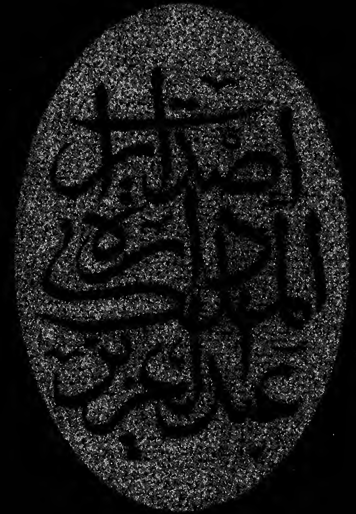
بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثالث

٣٨٠ صفحة



يضم هذا الكتاب بين دفتيه مجموعة من البحوث التي قدمت إلى المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثالث الذي عقدته دارة الملك عبدالعزيز بالتعاون مع جامعة سيدي محمد بن عبدالله بالمملكة المغربية ومؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات في مدينة فاس. وقد تطرقت البحوث إلى موضوعات متعددة كالعلاقات الخليجية المغاربية في مختلف الجوانب، والعلاقات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بين بلاد المغرب والمشرق العربيين عبر القرون، ودور الجامعات ومراكز البحث العلمي بين الجانبين، وانتقال الخبرات وتفعيل الحوار بين دول الخليج والمغرب العربيين.

وتعد هذه البحوث من الخطوات التي تسعى إلى مد الجسور بين الدول العربية في المشرق ونظرائها في المغرب، وتهيئة المناخ الملائم لإقامة علاقات علمية متينة، وتفعيل مجالات التعاون بين المؤسسات والمتخصصين وفق برامج علمية مشتركة.





ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa

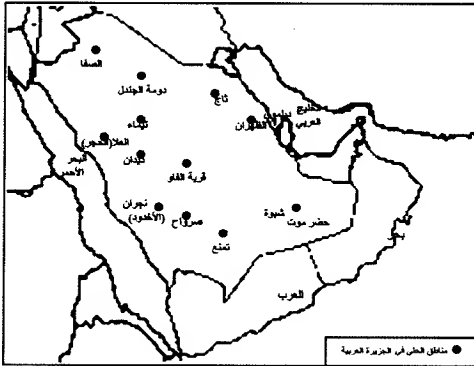
تعقيب

معالي الأخ العزيز الدكتور فهد بن عبدالله السماري حفظه الله

رئيس تحرير مجلة الدارة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

أقدم شكري الجزيل على تفضلكم بإرسال نسخ من العدد الرابع للسنة الرابعة والثلاثين من مجلة الدارة المميزة. ففي الحقيقة، تحتل مجلة الدارة مكانة مرموقة لدى العلماء والباحثين في دراسات الجزيرة العربية، لموضوعاتها القيمة، ورصانتها، وجودة محتواها وجمال إخراجها.



وأثناء الاطلاع على محتوى هذا العدد، واستمتاعي بقراءة ما به من بحوث، وقعت عيني على خريطة في صفحة (١٧٩)، تحتوي على معلومات غير دقيقة، بل مضللة. فعلى سبيل المثال، لا تقع حضرموت أو شبوة ضمن حدود المملكة، كما أن مدينة نجران لا تقع في منطقة الباحة كما تظهرها الخريطة. أكاد أقول أن جميع المراكز أو المسميات العمرانية لا تقع في مواقعها الصحيحة على الخريطة.

أكرر شكري لكم، وأدعو لكم وللدارة بالتوفيق الدائم.

تفضلوا بقبول خالص التحيات والتقدير

رشود بن محمد الخريف

جامعة الملك سعود

تشكر الدارة سعادة الأستاذ الدكتور/ رشود بن محمد الخريف على ملحوظاته، وقد خاطبت إدارة تحرير المجلة الباحثة حول هذه الملحوظات، وأفادت بوقوع خطأ في تصوير الخريطة وتعتذر عن ذلك.



الدارة قسيمة اشتراك

السادة / مجلة الدارة

أرغب الاشتراك في مجلة الدارة بعدد (   ) نسخة، وذلك لمدة (   )

ترسل الأعداد إلى: (   )

العنوان

العنوان: الدولة: المدينة:

ص. ب: الرمز البريدي: الهاتف: الفاكس:

طريقة التسديد

☐ الإيداع في حساب دارة الملك عبد العزيز رقم: ٣٠٠ ٢٤٦١٢٣٠٠٠٠٠ في مصرف البنك الأهلي التجاري في الرياض فرع التخصصي، بتاريخ: /   /   هـ (ترسل صورة قسيمة الإيداع على الفاكس ٤٠١٣٨٩٤)

☐ شيك مصدق باسم دارة الملك عبد العزيز رقمه (   ) مسحوب على (   ).

☐ نقدًا

ترسل قسيمة الاشتراك إلى مجلة الدارة

◀ ص. ب ٢٩٤٥، الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢٠١٦ ـ فاكس ٤٠١٣٨٩٤

الاشتراكات السنوية

☐ سنة بقيمة (٢٠ ريالا) أو (٦ دولارات أمريكية)
☐ سنتان بقيمة (٤٠ ريالا) أو (١٢ دولار أمريكي)
☐ خمس سنوات بقيمة (١٠٠ ريال) أو (٣٠ دولار أمريكي)

الدارة
مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز

الدارة قسيمة اشتراك

السادة / مجلة الدارة

أرغب في إهداء الاشتراك في مجلة الدارة، وذلك لمدة (   )

ترسل الأعداد إلى: (   )

العنوان

العنوان: الدولة: المدينة:

ص. ب: الرمز البريدي: الهاتف: الفاكس:

طريقة التسديد

☐ الإيداع في حساب دارة الملك عبد العزيز رقم: ٣٠٠ ٢٤٦١٢٣٠٠٠٠٠ في مصرف البنك الأهلي التجاري في الرياض فرع التخصصي، بتاريخ: /   /   هـ (ترسل صورة قسيمة الإيداع على الفاكس ٤٠١٣٨٩٤)

☐ شيك مصدق باسم دارة الملك عبد العزيز رقمه (   ) مسحوب على (   ).

☐ نقدًا

اسم المُهدي ________________

عنوانه: ص. ب :   الرمز: هاتف:

ترسل قسيمة الاشتراك إلى مجلة الدارة

◀ ص. ب ٢٩٤٥، الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢٠١٦ ـ فاكس ٤٠١٣٨٩٤

الاشتراكات السنوية

☐ سنة بقيمة (٢٠ ريالا) أو (٦ دولارات أمريكية)
☐ سنتان بقيمة (٤٠ ريالا) أو (١٢ دولارًا أمريكيًا)
☐ خمس سنوات بقيمة (١٠٠ ريال) أو (٣٠ دولارًا أمريكيًا)

الدارة
مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز

al_darah

SUBSCRIPTION FORM

Address

I wish to subscribe to Al-darah for :

❑ One year ❑ Tow years ❑ Five years

Please forward my copies to the following address :

Name ....

Street..

P.O Box................. Code .... Tel............................. Fax ....

City......................... Country...

Form of Payment

❑ Certified Cheque drawn to King Abdul Aziz Foundation for Research and Archives account No. 24612300000300 drawn by the .... Bank.

Subscription form to be mailed to :
P.O Box : 2945, Riyadh - 11461,
Kingdom of Saudi Arabia
Tel : 4011999/2016, Fax : 4013894

Subscription fee :

❑ One year SR. 20 ($6.00)

❑ Two years SR. 40 ($12.00)

❑ Five years SR.100 ($30.00)

al_darah

GIFT SUBSCRIPTION FORM

Address

I wish to subscribe to Al-darah for :

❑ One year ❑ Tow years ❑ Five years

Please forward my copies to the following address :

Name ....

City......................... Street........................... Country...

P.O Box................. Code .... Tel............................. Fax ....

Form of Payment

❑ Certified Cheque drawn to King Abdul Aziz Foundation for Research and Archives account No. 24612300000300 drawn by the .... Bank.

❑ Cash.

From .... Address ....

P.O Box...Code ....

Subscription form to be mailed to :
P.O Box : 2945, Riyadh - 11461,
Kingdom of Saudi Arabia
Tel : 4011999/2016, Fax : 4013894

Subscription fee :

❑ One year SR. 20 ($6.00)

❑ Two years SR. 40 ($12.00)

❑ Five years SR.100 ($30.00)



برنامج تواصل
قسيمة اشتراك

السادة / دارة الملك عبدالعزيز

أرغب الاشتراك في برنامج تواصل لمدة ☐ سنة ☐ سنتين ☐ ثلاث سنوات

العنوان

ترسل الإصدارات إلى: ( )

العنوان: الدولة: المدينة:

ص. ب: الرمز البريدي: الهاتف: الفاكس:

طريقة التسديد

☐ الإيداع في حساب دارة الملك عبدالعزيز رقم ٢٤٦١٢٣٠٠٠٠٠٠٣٠٠ في مصرف البنك الأهلي التجاري في الرياض فرع التخصصي، بتاريخ: / / هـ (ترسل صورة قسيمة الإيداع على الفاكس ٤٠١٣٥٩٧)

☐ شيك مصدق باسم دارة الملك عبدالعزيز رقمه ( ) مسحوب على ( ).

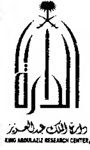
☐ نقدًا.

ترسل قسيمة الاشتراك إلى دارة الملك عبدالعزيز

ص. ب ٢٩٤٥، الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية

هاتف ١٩٩٩ ٤٠١/٢١٥٥ – فاكس ٠٠٩٦٦١٤٠١٣٥٩٧

٥٠٠ ريال قيمة الاشتراك السنوي



برنامج تواصل
قسيمة اشتراك

السادة / دارة الملك عبدالعزيز

أرغب الاشتراك في برنامج تواصل لمدة ☐ سنة ☐ سنتين ☐ ثلاث سنوات

العنوان

ترسل الإصدارات إلى: ( )

العنوان: الدولة: المدينة:

ص. ب: الرمز البريدي: الهاتف: الفاكس:

طريقة التسديد

☐ الإيداع في حساب دارة الملك عبدالعزيز رقم ٢٤٦١٢٣٠٠٠٠٠٠٣٠٠ في مصرف البنك الأهلي التجاري في الرياض فرع التخصصي، بتاريخ: / / هـ (ترسل صورة قسيمة الإيداع على الفاكس ٤٠١٣٥٩٧)

☐ شيك مصدق باسم دارة الملك عبدالعزيز رقمه ( ) مسحوب على ( ).

☐ نقدًا.

ترسل قسيمة الاشتراك إلى دارة الملك عبدالعزيز

ص. ب ٢٩٤٥، الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية

هاتف ١٩٩٩ ٤٠١/٢١٥٥ – فاكس ٠٠٩٦٦١٤٠١٣٥٩٧

٥٠٠ ريال قيمة الاشتراك السنوي

برنامج تواصل
قسيمة اشتراك

يقدم برنامج تواصل الخدمات التالية:

١ - إصدارات الدارة من الكتب التي تصدر خلال سنة الاشتراك حال صدورها.

٢ - أعداد مجلة الدارة التي تصدر خلال سنة الاشتراك.

٣ - أعداد النشرة التاريخية للدارة التي تصدر خلال سنة الاشتراك.

٤ - إحاطة المشترك بنشاطات الدارة العلمية ومحاضراتها وفعالياتها الثقافية المختلفة، وتزويده بالأدلة التعريفية الخاصة بالندوات والمؤتمرات والمعارض التي تقيمها الدارة.

٥ - في حال رغبة المشترك الحصول على نسخة ثانية من أي إصدار من إصدارات الدارة يمكن له الحصول عليها بنصف السعر المقرر.

برنامج تواصل
قسيمة اشتراك

يقدم برنامج تواصل الخدمات التالية:

١ - إصدارات الدارة من الكتب التي تصدر خلال سنة الاشتراك حال صدورها.

٢ - أعداد مجلة الدارة التي تصدر خلال سنة الاشتراك.

٣ - أعداد النشرة التاريخية للدارة التي تصدر خلال سنة الاشتراك.

٤ - إحاطة المشترك بنشاطات الدارة العلمية ومحاضراتها وفعالياتها الثقافية المختلفة، وتزويده بالأدلة التعريفية الخاصة بالندوات والمؤتمرات والمعارض التي تقيمها الدارة.

٥ - في حال رغبة المشترك الحصول على نسخة ثانية من أي إصدار من إصدارات الدارة يمكن له الحصول عليها بنصف السعر المقرر.

يوميات
حسين عبدالله باسلامة

تقديم ومراجعة

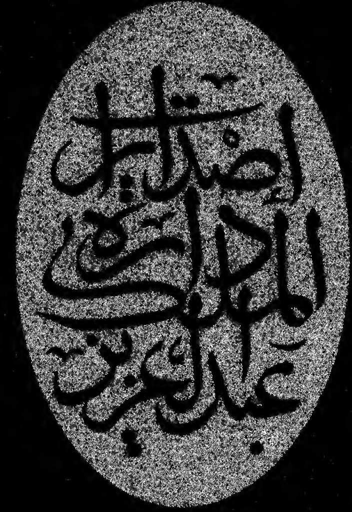
أ. د. عبدالله بن حسين با سلامة

٨٤ صفحة



يسجل هذا الكتاب عددًا من الأحداث التاريخية التي واكبت أيام توحيد البلاد، كتبها المؤرخ المعروف حسين عبدالله باسلامة بداية من يوم الجمعة السادس عشر من شهر صفر ١٣٤٤هـ، الموافق للرابع من سبتمبر من عام ١٩٢٥م، وتنتهي يوم الإثنين السادس عشر من شهر ذي القعدة من السنة نفسها، الموافق للسابع من يونيو ١٩٢٦م.

وتنبع أهمية هذه اليوميات من مواكبتها للأحداث التاريخية لتوحيد البلاد، ومن شهرة كاتبها الذي يعد - إلى جانب كونه مؤرخًا مشهورًا - أحد الذين خدموا بلادهم، فقد كان عضوًا في مجلس الشورى الذي أسسه الملك عبدالعزيز، وممن عملوا في مرحلة التأسيس وشاركوا في تدعيم حملة البناء تحت قيادة الملك عبدالعزيز رحمه الله.





ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد الكتروني info@darah.org.sa

TRANSLATED ARTICLES

Lettre de M. Rousseau, consul-général de France à Alep, à M. Jouanin, consul-général de France à Memel, sur Les chevaux arabe.

Translated, introduced and commented by Prof. Mohammad Khair Mahmoud al-Biqaai

(201 - 231)

BOOK REVIEWS

History of the Saudi Flag: : National Flags, medals and badges

Written by: Abd Al-Rahman bin Sulaiman al-Rowaished

Reviewed by: Dr. Nasser bin Muhammad al-Johaimi

(233 - 241)

COMMENTS

(243-244)

CONTENTS

ARTICLES

Dr. Saleh bin Mahmoud al-Sa'doun

The Prevention of Hajj between the First Saudi State and the Ottomans: Fallacies and Truths

This research attempts to unfold the truth about an extremely critical issue pursued by a number of historians of the Saudi-Ottoman relations and specifically the prevention of the Ottomans from performing the rituals of the pilgrimage at that time. The research, therefore, examines the sources and investigates the historical facts and complexities surrounding that issue.

(9 - 108)

Mohammad bin Abd Al-Razzaq al-Qash'ami

King Abdulaziz's Representatives and Agents Abroad (II)

This is the second article in this series which includes the biography of the merchants of Najd who served as representatives and agents of King Abdulaziz abroad. Those representatives include Abd Al-Rahman al-Qusaibi in Bahrain, Abd Al-Latif al-Mandeel in Iraq and Fawzaan al-Sabiq in Egypt.

(109 - 167)

Dr. Rashid bin Saad al-Qahtaani

Al-Qadi Mohammad Ismat al-Jalali's Private Collection at the Shaikh al-Islam Arif Hikmat Library,

This research presents a statistical study of the manuscripts of Mohammad Ismat al-Qadi kept to the library of Shaikh al-Islam Arif Hikmat in al-Madinah. It includes also an abridged biography of the transcriber, as well as a brief overview of the items of the collection and their classifications. The article reviews also the types of handwritings used in those manuscripts and the subjects they cover and their chronological ordering.

(169 - 200)



A Quarterly
Issued by
King Abdul aziz Foundation
for Research and Archives

Issue No. 2
Year 35
2009